

جامعة الجزائر بوزريعة - 2 -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

دور الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين في إيقاف الزحف الصليبي بالأندلس 479هـ-500هـ/1086م-1106م

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:

خالد حمون

إشراف:

الدكتورة: لطيفة بن عميرة

السنة الجامعية: 1431-1432هـ/ 2010-2011م

جامعة الجزائر بوزريعة - 2 -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

دور الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين في إيقاف الزحف الصليبي بالأندلس

479هـ-500هـ/1086م-1106م

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

لجنة المناقشة:

الدكتور: عبد العزيز بوكنة..........................رئيسا

الدكتورة: لطيفة بن عميرة.........................مقررا

الدكتور : عيسى بن الذيب.........................عضوا

الدكتور: بوعلام صاحي...........................عضوا

إعداد الطالب:

خالد حمون

إشراف:

الدكتورة: لطيفة بن عميرة

السنة الجامعية: 1431-1432هـ/ 2010-2011م

بِسمِ اللهِ الرَّحمـــٰنِ الرَّحِيمِ

الإهداء:

أهدي هذا العمل إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله تعالى، و إلى جميع أفراد عائلة حمون أرزقي كبيرهم وصغيرهم.

كلمة شكر:

أتقدم بشكري الجزيل إلى الأستاذة الدكتورة لطيفة بن عميرة لقبولها الإشراف على هذا العمل، منوهاً بتشجيعها لي، وحسن معاملتها و تعاونها معي طيلة مدة البحث.

كما أوجه الشكر الخالص إلى أساتذة التاريخ الوسيط الذين كانوا بمثابة مصابيح تُنير طريقنا، و إلى زملائي في تخصص المغرب و حضارته، و إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد لإنجاح هذا العمل.

مـــقدمة

شهدت المنطقة الجنوبية من المغرب الأقصى مع مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ظهور حركة دينية بزعامة الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي، الذي عمل على نشر تعاليم الدّين الإسلامي الصحيحة في مضارب قبائل صنهاجة الصحراء، عن طريق انشاء رباط للتعبّد، وللأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. و سرعان ما انتشرت هذه الحركة الإصلاحية في معظم قبائل صنهاجة، إثر خروج المرابطين للجهاد ضدّ القبائل المخالفة لهم، وقد حقّقوا عدة انتصارات، توسّعت رقعتها في عهد الأمير أبي بكر بن عمر، و عظمت أكثر في عهد الأمير يوسف بن تاشفين، الذي استطاع الاستيلاء على كامل بلاد المغرب الأقصى، وجزء من بلاد المغرب الأوسط، و بلاد السودان الغربي، و أسس بذلك كياناً سياسياً ضمّ كل هذه الأقطار، عُرِفَ باسم الدولة المرابطية.

و لقد سمع بأخبار هذه الدولة، و سيرة أميرها يوسف بن تاشفين القاصي و الداني في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، فاشتهر ذكره، و عَلَت مكانته، وراح أهل الأندلس يستنجدون به، و يُعلقون عليه الآمال لتخليصهم من عدوان النصارى، الذي استفحل و اشتد أكثر فأكثر، عندما ساد الاضطراب و التشتت في دويلات الطوائف. و لم يُخيب الأمير يوسف آمال أمراء الطوائف فَعَبَرَ إلى الأندلس للتصدي للقوى النصرانية، فسجل هناك ملاحم كبيرة، و انتصارات خالدة، دوّنها التاريخ بأحرف من ذهب.

أسباب اختيار الموضوع:

حاول المستشرقون عبثاً طمس تاريخ دولة المرابطين المشرف، خاصة في الشق المتعلق بالجهاد ضد النصارى، فقام هؤلاء بالنيل من زعماء هذه الدولة، خاصة أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين، فاتهموه بالتعصب، و الجهل، و ارتكاب جرائم القتل ضد النصارى. و وجدت في نفسي رغبة مُلِحَّة في دراسة تاريخ هذه الدولة، و مَنْ صنعوا مجدها و عظمتها كالأمير يوسف بن تاشفين، وتوضيح ما طمسه المستشرقون.

و أَرَدْتُ أيضاً تَسْلِيطَ الضوء على حلقة من حلقات الصراع المرير بين المسلمين والمسيحيين في العصور الوسطى الإسلامية، و هذا من خلال جهاد الأمير يوسف بن تاشفين بالأندلس، والدور الهام الذي قام به لنجدة إخوانه المسلمين، و إيقاف زحف النصارى على بلادهم.

كما عنيت بمحاولة إبراز علاقة الوحدة التي ربطت بلاد المغرب بالأندلس، من خلال التجربة المرابطية تحت زعامة الأمير يوسف بن تاشفين، و الذي استطاع توحيد العُدْوَتَيْنِ (المغرب و الأندلس) في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري.

إشكالية الموضوع:

أما الإشكالية المطروحة في هذا البحث فتتمثل في توضيح الدور الذي قام به الأمير يوسف بن تاشفين لإيقاف زحف الصليبيين على بلاد الأندلس ؟

و قد طرحنا من أجل الإجابة على هذه الإشكالية العديد من التساؤلات:

من هو يوسف بن تاشفين ؟ و كيف كانت ظروف عُبُورِهِ إلى بلاد الأندلس ؟ و كيف كانت علاقته بأمراء الطوائف ؟ و كيف كان رد فعل القوى النصرانية من مجيئه إلى الأندلس لنجدة إخوانه المسلمين ؟

أهمية الموضوع:

حُدد عنوان البحث بـــ "دور الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين في إيقاف الزحف الصليبي بالأندلس (479- 500)هـــ/ (1086- 1106)م"، فالمجال الزمني يشمل فترة حكم الأمير يوسف بن تاشفين، تحديداً من معركة الزّلاقة بالأندلس سنة 479هـــ/1086م، إلى غاية وفاته سنة 500هـــ/1106م، أما المجال المكاني فهو بلاد الأندلس. و من هنا كانت للموضوع أهميته، فكما هو معلوم أن دولة المرابطين نشأت في بلاد المغرب، و لكنها مَدَّت نفوذها إلى بلاد الأندلس في عهد أميرها يوسف بن تاشفين، الذي استطاع أن يُوَحِدَ العُدْوَتَيْنِ المغرب و الأندلس، ويجعلهما تحت سلطة واحدة، و بذلك يكون لهم تاريخ و مصير مشترك.

و لكن لم يحدث هذا الترابط و الوِحدة بين العُدْوَتَيْنِ بمحض الصُدفة، بل قام بعد بذل الغالي و النفيس من قِبَلِ أمير المرابطين يوسف بن تاشفين، حيث رفع لواء الجهاد، و إعلاء راية الإسلام في بلاد الأندلس، بعد أن استغاث به أهلها و أمراؤها. و استطاع التصدي لأطماع النصارى في الاستيلاء على هذه البلاد، بخوضه العديد من المعارك المُدوية، و التي خرج في أغلبهـــا مُنْتَصِراً، فأوقف بذلك زحف النصارى على بلاد الأندلس، و أَخّرَ سُقوطها في أيديهم

حوالي أربعة قرون أخرى.

خطة البحث:

للإجابة على مجموعة التساؤلات المطروحة اتبعت الخطة التالية: قسمت البحث إلى مقدمة و ثلاثة فصول و خـــاتمة، أما المقـــدمة فعرّفت فيها بالموضوع و أسباب اختياره، و إشكاليته، و خطة العمل، و المنهجية المتبعة في البحث، و الصعوبات التي واجهتني أثناء إعداد البحث، و تقييم أهم المصادر و المراجع المعتمدة فيه.

و يليها الفصل الأول تحت عنوان قيام دولة المرابطين، و قد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين، تحدثت في المبحث الأول عن ظهور الدعوة المرابطية في عهد الفقيه عبد الله بن ياسين، و الأمير أبي بكر بن عمر، و كانت هذه المرحلة بمثابة التمهيد لتأسيس الدولة المرابطية، بدءاً بالرباط الذي أنشأه ابن ياسين لتلقين الناس مبادئ الإسلام الصحيحة، ثم تعرضت لفتوحاته في بلاد السودان الغربي، و المغرب الأقصى. ثم تحدثت عن فترة حكم الأمير أبي بكر بن عمر، ومختلف الفتوحات التي قام بها سواء في جنوب أو شمال بلاد المغرب الأقصى، و عن استخلافه للأمير يوسف بن تاشفين في المغرب. و في المبحث الثاني تعرضت للأمير يوسف بن تاشفين الذي يُعد المؤسس الحقيقي للدولة المرابطية، فتناولت بالدراسة شخصيته، أي مولده و نشأته، ونَسبه، و صِفاته الجسمية و الخلقية، و تحدثت عن بناءه مدينة مراكش، التي جعلها عاصمة لدولته الناشئة، و عن تسميته بأمير المسلمين. و ختمت هذا الفصل بالكلام عن فتوحاته التي قام بها في بلاد المغرب الأقصى، وكذلك الجزء الغربي من بلاد المغرب الأوسط.

أما الفصل الثاني فخصصته للحديث عن المرابطين في الأندلس، و قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مبـــاحث، ففي المبحث الأول تناولت أوضاع الأندلس السياسية قبل عبور المرابطين، و درست أوضاع الإمارات الإسلامية التي كانت تعاني الضعف و الانقسام، و الممالك النصرانية التي كانت في حالة قوة و تَكَتُل ممّا سهّل عليها الاستيلاء على طليطلة. و ختمت هذا المبحث بالحديث عن اتصال أمراء الطوائف بالأمير يوسف عندما ضاعت منهم طليطلة، إثر اشتداد الخطر النصراني على دُوَلِهم. و تناولت فيه مختلف السفارات و الرسائل المتبادلة، بين هـــؤلاء الأمـــراء و الأمير يوسف، الذي قَبِلَ في آخر المطاف العبور للأندلس لنجدة إخوانـــه

المستضعفين. أما المبحث الثاني فتطرقت فيه لعبور يوسف للأندلس للمرة الأولى و خوضه معركة الزّلاقة ضد القوى النصرانية بقيادة ألفونسو السادس، و سردت وقائع هذه المعركة و أحداثها، و النتائج التي تمخضت عنها. و في المبحث الثالث كان الحديث عن العبور الثاني للأمير يوسف للأندلس، و خوضه معركة حصن لييط ضد النصارى، و ختمت هذا المبحث بالحديث عن النتائج التي أسفرت عنها هذه المعركة.

و في الفصل الثالث درست العبور الثالث للأمير يوسف إلى بلاد الأندلس، و قيامه بضمّ هذه البلاد إلى دولته، بعد أن قام بخلع أمراء الطوائف المتخاذلين، و كانت له معارك عديدة معهم، و مع النصارى في جميع أقطار بلاد الأندلس، انتهت الكثير منها بانتصار المرابطين، و انهزام القوى النصرانية. و أنهيت هذا الفصل بالحديث عن العبور الرابع و الأخير لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى الأندلس، و تطرقت لمختلف الأعمال التي أنجزها خلال عبوره هذا، كتنظيم شؤون الإدارة، و عَقْدُ البيعة لولده علي، و وصيته له بمواصلة مقارعة النصارى، بتحصين الثغور، و تجهيز الجيوش.

و أخيرا أنهيت الموضوع بخاتمة حَوَتْ أهم النتائج المتوصل إليها في البحث، و ألحقتها بمجموعة من الملاحق و الخرائط رأيت أنها تفيد دراستي، و ختمت كل ذلك بفهارس البحث.

منهجية البحث:

أما المنهجية التي تناولت بها الموضوع، فقد تراوحت بين السرد التاريخي للأحداث، و نقدها، و تحليلها، و مقارنتها، و كانت عملية السرد اعتماداً على المصادر، و هو منهج لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابات التاريخية، و قد كان ذلك خاصة في حديثي عن مختلف المعارك التي خاضها الأمير يوسف في بلاد المغرب ضد القبائل المغربية، أو في بلاد الأندلس ضد النصارى. و في حالة وجود تباين في الروايات، مثلاً حول سنة بناء مدينة مراكش، و من قام ببنائها، أو عدد الجيوش المشاركة في معركة الزّلاقة لدى المسلمين و النصارى، أرجح الرواية الأقرب للحدث زماناً و مكاناً، و الأكثر شُهرةً، و التي خضعت للمناقشة من قِبل المُحققين المعاصرين من أمثال حسن أحمد محمود، و محمد عبد الله عنان، و غيرهم، أو أرى أنها الأقرب إلى الصواب من غيرها بمقارنة النصوص.

و تخللت عملية سرد الأحداث، منهج التحليل و النقد لإظهار ما أمكن إظهاره من الحقـــائق والجوانب الخفيـــة، حيث كثّفت من الاستشهـــاد بالنصـــوص في المتن و الهامش، إمّا دَعْمًا لرأي أو مُساندة لاستنتاج. كما حاولت الرد على التهم التي وجهها بعض المؤرخين الغربيين أمثال دوزي و أشباخ للمرابطين الذين اتهموهم بالتعصب، وأنهم ارتكبوا جرائم في حق أمراء الطوائف و النصارى. و قُمت بالتصدي لاتهاماتهم الباطلة أيضاً عند محاولتهم التقليل من شأن الانتصارات التي حققها الأمير يوسف بن تاشفين في معركة الزّلاقة، و باقي المعارك التي خاضها ضد القوى النصرانية، و هذا بالاعتماد على النصوص الواردة في مختلف المصادر العربية المعاصرة للحدث، مثل كتاب التبيان لصاحبه عبد الله بن بلكين أمير غرناطة، أو المصادر القريبة من الحدث ككتاب الروض القرطاس لابن أبي زرع، أو كتاب الحلل الموشية لمؤلف مجهول.

صعوبات البحث:

أثناء عملية البحث واجهتني العديد من الصعوبات أكتفي بذكر البعض منها: صعوبة الإلمام بمختلف الروايات التاريخية الموجودة في المصادر، و الترجيح فيما بينها، و هذا لاختلاف بين هذه الروايات، و تَبَايُنِهَا في الكثير من الأمور، و في أدق التفاصيل.

قِلة المادة التاريخية الواردة في المصادر، بالنسبة للجواز الثاني و الثالث و الرابع للأمير يوسف إلى الأندلس، مقارنة مع الجواز الأول و معركة الزّلاقة الشهيرة، و التي إهتم بذكرها المؤرخون، و أسهبوا في الإشادة بها، في حين أن باقي معارك الأمير يوسف في الأندلس، لم تَلْقَ نفس العناية والاهتمام، و وردت على شكل إشارات مقتضبة و متفرقة بين الكتب.

كما واجهتني مشكلة ضيق الوقت، حيث لم تكن سنة واحدة كـــافية للإطلاع وبصفة جيدة على كل مصـــادر البحث و مراجعه، و لتحليل الأفكـــار، و ترجيح الروايات، واستنتاج الخلاصات.

المصادر و المراجع:

1- كتب التاريخ:

أ- التبيان- أو- مُذكرات الأمير عبد الله: كتاب للأمير عبد الله بن بلكين الزيري (ت بعد سنة 483هــ/ 1090م)، صاحب غرناطة في عهد دويلات الطوائف بالأندلس، تولى الحُكم بها بعد وفاة جده باديس سنة 465هــ/ 1072م، و استمر في الحكم إلى غاية عَزْلِهِ من قِبل الأمير يوسف بن تاشفين سنة 483هــ/1090م، و تمّ نَفْيَهُ إلى المغرب التي توفي فيها. وقد ترك لنا هذا الأمير كنزاً نَفِيساً، هو كتابه التبيان، الذي خصصه للحديث عن إمارة غرناطة منذ نشأتها إلى غاية سقوطها في أيدي المرابطين، و يحوي كذلك معلومات قيّمة عن باقي دويلات الطوائف، فهو معاصر للأحداث كتب عن فترة حكم أمراء الطوائف و فترة تواجد الأمير يوسف ابن تاشفين في الأندلس لجهاد النصارى، كيف لا و قد شارك صاحب هذا الكتاب كغيره من أمراء الطوائف إلى جانب الأمير يوسف في معركة الزّلاقة، و معركة حصن لييط، ونقل لنا كل كبيرة و صغيرة عن هاتين المعركتين، كما أفادنا بمعلومات عن الخصومات التي وقعت بين أمراء الطوائف، و بين هؤلاء الأمراء، و الأمير يوسف، و عن كيفية القضاء على دولهم من طرف أمير المسلمين يوسف بن تاشفين. و لِكَوْنِهِ عايش الأحداث فإن أغلب المؤرخين الذين أتُوا بعده، يعتمدون عليه، و ينقلون منه.

ب- الحلل الموشية في ذِكر الأخبار المراكشية: لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، حققه سهيل زكار، و عبد القادر زمامة، و هو كتاب صغير الحجم، عظيمُ الفائدة، يظهر من خلال محتواه أنه مغربي عاصر الدولة المرينية في المغرب، و دولة بني الأحمر في الأندلس، لأن هذه الدول هي آخر ما تكلم عنها. يعتبر هذا الكتاب من أمهات الكتب التي تتحدث عن تاريخ المرابطين، لكونه نقل معلوماته من مصادر تعتبر الآن مفقودة ككتاب ابن الصيرفي الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية. و يكاد من يطلع على هذا الكتاب يستغني عن باقي المصادر و الكتب لكونه أعطى معلومات وفيرة جداً عن تاريخ المرابطين في المغرب و الأندلس، و قد أفادني بمعلومـــات كثيرة عن معركة الزّلاقة، و معركة حصن لييط، و مختلف المعارك التي خاضها الأمير المرابطي يوسف في الأندلس. كما أورد في كتابه هذا وثائق هامة تتمثل في مختلف الرسائل المتبـــادلة بين الأمير يوسف و أمراء الطوائف، وملوك النصارى،

وقد أوردت بعض هذه الرسائل في الملاحق الخاصة بالبحث.

ج- البيان المُغرب في أخبار الأندلس و المغرب: لابن عذارى المراكشي (كان حياً سنة 712هـ/1112م)، و ينقسم هذا الكتاب إلى خمسة أجزاء، و هو من أهم المصادر لدراسة تاريخ المغرب و الأندلس، و تكمن أهميته في أنه اعتمد على مصادر بعضها مفقود مثل كتاب ابن الصيرفي الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية، كما نقل عن البكري، و مصادر أندلسية أخرى ترجع إلى القرنين الخامس و السادس الهجري، و قد استفدت كثيراً من الكتاب، خاصة الجزء الرابع الخاص بالمرابطين، و الذي حققه إحسان عباس، حيث احتوى على معلومات قيّمة عن نشأة الدولة المرابطية، و عن فترة حكم الأمير يوسف و جهاده في الأندلس.

د- الأنيس المطرب بروض القرطاس: لابن أبي زرع (ت726هـ/ 1325م)، و هو كتاب جليل، استفدت منه في مواضع كثيرة في بحثي، لأنه يحوي الكثير من التفاصيل المهمة عن دولة المرابطين منذ قيامها و نشأتها إلى غاية سقوطها في أيدي الموحدين.

هـ- كتاب العِبر: لعبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ- 1405م)، يعتبر هذا الكتاب موسوعة شاملة لتاريخ المغرب و الأندلس، و لا يمكن لأي باحث الاستغناء عنه، و رغم أنه أورد أخبار الدولة المرابطية بصفة مختصرة نوعاً ما في الجزء السادس، إلا أن معلوماته كانت دقيقة، و قيّمة، و تناولت بالدراسة جميع مراحل و أطوار الدولة المرابطية منذ نشأتها إلى غاية سقوطها. و أفادني الكتاب في التعرف على أحوال دويلات الطوائف، و عن جِهاد الأمير يوسف في الأندلس.

و- نفح الطيّب من غصن الأندلس الرطيب: لأحمد بن محمد المقرّي التلمساني (ت1041هـ/1631م)، و يعتبر كتابه هذا موسوعة معلوماتية عن تاريخ الأندلس و المغرب في جميع جوانبها السياسية و الفكرية و الأدبية. و قد اعتمدت عليه في معظم أجزاء البحث خاصة فيما يتعلق بأحوال دويلات الطوائف، و أمرائها، و كذلك التدخل المرابطي في بلاد الأندلس، والمعارك التي خاضها المرابطون هناك.

كما استفدت من مصادر أخرى كثيرة، أمدّتني بمعلومات جد هامة نذكر على سبيل المثال كتاب **الكامل في التاريخ** لعز الدين بن الأثير (ت630هـ/1232م)، و كتاب **المُعجب في تلخيص أخبـــار المغرب** لعبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1250م)، و كتابَي لســـان

الدين ابن الخطيب (ت776هـ/1374م) **أعمال الأعلام**، و **الإحاطة في أخبار غرناطة.**

2- كتب التراجم:

أ-الحُلة السيراء: لمحمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار(ت658هـ/1260م)، وهو كتاب في جزأين، حققه حسين مؤنس، حوى على تراجم للكثير من الشخصيات السياسية و العلمية، تخللت هذه التراجم الكثير من المعلومات التاريخية، و قد استعنت به في التعرف على أحوال بلاد الأندلس زمن أمراء الطوائف، و بعض أخبار الأمير يوسف بالأندلس.

ب- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: لابن بسام الشنتيري(ت542هـ/ 1147م)، و قد جاء كتـــابه على شكل موسوعة أدبية، و يعد من أهم مصادر تاريخ الأندلس، و تاريخ أدبائها و شعرائها. و كان معاصراً للمرابطين، و شهد ذلك الصراع المرير بين الإسلام و النصرانية في بلاد الأندلس، و جاء كتابه هذا مليئاً بالكثير من المعلومات التاريخية حول أمراء الطوائف. و قد أعانتني هذه المعلومات في رصد حركة جهاد المرابطين و الأمير يوسف بن تاشفين في بلاد الأندلس.

ج- قلائد العَقَيانِ في محاسن الأعيان: لابن خاقان (ت529هـ/1134م)، و يعتبر ابن خاقـــان مؤرخ معـــاصر لفترة المرابطين، و قد ترجم و أرّخ في كتابه هذا للكثير من الأعلام، و الشخصيات السياسية و الأدبية و الفقهية في بلاد الأندلس، و قد استفدت من كتابه هذا رغم أسلوبه الصعب الذي إهتم بالمبنى أكثر من المعنى، عند حديثه عن أمراء الطوائف و دولهم، و كيف كان مصيرها.

3- كتب الجغرافيا:

أ- المسالك و الممالك: للبكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت487هـ/ 1094م)، و الكتاب من تحقيق أدريان فان ليوفن و أندري فيري، و هو كتاب في جُزأين، اشتمل على ذِكر بلاد المغرب و الأندلس، و تكمن أهمية الكتاب في كون مؤلفه عاصر المرحلة الأولى من قيـــام دولة المرابطين ، فأمدّنا بمعلومـــات قيّمة عن هذه الفترة قلّما نجدها في مصادر أخرى، وأفادنا الكتاب أيضاً في وصف المدن المغربية والأندلسية، و مدن السودان الغربي.

ب- القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس مقتبس من كتاب **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق:** للإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحمودي (ت560هـ/ 1164م)، يُعتبر من أهم المصـــادر الجغرافية التي اعتنت بوصف مُدن المغرب والأندلس، وصفاً دقيقاً، و مجملاً، وأفادني هذا الكتاب كثيراً، حيث اعتمدت عليه في معظم أجزاء الرسالة، لكونه قَدَمَ معلومات قيّمة عن الكثير من المدن، و القرى في بلاد المغرب و الأندلس، لم تتطرق إلى ذكرها باقي المصادر الجغرافية.

ج- مُعجم البلدان: للحموي أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت626هـ/1228م)، يعد هذا الكتاب من المعاجم الجغرافية الهامة التي عنيت بذكر مدن بلاد المغـــرب و الأندلس بصفة مختصرة و مفيدة. و استفـــدت منه للتعريف بالكثير من المدن و المواقع.

د- الروض المعطار في خبر الأقطار: للحميري، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (توفي في منتصف القرن الثامن الهجري) الكتاب من تحقيق إحسان عباس، و رغم أن صاحبه ينقل أحياناً معلوماته من كتاب البكري و الإدريسي و صاحب الاستبصار، مع إضافات بسيطة، إلا أنه يعتبر من المصادر التي يعتمد عليها في وصف مدن و قرى بلاد المغرب و الأندلس و غيرها من الأقطار، نظراً للمعلومات القيّمة التي يحتوي عليها، كما أنه أفادني كثيراً في بحثي عندما تعرض للحديث بشكل مُفصل عن معركة الزّلاقة بالأندلس.

و قد استفدت أيضاً من مجموعة أخرى من المصادر الجغرافية مثل **كتاب الجغرافيا** لابن سعيد المغربي، و **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار** لمؤلف مجهول.

4- الدراسات و الأعمال الجامعية:

و استعنت في بحثي أيضاً بمجموعة كبيرة من الدراسات الحديثة و الأعمال الجـــامعية، و التي كانت لي سَنَداً قوياً في دراستي لكثير من الجوانب، حيث أرشدتني هذه الأعمال إلى التعرف على أراء أصحابها حول بعض الأحداث، و يتقدم هذه الأعمال و الدراسات كتاب:

أ- قيام دولة المرابطين: لحسن أحمد محمود، الذي يعد من السابقين الأوائل في خوض غمار البحث حول المرابطين، وكان له السبق في قراءة المصادر المرابطية و نقدها و مقارنتها، فقد عبّد

الطريق لكل من يريد البحث حول الدولة المرابطية. و قد اعتمدت على كِتَابِهِ هذا في معظم جوانب البحث، و استفدت كثيراً من تحليلاته، و آرائه، و مناقشاته المختلفة.

ب- دولة الإسلام في الأندلس: لمحمد عبد الله عنان، وهي موسوعة اعتنت بتاريخ المسلمين في الأندلس من الفتح حتى السقــوط، وقد استفدت كثيراً من الجزء الخـــاص بعصر الطـــوائف، و بدرجة أقل الجزء الخاص بالمرابطين في الأندلس.

ج- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين: للمؤرخ الألماني يوسف أشباخ، هو كتاب مترجم للغة العربية، ترجمه محمد عبد الله عنان، و هو كتاب قيّم أفادني كثيراً في دراستي، حيث استعنت به للتعرف على الروايات النصرانية للأحداث، و موقفها من المرابطين و أميرها يوسف بن تاشفين.

د- المسلمون في الأندلس و ملوك الطوائف: وهما كتابَيْنِ للمؤرخ الهولندي رينهرت دوزي الذي تحامل على المرابطين، و وصفهم بأشنع الصفات، و قد اعتمدت على هاذين الكتابين من أجل التعرف على وجهة نظر هذا المؤرخ، و عموم مؤرخي النصارى حول المرابطين، و الأمير يوسف بن تاشفين. و قمت بالرد على الإدعاءات الباطلة لهذا المؤرخ بالحجة و الدليل، اعتماداً على مختلف المصادر العربية سواء المعاصرة للحدث مثل كتاب التبيان للأمير عبد الله بن بلكين، أو باقي المصادر الأخرى كالحلل الموشية لمؤلف مجهول، و الروض القرطاس لابن أبي زرع، و البيان المغرب لابن عذارى، و العِبر لابن خلدون.

كما استفدت من مراجع أخرى مترجمة للغة العربية مثل كتاب ليفي بروفنسال **الإسلام في المغرب و الأندلس**، و كتاب مونتغمري وات **في تاريخ اسبانيا الإسلامية.**

و اعتمدت أيضاً على مراجع كثيرة و مهمة منها **أضواء جديدة على المرابطين** لعصمت عبد اللطيف دندش، **المغرب الكبير** لعبد العزيز سالم، و **تاريخ المغرب العربي-الجزء الرابع- المرابطون صنهاجة الصحراء الملثمون في المغرب و السودان و الأندلس** لسعد زغلول عبد الحميد، و **تاريخ العرب السياسي في الأندلس** لسعدون نصر الله.

و إلى جانب هذه المصادر و المراجع اعتمدت أيضاً على مجموعة من المراجع باللغة الأجنبية، و كذلك بعض الرسائل الجامعية، و مجموعة من المقالات الواردة في الكتب و المجلات التاريخية، و هي مثبتة في القسم الخاص بها.

الشكر و العِرفان:

و أخيراً أود القول بأنه كل مـــا ورد في الرســـالة من خير فهو من فضــــل الله سبحانه وتعالى، ثم من فضل و جهد الأستاذة المشرفة على البحث الدكتورة لطيفة بن عميرة التي أفادتني كثيراً بتوجيهاتها القيّمة، و نصائحها السديدة، فلها كل الشكر و الثناء، و كل ما جاء في الرســـالة من نقص و عيب فَمِن نفسي، و من الشيطان. و رحم الله امرئاً أهدى إليَّ عيوبي، وأرجوا أن أجد من يُكمــــل النقص الموجود في هذه الرســـالة، فله مني كل العِرفـــان و التقدير. و لا يفوتني أن أوجه الشكر الجزيل إلى كل من أعانني من قريب أو بعيد لإتمام هذا العمل.

الفصل الأول
قيام دولة المرابطين

I- ظهور الدعوة المرابطية

II- بناء مراكش و تأسيس الدولة المرابطية

إن الكلام عن دولة المرابطين يدفعني إلى إثارة عدة مواضيع، لعبت فيها هذه الدولة دوراً فعالاً، جعلها تعطي لظهورها هذا، طابعاً خاصاً، يختلف كثيراً عن بقية الدول المستقلة التي عرفها المغرب الإسلامي خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة، ومن أهم هذه المواضيع التي يرتبط ذكرها بالمرابطين موضوع الفتوحات الإسلامية التي انتهجها المرابطون في بلاد المغرب، وكذلك بلاد الأندلس لإقامة صرح دولتهم.

وأتناول تحديداً في هذا الفصل هذه الفتوحات التي قام بها المرابطون لتأسيس دولتهم، انطلاقا من ظهور دعوتهم الأولى على يد الفقيه عبد الله بن ياسين، ثم عهد الأمير أبي بكر بن عمر، وُصُولاً إلى عهد الأمير يوسف بن تاشفين الذي يعد المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين، وباني عِزها وعظمتها سواء في المغرب أو في الأندلس.

I- ظهور الدعوة المرابطية:

1- الفقيه عبد الله بن ياسين:

بدأت دعوة المرابطين[1] بالظهور في بلاد المغرب[2]، في أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) على يد رجـــال تحدوهم نزعة إصلاحية. أول هؤلاء الرجـــال يحي بن

---

[1]- يُنتسب المرابطون الذين عرفوا بالملثمين إلى قبائل صنهاجة الجنوب، أعظم قبائل البربر، كان دينهم المجوسية شأن برابرة المغرب، إلى أن كان إسلامهم بعد فتح الأندلس. دام حكمهم حوالي 90 سنة تقريبا من (448-541)هـ ، و مجال حكمهم بلاد المغرب الأقصى، و جزء من المغرب الأوسط، والأندلس. (أنظر: ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطات الأكبر**، ج6، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971م، ص181 ؛ عبد الحميد خالدي: **العلاقات الثقافية بين المشرق و المغرب الأوسط من الفتح إلى نهاية الموحدين 50 هـ/ 670 م - 646 هـ/1266م**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2008م، ص 214).

2- هي بلاد البربر، كثيرة المدن و القرى، تمتد من برقة إلى طنجة طولاً، و عرضاً من البحر الرومي إلى الرمال أو بلاد السودان، و بلاد المغرب تُقسم إلى ثلاث مناطق المغرب الأدنى (إفريقية)، و المغرب الأوسط (الجزائر)، و المغرب الأقصى موطن نشأة دولة المرابطين، و مركز سلطتها مراكش. (أنظر : اليعقوبي: **كتاب البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت =

إبراهيم الجدالي[1]، الذي أراد إصلاح شؤون قبائل صنهاجة الصحراء[2]، التي كان أهلها لا يعرفون من تعاليم الإسلام إلى الشيء القليل، فتجهز لأداء فريضة الحج سنة 427هـ/ 1035م[3]، و في أثناء عودته منه، لقي بالقيروان[4] أبا عمران الفاسي[5] شيخ المذهب المـــالكي، فلزمه و استمع إلى

= ط1، 1988م، ص99- 100 ؛ المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، و ضع مقدمته و هوامشه و فهارسه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987م، ص183- 184 ؛ شيخ الربوة: **كتاب نخبة الدهر في عجاب البر والبحر**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1998م، ص309- 310).

1- تولى أمر قبائل صنهاجة بعد محمد بن نيفات اللمطي، و هو المشهور بين الناس بالعلم و التقوى، حيث كان شيخاً تقياً، ورعاً، يدعو إلى الحق، وكان أول من فكر في عملية الإصلاح الاجتماعي في صحراء المغرب الكبرى. (أنظر: ابن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق و تعليق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص226 ؛ عبد الحميد سعد زغلول: **تاريخ المغرب العربي المرابطون صنهاجة الصحراء الملثمون في المغرب والسودان والأندلس**، ج4، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1995م، ص170 ؛ عبد الحميد حاجيات و آخرون: **كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م، 2007م، ص164 ؛ نور الدين شعباني: **علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي و أثارها الحضارية بين القرنين الـــرابع و التاسع الهجريين /10 و 15 م**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2006م، ص56).

2- يعود لها الفضل في تأسيس دولة المرابطين، تنقسم إلى سبعين قبيلة منهم لمتونة، جدالة، مسوفة، لمطة، و في كل قبيلة بُطون و أفخاذ وقبائل. (أنظر: ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972م، ص120 ؛ عيسى بن الذيب: **الحواظر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م، مطابع دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، ص100).

3- تضاربت أقوال المؤرخين في تحديد تاريخ ذهاب يحي بن إبراهيم لأداء فريضة الحج، و لقائه الفقيه أبي عمران الفارسي بالقيروان. فذكر ابن عذارى و ابن خلدون أنه حدث في سنة 440هـــ، بينما جعلها ابن الأثير في سنة 448هـــ ، في حين اعتبرها ابن أبي زرع سنة 427هـــ، و هي الرواية الأصح حسب اعتقادنا، لأن الفقيه أبا عمران قد توفي سنة 430هـــ، حسبما ورد في كتب التاريخ و الطبقات، فكيف يلتقي معه يحي بن إبراهيم إن كان ذهابه إلى الحج سنة 440هـــ أو 448هـــ. (أنظر: ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص122 ؛ حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص108 ؛ شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي عصر الدول و الإمارات الجزائر المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان**، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1995م، ص275).

4- مدينة عظيمة بافريقية، و هي أجلّ مدينة بأرض المغرب جمعت بين طيب الهواء، و عذوبة الماء و جميع المحاسن، اختطها عقبة بن نافع الفهري، و كان فيها من العلماء و الفقهاء ما كان في البصرة. (أنظر: اليعقوبي: **المصدر السابق**، ص 104 وما بعدها ؛ ابن خرداذبة: **المسالك و الممالك**، تحقيق محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م، ص81 ؛ الزهري: **كتاب الجغرافية**، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت، ص109و ما بعدها عدة صفحات).

5- هو أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي الحاج الفاسي، نزيل القيروان، ولد سنة 368 هـــ، و أصله من فاس، تفقه بالقيروان ثم في قرطبة. و رحل إلى المشرق، و أخذ العلم بمصر، و مكة و بغداد، و كان فقيهاً عالماً ذو هيبة و وقار، توفي =

دروسه، و طلب منه أن يرسل إلى قومه تلميذاً يُفقههم في الدّين[1]. فعرض الشيخ على تلاميذه الأمر، فلم يقبل أحد منهم الذهاب معه لتلك الغاية[2]. فحمله رسالة إلى تلميذ له في سجلماسة هو وجاج بن زلو اللمطي[3]. فانتدب له وجاج تلميذاً تقياً من تلاميذه هو عبد الله بن ياسين الجزولي[4].

= سنة 430 هــ، وقبره مشهور بالقيروان. (أنظر: الدباغ: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق و تعليق محمد ناضور، ج3، المكتبة العتيقة، تونس، مكتبة الخانجي، مصر، 1978م، ص 159 و ما بعدها ؛ الذهبي: **العبر في خبر من غبر**، حققه وضبطه محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ج2، دار الكتب العلمـــــية، بيروت، د.ت، ص 264 ؛ أبو عمران الشـــــيخ و آخرون: **معجم مشاهير المغاربة**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1995م، ص 386-387 ؛ عبد الهادي التازي: **جامع القرويين المسجد و الجامعة بمدينة فاس، موسوعة التاريخ المعماري و الفكري**، مج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1972م، ص157- 158).

1- القاضي عياض: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق أحمد بكير محمود، ج2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت ، ص 781 ؛ ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، 1966م، ص 618 ؛ أبو راس الناصر: **الحلل السندسية في شأن وهران و الجزيرة الأندلسية – أو – الخبر المعرب عن الأمر المغرب الحال بالأندلس و ثغور المغرب**، تحقيـــق و تقـــديم ســـليمة بنعمر، دار صنين للطبـــاعة و النشر، ليبيا، ط1، 2002م، ص 233 -234).

2- عدم قُبول تلاميذ الشيخ أبو عمران الذهاب إلى قبائل صنهاجة رفقة يحي بن إبراهيم يرجع حسب معظم المؤرخين إلى بُعد الدار و مشقة السفر، و الانقطاع عن الأهل في الصحراء. و لكن هذا الطرح وجد معارضة من قبل الأستاذ حسن أحمد محمود الذي يعتقد بأن الإمام أبا عمران لم يعرض الذهاب أصلاً على تلاميذه، و كان حريصاً على أن يرسل فقيهاً من البربر يعرف البيئة المُلثمة معرفة تامة، و لهذا بعث برسالة إلى تلميذه وجاج بسجلماسة، فاختار ابن ياسين الجزولي. (أنظر: ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص123 ؛ مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979م، ص20 ؛ حسن أحمد محمود، **المرجع سابق**، ص111- 112 ؛ عبد الله كنون: **ذكريات مشاهير رجال المغاربة، عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين**، مطابع دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1994م، ص7).

3- من أهل السوس الأقصى، رحل إلى القيروان فأخذ عن أبي عمران الفاسي، ثم عاد إلى السوس فبنى دار سماها دار المرابطين لطلبة العلم وقُرَاءِ القرآن، وكان مشهوراً بالخير و العبادة و التُقى. (أنظر: ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص123 ؛ مجهول، **الحلل الموشية**، ص20 ؛ محمود السيد: **تاريخ دول المغرب العربي ليبيا – تونس – الجزائر- المغرب- موريتانيا**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م، ص221).

4- مجهول، **الحلل الموشية**، ص 20 ؛ مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث**، تقديم و تصحيح محمد الميلي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1976م، ص 653.

أ- مولده و نشأته:

ولد عبد الله الجزولي[1] من أب صنهاجي يدعى ياسين بن مكوك بن سير بن علي، واسم أمه تين يزامارن[2] من أهل جزولة، من قرية تسمى تماماناوت في طرف صحراء مدينة غانة[3]، في غرب إفريقيا على تخوم بلاد السودان[4].

و لم تذكر كتب التاريخ شيئاً عن طفولته، و تاريخ ولادته، حيث اكتفت بذكر تحصيله للعلم عند فقيه السوس وجاج بن زلو اللمطي[5]، الذي أنشأ داراً لطلبة العلم تدعى دار المرابطين[6]، و التي تُعَدُ المدرسة الأولى التي نَهل منها عبد الله بن ياسين العلوم، ثم ذكرت المصادر التاريخية بأنه رحل إلى بلاد الأندلس عهد ملوك الطوائف، فأقام بها سبع سنين، و حصل فيها على علوم كثيرة[7]. فأصبح بذلك فَقِيهاً في أمور الدّين و الدنيا. و قد وصفه السلاوي بقوله أنه كان من حُذَاقِ الطلبة و من أهل الفضل و الدّين و الورع و السياسة[8].

و عند رجوعه إلى المغرب الأقصى أصبح من خيرة طلاب الفقيه وجـــاج بن زلو الذي

1- نَسَبَهُ البعض إلى قبيلة جزولة، و البعض الآخر إلى قبيلة جدالة، و الرأي الأخير أقرب إلى الحقيقة لأنه من السهّل جداً أن يحرف الرواة اسم الجدالي فيصبح الجزولي بسبب خطأ النسخ أو عدم التحقيق. (أنظر: حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 114-115).

2- البكري: **المسالك و الممالك**، تحقيق أدريان فان ليوفن واندري فيري، ج2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م، ص859.

3- أكبر بلاد السودان قُطْراً، و أكثرها خَلْقًا، يقصدها التجار من جميع البلاد المحيطة بها. (أنظر: البكري، **المصدر السابق**، ص 859 ؛ ابن الفقيه الهمداني: **مختصر كتاب البلدان**، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988م، ص83).

4- عبد الحميد سعد زغلول، **المرجع السابق**، 174/4.

5- حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص116 ؛ دندش عصمت عبد اللطيف: **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430- 515هـ، 1038-1121م، مع نشر و تحقيق رسائل أبي بكر بن العربي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1969م، ص35.

6- القاضي عياض، **المصدر السابق**، ص781 ؛ الزركلي: **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، مج4، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1986م، ص144.

7- مجهول، **الحلل الموشية**، ص20 ؛ ابن عذارى: **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، تحقيق و مراجعة إحسان عباس، ج4، دار الثقافة، بيروت، ط5، 1998م، ص10 ؛ العباس بن إبراهيم السملالي: **الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام**، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، ج8، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 2002م، ص184 ؛ شعيرة: **المرابطون تاريخهم السياسي (430- 529هـ)**، مكتبة القاهرة الحديثة، ط1، 1969م، ص35.

8- السلاوي الناصري أحمد بن خالد: **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية و الموحدية**، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ص7.

اختاره فيما بعد لكي يكون مرافقاً ليحي بن إبراهيم الجدالي إلى قبائل صنهاجة الجنوب لِيُفقههم في الدّين[1].

دخل عبد الله بن ياسين الصحراء صحبة أمير جدالة يحي بن إبراهيم، و كانت لمتونة[2] أول القبائل التي استقرا بها، فلما وصلا نزل يحي بن إبراهيم عن راحلته، و أخذ بزمام البعير الذي كان يركبه عبد الله تعظيماً له[3]. و كان يُعَرِفَهُ للناس قائلاً لهم " هذا حامل سنة رسول الله"[4]، وقد تلقاهما الناس بالإكرام و فرحوا بقدومهما غاية الفرح.

هذا ما شجع ابن ياسين على الإقبال على تعليم الناس القرآن و السنة النبوية[5]، خاصة بعـــد أن وجد أكثر الملثمين[6] ، لا يصلون ، و لا يعرفـــون من الإسلام إلا اسمه[7]، و وجدهم قد

1- السلاوي، **المصدر السابق**، 7/2 ؛ ابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس**، مطبعة الدولة التونسية بحضارتها المحمية، ط1، 1869م، ص102 ؛ كارل بروكلمان: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1998م، ص318 ؛ جورج مارسيه: **بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة الانتصار، الإسكندرية، 1991م، ص272.

2- من أكبر قبائل صنهاجة الصحراء، تمتد بلادها على شواطئ المحيط الأطلسي من منطقة تلي لمطه و جزولة، و هي تملك الزعامة على غيرها من القبائل الصنهاجية خاصة في عهد المرابطين. (أنظر: ابن حوقل: **صورة الأرض**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص101 ؛ الإدريسي: **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس ، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق**، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص125 ؛ عيسي بن الذيب: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 448 هـ- 540هـ/ 1056م – 1145م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2009م، ص7- 8).

3- الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ج18، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1986م، ص426 ؛ ابن خليل غلبون الطرابلسي: **تاريخ طرابلس و ما كان بها من الأخبار**، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1930م، ص65.

4- دندش، **المرجع السابق**، ص64.

5- أبو عمران الشيخ وآخرون، **المرجع السابق**، ص557.

6- أُطلق اسم الملثمين على جميع قبائل صنهاجة الصحراء، لأنهم يُغَطُّونَ وجوههم بلثام، و يتخذونه شعاراً لهم. (أنظر: ابن عبدون: **رسالة في آداب الحسبة و المحتسب**، نُشرت ضمن ثلاث رسائل أندلسية، تحقيق ليقي بروقنسال، مج2، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص28 ؛ ابن خليل غلبون الطرابلسي، **المصدر السابق**، ص65، هامش1 ؛ شعيرة، **المرجع السابق**، ص31).

7- الصلابي علي محمد: **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، مكتبة الصحابة، الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة، ط1، 2001م، ص22.

انحرفوا عن معالم العقيدة الصحيحة، و تلوثت أخلاقهم و أحكام دينهم، و لأجل ذلك لقي عبد الله صعوبات كبيرة في إقناع الناس. و اصطدمت تعاليمه بمصالح الأمراء و الأشراف ، فثاروا عليه و كادوا يقتلونه[1]، فعزم على ترك قبيلة لمتونة، والعودة من حيث أتى، لو لا أن يحي بن إبراهيم ألح عليه و طلب منه أن يُصاحبه إلى الجنوب، نحو قبيلة جدالة[2]، قائلاً له:" أني لأتركك تنصرف و إنما أتيت بك لأنتفع بعلمك في خاصة نفسي و ديني، و ما عليّ فيمن ضلَّ من قومي"[3]. و قد قام بهذا العمل عَلَهُ يجد في قومه، قبيلة جدالة، المعونة و التأييد لتحقيق غايته في إبقاء ابن ياسين بجواره.

ب- إقامته للرباط:

قرر الفقيه عبد الله بن ياسين أن يرحل إلى قبيلة جدالة مع الأمير يحي بن إبراهيم الذي أصبح أكبر تلاميذه[4]، و عزم على الانقطاع للعبادة في الأماكن النائية [5]، و ذلك عن طريق إنشاء

1- يُجمع معظم المؤرخين أن سبب إعراض الناس عن ابن ياسين يعود إلى تشدده في النهي عن المنكر، فحاولوا التصدي له، حيث يذكر البكري حادثة تعرض لها ابن ياسين، تسبب فيها أحد فقهاء صنهاجة اسمه الجوهر بن سكم الذي قام بمساعدة رجلين من كِبَارِ القوم بهدم داره، و نهب ما كان فيها من أثاث. (أنظر: **المسالك و الممالك**، 859/2-860 ؛ ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص124 ؛ المختار ولد حامد: **موسوعة حياة موريتانيا، التاريخ السياسي**، دار الغرب الإسلامي، ط$_1$، 2000م، ص124 ؛ زينب مليابي: **التصوف بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2007م، ص3).

2- من قبائل صنهاجة، تمتد نحو الجنوب حتى نهر السنغال، و هي أوفر مالاً وأكثر استقراراً. (أنظر: حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص46 ؛ عيسي بن الذيب، **المرجع السابق**، ص8-9).

3- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص124 ؛ سعدون عباس نصر الله: **دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين**، دار النهضة العربية، بيروت، ط$_1$، 1985م، ص23.

4- يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة**،ج$_1$، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص176 ؛ محمود شاكر: **التاريخ الإسلامي الدولة العباسية**، ج$_1$، المكتب الإسلامي، بيروت، ط$_5$، 1991م، ص236.

5- يحي بوعزيز، **المرجع السابق**، 176/1.

رباط[1]، مُتَبعاً في ذلك سُنة معلمه وجاج بن زلو اللمطي، مؤسس رباط نفيس[2]، و ممتثلاً لقوله تعالى: ((يَاأَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صَابِرُوا وَ رَابِطُوا وَ اتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))[3] و لقوله صلى عليه وسلم ((رِبَاط يَوْمٍ فِي سَبِيلِ الله خَيرٌ من الدُّنياَ و مَا عَلَيْهَا، و مَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنْ الجَنَّةِ خَيرٌ من الدُّنْيَا وَ مَا عَلَيْهَا، و الرَّوْحَةُ يُرَوُحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ الله أو الغُدْوَةُ خَيرٌ من الدُّنيا و ما عَلَيْهَا))[4]. و قد اعتبر الأستاذ حسن أحمد محمود أنه إثر إنشاء الرباط[5]، بدأ الدور الإيجابي لدعوة الفقيه عبد الله بن ياسين[6]، حيث كان لهذا الرباط الذي أنشأه في إحدى جزر مصب نهر السنغال[7] الفضل في نجاح دعوته، و استمرار قيامها رغم وفاته في إحدى المعارك بعد ذلك بيسير.

1- جَمْعُهَا رُبُطْ، و يعني لغةً ما يُربط به الخيل، أو مُلازمة ثغر العدّو. (أنظر: ابن منظور: **لسان العرب**، ج7، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م، ص103 ؛ الزمخشري: **أساس البلاغة**، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص151؛ مرتضى الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق علي شيري، مج10، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1994م، ص259- 260).

2- مدينة من بلاد المغرب عند أغمات تعرف بالبلد النفيس، بينها و بين البحر مسيرة يوم، يسكنها البربر أكثرهم من قبائل مصمودة. (أنظر: البكري، **المصدر السابق**، 851/2 ؛ الحميري محمد بن عبد المنعم: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، دار القلم للطباعة، لبنان، 1975م، ص578).

3- سورة: **آل عمران**، الآية 200.

4- البخاري: **صحيح البخاري**، **(باب فضل رباط يوم في سبيل الله)**، مج2، ج4، دار إحيـــاء التراث العـــربي، بيروت، د. ت، ص43.

5- من كلمة رباط أشتق اسم دولة المرابطين، و هناك من أرجعها إلى شدة صبرهم وحسن بلائهم في المعارك. (أنظر: محمد الأمين بلغيث: **فصول في التاريخ و العمران بالغرب الإسلامي**، منشورات أنتر سيتي، الجزائر، ط1، 2007م، ص37 و ما بعدها ؛ عبد الحميد تيطراوي: **أهم محطات تاريخ الجزائر القديم و الوسيط**، دار الخلدونية، الجزائر، 2003م، ص58 ؛ (أنظر: حول الرباط: محمد الأمين بلغيث: **الربط بالمغرب الإسلامي و دورها في عصري المرابطين و الموحدين**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 1987م.

6- حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص123.

7- لم تُحدد المصادر التاريخية المكان الذي أقيم فيه الرباط، حيث ذكر ابن أبي زرع بأنه في جزيرة في البحر، وقال ابن خلدون في مكان يحيط به بحر النيل، و لهذا اختلفت المراجع الحديثة في تحديد المكان بدقة، حيث قال بعضهم في بلدة أوليل، و قال البعض الأخر على حدود صحراء تارودانت، و أكثرهم قال في إحدى جزر مصب نهر السنغال، و هو الأقرب إلى الحقيقة باعتبار المكان يقع بين مضارب الملثمين، و الزنوج، و كان ابن ياسين يرمي إلى الجهاد، و نشر الإسلام في ديار الزنوج، و كذلك لوقف عدوانهم على الملثمين. (أنظر: حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص124 و ما بعدها ؛ عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي: **مختصر تاريخ الجزائر السياسي و الثقافي و الاجتماعي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص99.

André clôt : **l'Espagne musulmane**, Perrin, édition Paris, 1999, p196 ; Mouloud Gaid : **Les Berberes dans l'histoire de la Kahina à l'occupation Turque**, tome$_2$, Editions Mimouni, 2009, p89.

و قد رافقه في رحلته التعبدية هذه الأمير يحي بن إبراهيم، و سبعة رجال من قبيلة جدالة[1]، و يحي بن عمر، و أخوه أبو بكر بن عمر اللمتونيين[2]، اللّذين سيكون لهما دور كبير في بناء صرح دولة المرابطين[3].

و مكثوا في هذه الجزيرة[4]، يُعلمهم ابن ياسين العقائد الصحيحة[5]، و يُقرئهم القرآن و يَستميلهم إلى الخير، و يُرغبهم في ثواب الله، و يُحذرهم ألم عِقابه،حتى تمكن حُبهِ من قلوبهم[6]، و غدا في نظرهم في مرتبة الأولياء الصالحين[7].

و لم يلبث أن تســـامع الناس بأخبار هؤلاء المرابطون، فكثر القادمون عليهم[8]، حتى بلغ

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص125 ؛ السلاوي، **الإستقصا**، 8/2 ؛ يحي بوعزيز، **المرجع السابق**، ص176.

2- ابن خلدون، **المصدر السابق**، 183/6 ؛ ثريا عبد الفتاح ملحس: **المرابطون اللمتونيون بين القرنين الخامس والسادس للهجرة أصلهم، نشأتهم، دولتهم، أخبارهم**، الشركة العالمية للكتاب، و دار الكتاب اللبناني، ط1، 1988م، ص15-16؛ رشيد بورويبة و آخرون: **الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني**، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1994م، ص294.

3- فاطيمة هارون: **السلطة العلمية بالأندلس في عصر المرابطين 445هـ-541هـ/1056م-1147م ابن رشد الجد أنموذجا 520هـ/1126م**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2009م، ص36.

4- لم تذكر المصادر التاريخية مُدة بقاء ابن ياسين و رفاقه في الرباط بالجزيرة، ما عدا ابن أبي زرع الذي جعلها مُدة ثلاثة أشهر، و خالفه في ذلك الأستاذ حسن أحمد محمود حيث يعتقد أن المدة كانت طويلة و بلغت حوالي سبع سنوات، و يخيل إلينا أن الرأي الأخير هو الأقرب إلى الحقيقة باعتبار أن هذه الجزيرة التي تقع في مصب نهر السنغال معزولة و بعيدة نِسْبياً عن مواطن قبائل صنهاجة، و بالتالي يصعب وصول حوالي ألف رَجُلٍ إليها في مدة ثلاثة أشهر، كما أن تعليمهم و إرشادهم من طرف معلم واحد و هو ابن ياسين يحتاج إلى وقت طويل، خاصة أنهم لا يعرفون من الدّين سوى الشهادتين، والقليل من فرائض الإسلام حسب أغلب المؤرخين .(حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص127).

5- محمد الأمين بلغيث: **النظرية السياسية عند المرادي و أثرها في المغرب والأندلس**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص50.

6- عبد الله الجراري: **دروس التاريخ المغربي في ملخص الدولتين اللمتونية والموحدية**، ج2، المطبعة الاقتصادية، الرباط، ط1، 1936م، ص14 ؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين: **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، 2008م، ص40.

7- عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **موسوعة تاريخ المغرب العربي، المغرب العربي بين الفاطميين والمرابطين و الموحدين296-668هـ/ 910- 1270م**، مج2، ج3، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1994م، ص121.

Gaid Mouloud : **les Berbers dans l'histoire, les Mourabitines d'hier et les Marabouts d'aujourd'hui**, tome7, édition Mimouni, p 14.

8- إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ من عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية دولة الموحدين**، ج1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط2، 1984م، ص159 ؛ محمود السيد: **تاريخ إفريقيا القديم والحديث**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006م، ص81.

عددهم نحو ألف رجل[1]، من أشراف صنهاجة، و استمر ابن ياسين في تهيئتهم رُوحِياً، و خُلُقِياً و اجتماعياً، و سياسياً و عسكرياً. و أخلص له هؤلاء الرجال و أطاعوه طاعة عمياء[2]. و كان يحي بن عمر اللمتوني[3] أشد الناس طاعةً و انقياداً له[4]، فدعاهم إلى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة[5]، و بهذا تبدأ مرحلة جديدة في دعوة الفقيه عبد الله، و هي مرحلة الغزو و الفتح في قبائل صنهاجة و بلاد السودان الغربي[6].

ج- فتوحاته:

تمكن الفقيه عبد الله بن ياسين من إعداد أتباع مخلصين له، ولمّا رأى أنهم أصبحوا يُشكلون قوة لا يستهان بها، ندبهم إلى الجهاد، و للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، من أجل إنقاذ بلاد المغرب الأقصى من التجزئة و التفرقة[7]. فخاطبهم قائلاً: " يا معشر المرابطين إنّكم جمعٌ كثيرٌ، و أنتم وجوه قبائلكم و رؤساء عشائركم، و قد أصلحكم الله تعالى و هداكم إلى صراطه

1- أحمد شبلي: **التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الأندلس الإسلامية، المغرب، الجزائر، تونس، و ليبيا، من مطلع الإسلام إلى العهد الحاضر**، ج4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1969م، ص181.

2 - السيد عبد العزيز سالم: **المغرب الكبير، العصر الإسلامي** ،ج2، دار النهضة العربية، بيروت،1981م، ص695.

3- أبو زكرياء يحي بن عمر بن تلاكلاكين، من رؤساء لمتونة، اختاره الفقيه ابن ياسين لقيادة المرابطين بعد وفاة يحي بن إبراهيم الجدالي سنة 440هـ، و قد جلب له ذلك عداوة أهل جدالة، و لكنه ثبت على الأمر، وأقّر بإمارة يحي بن عمر بعد أن اعتمد على الشورى، ورأى أنه الأصلح . (أنظر: أحمد مختار العبادي: **في تاريخ المغرب و الأندلس**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2005م، ص244).

4- البكري، **المصدر السابق**، 861/2 ؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص228.

5- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص125.

6- تقع هذه البلاد جنوب المغرب الأقصى، و هي بُلدان عريضة إلا أنها قَفِرَةٌ، الناس بها أشد الأمم سواداً . (أنظر: الاصطخري: **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة شفيق غربال، الجمهورية العربية المتّحدة، 1961م، ص34 وما بعدها ؛ المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1988م، ص164).

7- يتقاسم المغرب الأقصى عند ظُهور المرابطين أربع قوى كبرى و هي: قبائل غمارة في الشمال و موطنها جبال الريف، إمارة برغواطة في تامسنا، الإمارات الزناتية و أهمها إمارة بن خزرون في درعة و سجلماسة، و إمارة بن زيري في فاس، وإمارة بني يفرن في سلا و تادلا، وآخر هذه القوى مجموعة البجليين في منطقة السوس و مجموعة طوائف الوثنيين في نواحي الأطلس الكبير. (أنظر: الصلابي، **المرجع السابق**، ص55 و ما بعدها عدة صفحات ؛ خليل إبراهيم السامرائي و آخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2000م، ص251).

المستقيــم، فوجب عليكم أن تشكروا نِعْمَتَهُ عليكم، و تــأمروا بــالمعروف، و تنهوا عن المنكر، و تجاهدوا في سبيل الله حق جهاده"[1]، فاستجاب القوم لندائه حيث قالوا له:" أيها الشيخ المبارك مُرْنَا بما شئت تجدنا سامعين مُطيعين، ولو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا"[2]، فسمح لهم بالخروج بعد أن ينذروا قومهم و عشيرتهم سبعة أيام[3]، وعندما رفض القوم إجابة هؤلاء المرابطين، شرع في الغزو بنحو ألف رجل[4] على قبائل صنهاجة، مبتدئاً بقبيلة جدالة التي تآمرت عليه إثر تولية يحي بن عمر اللمتوني كأمير على المرابطين مكان يحي بن إبراهيم الجدالي[5]، فأوقع فيهم الهزيمة بعد أن قتل منهم ستة آلاف رجل، و أسلم من بقي منهم إسلاماً صحيحاً[6]. ثم غزا لمتونة التي جنحت للسلم و دخلت في طاعة ابن ياسين ثم توجه بعد ذلك إلى قبائل مسوفة[7]، و لمطة[8]، و سائر قبائل صنهاجة فغزاهم حتى أذعن الجميع، و استقامت السبل و قرئ القرآن، و أديت الزكاة و أقيمت الصلاة[9]، و استقاموا على الإسلام الصحيح[10].

و في عام 444 هـ /1045م بعث فقهاء درعة[11] و سجلماسة[12] بكتبهم إلى عبد الله

1- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص125.

2- **نفسه.**

3- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص228.

4- ابن الخطيب، **نفس المصدر** و الصفحة ؛ ابن خلدون، **العبر**، 183/6.

5- أحمد مختار العبادي: **في التاريخ العباسي و الأندلسي**، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص483 ؛ سعدون نصر الله: **تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة(20-798هـ)(640-1492م)**، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003م، ص254.

6- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص228.

7- من قبائل صنهاجة المشهورة، تقع بين سجلماسة في الشمال و أودغست في الجنوب يعتمد أهلها في معيشتهم على لحوم الأغنام وألبانها. (أنظر: ابن خلدون، **المصدر السابق**، 181/6 ؛ عيسي بن الذيب، **المغرب و الأندلس في عصر المرابطين**، ص9).

8- أرض لقبيلة من البربر بأقصى المغرب من البَرِّ الأعظم و إليهم تُنسب الدِرَقُ اللمطية. (أنظر: الحموي، **معجم البلدان**، مج5، دار صادر، بيروت، 1979م، ص23 ؛ شيخ الربوة، **المصدر السابق**، ص 315).

9- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام** ،ص228.

10- السيد عبد العزيز سالم، **المرجع السابق**، 696/2.

11- بلدة يسكنها البربر بها سور و أسواق و قرى متصلة و عمارات و مزارع كثيرة، و هي على نهر سجلماسة النازل إليها. (أنظر: الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج1، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1989م، ص227 ؛ إسماعيل العربي: **المدن المغربية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص119 و ما بعدها).

12- مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان،كبيرة عامرة، و هي من أحسن المدن، كثيرة الخُضَرِ و الجنات. (أنظر: ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص90-91 ؛ ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار**، تحقيق طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص684).

ابن ياسين و الأمير يحي بن عمر اللمتوني[1]، يشكون ممّا يقع في بلادهم من ضروب الظلم و الخروج عن أحكام الدّين، و يطلبون منهما القدوم لإشاعة العدل، و لوضع حد لمظالم بني وانودين[2]، فخرج الجيش المرابطي بقيادة ابن ياسين سنة 445هـ/1053م إلى مدينة درعة التي استولوا عليها، ثم اتجهوا نحو مدينة سجلماسة بعد أن خاطبوا أهلها و رئيسهم، فلم يُجيبوهم إلى ما أرادوا فغزوهم في جيش عدته ثلاثون ألف جمل[3]، فقتلوا أميرها مسعود بن وانودين[4]. و استولوا على مدينة سجلماسة، فاستأصلوا معالم الفساد و اللّهو فيها، و أسقطوا المُكوس و المغارم عن أهلها[5]، و كان ذلك بداية الفتح المرابطي للمغرب الأقصى.

و قد عَبَّدَ الاستيلاء على درعة و سجلماسة الطريق لجموع المرابطين للاتجاه نحو الجنوب لمحاولة فتح أودغست[6] في حدود سنة 446 هـ / 1054م[7] ، و التي كانت خاضعة

1- يذكر ابن خلدون أنه من بين الفُقهاء الذين اتصلوا بالفقيه ابن ياسين لمحاربة أهل درعة و سجلماسة أستاذه وجاج بن زلو اللمطي. (ابن خلدون، **العبر**، 183/6).

2- حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين**، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م، ص23 ؛ خليل إبراهيم السامرائي و آخرون: **تاريخ المغرب العربي**، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004م، ص293 ؛ رابح بونار: **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، ص236.

3- البكري، **المصدر السابق**، 861/2 ؛ بان علي محمد البياتي: **النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (3-5)هـ/(9-11)م** ، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة بغداد، قسم التاريخ، 2004م، ص26.

4- مسعود بن وانودين بن خزرون بن فلفول المغراوي، أمير سجلماسة، و درعة، قتله المرابطون سنة 445هـ/1053م؛ (مجهول، **الحلل الموشية**، ص22).

5- ابن كثير: **البداية و النهاية**، تحقيق محمود بن الجميل، ج6، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 2006م، ص802 ؛ صلاح عبد الهادي مصطفى: **إسهام المرابطين في نشر الإسلام في الشمال الإفريقي و السودان الغربي خلال القرن 5 هـ /11م**، منشور ضمن مجلة المؤرخ العربي عدد31 تصدر عن الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب، بغداد، السنة13، 1987م، ص206.

6- مدينة لطيفة من بلاد السودان بينها و بين غانة خمسة عشر يوماً، فيها أسواق و نخل كثير و أشجار الحناء. (أنظر: ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص91 ؛ البكري، **المسالك و الممالك**، 862/2 ؛ ابن سعيد المغربي: **كتاب الجغرافيا**، تحقيق و تعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1970م، ص113- 114).

7- البكري، **المصدر السابق**، ج2، ص862 ؛ محمد بن عميرة: **تعليقات حول آراء J.DEVISSE الخاصة بسكان أودغست في القرون 3- 4- 5هـ/9- 10-11م**، منشور ضمن مجلة حولية المؤرخ، العدد6، يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، دار الكرامة للطباعة و النشر، 2005م، ص62.

لمملكة غانة، فاستولوا عليها و هكذا ارتبطت غانة برباط الإسلام[1] ، و أصبحت طرق التجارة التي تربط بين المغرب و بلاد السودان تحت نفوذ المرابطين. و استطاع ابن ياسين في هذه الفترة أن يضع ثلاث لبنات في صرح دعوة المرابطين، حيث أخضع غانة، و قهر جدالة، و استمال لمتونة[2].

و رغم وفاة الأمير يحي بن عمر سنة 448 هـ/1056م[3]، إلاّ أن عزيمة الفقيه عبد الله ابن ياسين في مواصلة الفتوحات العسكرية لم تتوقف، حيث قام بتعيين أبي بكر بن عمر اللمتوني أميراً على المرابطين[4]، و عزم على فتح بلاد السوس الأقصى، و تقوّى مركزه بعد انضمام جيوش جزولة و لمطة إلى معسكره، فقاتل المرابطون الشيعة الرافضة في تارودانت[5]، و تمكنوا من فتحها، و فتح ماسة[6]. و بذلك استولوا على السوس بأسره سنة 448 هـ/ 1056م[7]، و أرغم ابن ياسين أهل السوس على العودة إلى أحوال الدّين الإسلامي الصحيحة، بعد أن عيّن عُمَّالاً مرابطين على مُدنه، و أقاليمه، و أمرهم أن يطبقوا أحكام الإسلام بدقة[8].

ثم ارتحـــل إلى بلاد المصـــامدة ففتح جبل درن[9] ، و مدينة نفيس، واستـــولى على بلاد

1- و.يوفيل: **العهد الذهبي لتجارة المسلمين في شمال إفريقيا وغربها**، منشور ضمن مجلة الأصالة، العددان 58-59، تصدرها وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، السنة السابعة، 1978م، ص69.

2- حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص152.

3- قُتل في جبل لمتونة من طرف جيوش قبيلة جدالة. (أنظر: البكري، **المصدر السابق**، 862/2 ؛ ابن عذارى، **المصدر السابق**، 14/4).

4- أخذ له البيعة من شيوخ القبائل و قلده أمر الحرب. (ابن خلدون، **المصدر السابق**، 182/6 ؛ مجهول، **الحلل الموشية**، ص23).

5- بلد من بلاد السوس، بينها و بين درعة حوالي أربعة أيام، بها فواكه كثيرة كالجوز و التين والعنب. (أنظر: الإدريسي، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**، ص130- 131 ؛ ابن سعيد، **المصدر السابق**، ص124).

6- قرية على البحر، تحمل إليها التجارات، و هي من إقليم السوس بجانب تارودانت. (اليعقوبي: **وصف إفريقيا الشمالية مأخوذة من كتاب البلدان**، اعتنى بتصحيحه ونشره هنري بيرس، مكتبة الدروس العليا الإسلامية، الجزائر، 1960م، ص17).

7- الجراري عبد الله بن العباس، **المرجع السابق**، ج2، ص21-22 ؛ السيد عبد العزيز سالم، **مرجع سابق**، 697/2.

8- يحي بوعزيز، **المرجع السابق**، ج1، ص178.

9- جبلٌ عظيمٌ بأرض البربر، و لا جبل مثله في السُمو، وكثرة الخصب، وطول المسافة، واتصال العمارات. (أنظر: الزهري، **المصدر السابق**، ص116 ؛ المقريزي: **جنى الأزهار من الروض المعطار**، تقديم و تحقيق و تعليق محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2006م، ص59).

جدميوة، و امتد نفوذه إلى واد درعة و بلاد رجراجة[1]، و بعد ذلك ولى المرابطون وجوههم شطر الجنوب الشرقي نحو مدينة أغمات[2]، و استولوا عليها سنة 449هـ/1057م[3]، و بها يومئذ أميرها لقوط بن يوسف المغراوي[4]، الذي فرّ إلى تادلا[5]، فقصدها جيش المرابطين، وفتحها، و ظفر بلقوط المغراوي و قتله[6]، و استولى بذلك المرابطين على أغمات، و بلاد السوس و أعمالها، و تطلع ابن ياسين لفتح تامسنا حيث توجد قبائل برغواطة[7].

د- وفاته:

رأى الفقيه ابن ياسين أنه من الواجب تقديم جهاد قبائل برغواطة أهل الضلالة و الكفر على غيرهم، فسار بقواته رُفْقَةَ الأمير أبي بكر بن عمر إلى إقليم تامسنا[8]، وصمم على الفَتْكِ بهم، و القضاء عليهم[9]. فاشتعلت الحرب بين الفريقين هلك فيها ما لا يُحصى من الخلق، وفي ميدانهـا أصيب عبد الله بن يـاسين بجروح، توفي متأثراً بها يوم الأحد 24 جمادى الأولى سنة

1- السيد عبد العزيز سالم، **المرجع السابق**، 697/2.

2- بلد من بلاد البربر، قريب من مراكش، كثير الخير فيه مراعي و مزارع في سهل و جبل. (أنظر: اليعقوبي، **المصدر السابق**، ص17 ؛ ابن عبد الحق: **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع، و هو مختصر معجم البلدان لياقوت**، تحقيق و تعليق على محمد البجاوي، ج1، دار إحياء الكتب العربية، عيسي البابي الحلبي و شركاؤه، ط1، 1954م، ص98).

3- البكري، **المصدر السابق**، 863/2.

4- لقوط بن يوسف بن علي المغراوي الزناتي، أسس إمارة في أغمات، وكان يجاور أبناء عمومته بني يفرن في تادلا. (أنظر: عبد الله كنون، **المرجع السابق**، مج 4، ص 23).

5- أهلها أخلاط من البربر، منها إلى أغمات مسيرة أربعة أيام، بها أرزاق و معايش و خصب و نِعَمٌ شتى. (أنظر: الإدريسي، **المصدر السابق**، ص144).

6- ابن خلدون، **العبر**، 183/6 ؛ السملالي، **المرجع السابق**، 197/1.

7- اختلف المؤرخون في نسب برغواطة، بعضهم يُلحقهم بزناتة، و بعضهم يقول بأن نسبهم يعود إلى صالح بن طريف البرغواطي، و هو من أصل يهودي جاء من الأندلس. و الأقرب للحقيقة هو الطرح الثالث الذي يقول أنهم أخلاط من البربر اجتمعوا إلى صالح بن طريف الذي قَدِمَ إلى تامسنا فاتبعه الناس بعد أن خدعهم بإظهار الزُهد و الصلاح، وقد ادعى النبوة، و وضع قرآناً. (أنظر: السملالي: **المرجع السابق**، ج1، ص197 – 198 ؛ سحر السيد عبد العزيز سالم: **من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ص3 و ما بعدها).

8- من بلاد المصامدة من أغنى و أخصب بلاد المغرب الأقصى، و أهلها يحترف الزراعة. (أنظر: عيسى بن الذيب: **المغرب و الأندلس في عصر المرابطين**، ص 23 و ما بعدها).

9- يحي بوعزيز، **المرجع السابق**، 179/1.

451هـ/ 1059م[1]، و دُفِنَ بموضع يُطِلُ على واد كريفلة[2]، على مقربة من مدينة الرباط، وبُني على قبره مسجد لا يزال حتى الآن[3].

و لّما أحس عبد الله بدنو أجله جمع أشياخ صنهاجة، و أوصاهم قائلاً: "يا معشر المرابطين أنا مَيِّتٌ في يومي هذا، و أنتم في بلادِ أعدائكم، فإياكم أن تخنثوا، و تفشلوا، وتذهب ريحكم، كونوا ألفة على الحَقِ، وإخواناً في الله، و إياكم و المخالفة، و التحاسد على الدنيا، و إني ذاهب عنكم، فانظروا من ترضونه لأمركم يقود جيوشكم، و يغزو أعداءكم، ويُقسم فيكم زكاتكم و أعشاركم"[4].

و قد عمل شيوخ المرابطين بوصية الفقيه ابن ياسين الذي كان حريصاً على الخير والصلاح لقومه، حيث قاموا بتجديد عهده، بمبايعة أبي بكر بن عمر اللمتوني كأمير على المرابطين.

2- الأمير أبو بكر بن عمر:

أ- مولده و نشأته:

لم تذكر كتب التاريخ شيئاً عن ولادة و نشأة الأمير أبي بكر بن عمر، ما عدا إشارات مقتضبة أوردها صاحب الروض القرطاس حول نسبه حيث ذكر اسم أبيه و هو عمر بن تلاكاكين بن ورتـــانطق اللمتـــوني[5]، و اسم أمه صفية و هي امرأة حرة من قبيلة جدالة[6] ، كما

1- ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص16 ؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص230.

2- الجراري، **المرجع السابق**، 25/2 ؛ رابح بونار، **المرجع السابق**، ص 227.

3- حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر و المغرب و الأندلس، 447 - 656 هـ/ 1055- 1258م**، ج4، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، 1996م، ص275.

4- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص230.

5- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص133. و يختلف معه ابن الخطيب في نسب أبي بكر حيث ينسبه إلى تلاكاكين بن ترحوت بن زرياط اللمتوني. (ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص231).

6- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص133.

Gaid Mouloud, **OPCIT**, p15.

اكتفى ابن عذارى في البيان المغرب بذكر أن أبا بكر هو أخو يحي بن عمر، و أن له ابنين هما إبراهيم و يحي، فأما يحي فيعرف بابن عائشة[1]، و أما إبراهيم فلم تُعرف أمه و كان أسود البشرة[2].

و بدأت المصادر التاريخية تذكر الأمير أبا بكر بن عمر تحديداً، عندما دخل رفقة أخيه يحي بن عمر، و بعض الرجال من قبيلة جدالة في رباط الفقيه عبد الله بن ياسين في جزيرة على مصب نهر السنغال، و عندما شارك مع ابن ياسين في غزواته سواء في المغرب أو بلاد السودان، بالإضافة إلى ذكر تعيينه كأمير على المرابطين، إثر وفاة أخيه يحي بن عمر سنة 448 هـ/ 1056م[3]. و تجديد البيعة له بالإمارة حين وفاة الفقيه ابن ياسين سنة451هـ/ 1059م[4]. هذا و قد أفاضت كتب التاريخ في ذكر صفات الأمير أبي بكر بن عمر، حيث كان رجلاً صالحاً، كثير الورع[5]، حليف الدّين، ذا حزم و حِنكة[6].

ب- فتوحاته:

يمكن تمييز مرحلتين رئيسيتين من مراحل فتوحات و غزوات الأمير أبي بكر بن عمر، المرحلة الأولى في عهد الفقيه عبد الله بن ياسين، و أخيه الأمير يحي بن عمر، حيث شارك أبو بكر في الكثير من المعارك و أبلى البلاء الحسن، مما جعله يحتل مكانة مرموقة عند الفقيه ابن يـــاسين، و أخيه يحي بن عمر الذي تركه كقـــائم على أعمال مدينة درعة عندما استولى عليها

1- هي عائشة بنت ياران بن تايغشت أخت إسحاق بن ياران، من قبيلة لمتونه. (ابن عذارى، **البيان المغرب**، 17/4).

2- **نفسه**.

3- يحي بوعزيز: **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية مع مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**، دار هومة، الجزائر، 2001 م، ص23.

4- عبد الحميد حاجيات: **المرابطون و دورهم في تاريخ المغرب و حضارته**، منشور ضمن مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1976م، ص35.

5- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص134 ؛ ابن أبي دينار، **المؤنس**، ص103.

6- ابن الخطيب: **رقم الحلل في نظم الدول**، المطبعة العمومية بحضارة تونس المحمية، 1316هـ/1898م، ص50 ؛ الجراري: **المرجع السابق**، 22/2.

المرابطون سنة 445هـ/ 1053م[1].

و مكث فيها إلى غاية وفاة أخيه يحي بن عمر سنة 448هـ/1056م، فاستدعاه الفقيه ابن ياسين إلى سجلماسة، وأخذ له البيعة لإمارة المرابطين[2]. و مضى الاثنان معا لمواصلة الفتوحات جنوب المغرب الأقصى، واستوليا على أغمات، ثم غزوا المصامدة و استوليا على السوس الأقصى و أعماله سنة 450هـ/1058م[3]، ثم اتجها إلى تامسنا لمحاربة برغواطة، وفيها توفي ابن ياسين سنة 451هـ/ 1059م[4].

و بهذا تنتهي المرحلة الأولى من غزوات الأمير أبي بكر، و تجدر الإشارة إلى أنه في هذه الفترة لم تكن للأمير أبي بكر سلطة فعلية حيث كانت القيادة و السلطة بيد الفقيه ابن ياسين في الجانبين الديني و الدنيوي. رغم أنه كان يقول: " إنما أنا معلم دينكم" [5].

أما المرحلة الثانية لفتوحات الأمير أبي بكر كانت مختلفة عن سابقتها حيث أصبح القائد، و الأمير الفعلي للمرابطين، بفضل جمعه للسلطتين الروحية و الزمنية معا[6]. و أول شيء شرع في القيام به هو دفن الإمام عبد الله بن ياسين، ولّما فرغ من دفنه عبأ جيوشه، و قصد إلى قتال برغواطة، مُصَمِماً على استئصال شأفتهم، و إراحة العباد من شرهم. و قد تمّ له ما أراد حيث قضى عليهم و أثخن فيهم قتلاً و سبياً حتى تفرقوا في المكامن و في الصحراء، و أذعن الباقون له و أسلموا إسلاماً جديداً[7]. و ثأر بذلك لإمامه ابن ياسين حيث محى أثر دعوة برغواطة

1- سوادي عبد محمد، صالح عمار الحاج: **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ط1، 2004م، ص154.

2- السملالي، **الإعلام**، ج1، ص196 ؛ جمال أحمد طه: **مدينة فاس في عصري المرابطين و الموحدين 448 هـ/1056م إلى 668 هـ /1269 م دراسة سياسية و حضارية**، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2002م، ص82.

3- أبو راس الناصر: **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تقديم وتحقيق محمد غالم، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005م، ص100.

4- رجب محمد عبد الحليم: **تاريخ المسلمين في إفريقيا جنوب الصحراء، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي**، شركة سفير، القاهرة، د.ت، ص25.

5- مجهول، **الحلل الموشية**، ص21.

6- دندش، **المرجع السابق**، ص97 ؛ أحمد شارف: **السلطة و المجتمع بالأندلس في عصر المرابطين 479هـ-539هـ/1085م- 1144م**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2008م، ص47.

7- ابن أبي زرع، **الروض القرطاس**، ص133 ؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص231 ؛ سلامة محمد سلطان الهدفي: **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دراسة سياسية و حضارية**، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1985م، ص48.

من المغرب[1].

ثم عاد إلى أغمات، فأقام بها مدة، فخرج في صفر سنة 452هـ/1060م إلى المغرب في أمم و جيوش لا تحصى من صنهاجة، و جزولة، و المصامدة[2]. ففتح جبال فازاز[3]، و مضى إلى مدينة فاس[4]، و استولى عليها، ثم انصرف عنها و ترك فيها جنده[5]، واستولى على سائر بلاد زناتة[6]، و فتح بلاد مكناسة[7]، و ارتحل إلى مدينة لواتة[8]، فحاصرها حتى دخلها عُنْوَةً و قتل بها خلقاً كثيراً من بني يفرن في شهر ربيع الآخر سنة 452هـ/ 1060م، و لما فرغ من لواتة رجع إلى أغمات[9]، ومكث بها حوالي ثلاثة أشهر[10].

1- السملالي، **المرجع السابق**، ج1، ص201 ؛ محمد الأمين بلغيث: **دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي**، دار التنوير للنشر و التوزيع، 2006م، ص37.

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص133 ؛ السلاوي، **الاستقصا**، 18/2.

3- من الجبال المشهورة في بلاد المغرب، و هو جبل كبير تسكنه أمم كثيرة من البربر. (أنظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص 435 ؛ عيسى بن الذيب، **المغرب و الأندلس في عصر المرابطين**، ص347).

4- قاعدة المغرب الأقصى و قطرها و مركزها و قطبها، كانت دار الأدارسة و عاصمتهم، و دار مملكة زناتة، و غيرهم ممن ملك المغرب في الإسلام. (أنظر: علي الجزنائي: **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1411هـ- 1991م، ص40 وما بعدها ؛ ابن الخطيب: **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، دراسة و ترجمة اسبانية للنص العربي، محمد كمال شبانة، المعهد الجامعي للبحث العلمي، المغرب، 1977م، ص78 وما بعدها).

5- ابن عبد الملك: **الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة**، سفر 8، قسم1، تقديم و تحقيق و تعليق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م، ص 430.

6- قبيلة من البربر، فرع البتر، لها بطون عظيمة، موطنهم من تاهرت إلى فاس، أكثر أهلها فرسان يركبون الخيل. (أنظر: ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ص495 و ما بعدها ؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية**، ص158).

7- مدينة بالمغرب الأقصى في أرض البربر على ساحل البحر، وهي واسطة عقد عواصم المغرب فاس و مراكش، و هي بلاد عامرة لها أسواق وعمارات، وديار حسنة. (أنظر: الحموي: **كتاب المشترك وضعا المفترق صقعا**، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1986م، ص402 ؛ ابن زيدان: **اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، تقديم عبد الهادي التازي، ج1، مطابع إديال، الدار البيضاء، ط2، 1990م، ص24).

8- قبيلة من بربر المغرب الأقصى، من بطون قبائل زناتة. (أنظر: ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص102 ؛ المقدسي، **المصدر السابق**، ص185).

9- اعتبرت كعاصمة أولى للمرابطين، حيث استقر بها أمرائهم، حتى بناء مراكش. (شعيرة، **المرجع السابق**، ص62).

10- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 134.

ثم جمع جيشاً، و خرج إلى السوس سنة 453هـ/ 1061م، في ألفي راكب فاجتمع من بلاد السوس اثنا عشر ألف فارس، فأرسل إليهم أبو بكر يطالب منهم أن يفتحوا له الطريق للعبور للأندلس لمجاهدة أعداء الإسلام فأبوا ذلك[1]. فقاتلهم و هزمهم، ومن معهم، وقتل منهم خلقاً كثيراً، و غنم المرابطون أموالهم و أسلابهم[2].

وبعد ذلك اتجهت أنظار أبي بكر و أصحابه إلى سجلماسة، فتوجهوا إليها، و نزلوا بها، و طلبوا من أهلها الزكاة، فامتنعوا عليهم، فقاتلوهم، و استولوا على المدينة سنة 453هـ/ 1061م[3]. ثم رجع الأمير أبو بكر بن عمر إلى أغمات واستقر بها إلى أن وفدت عليه وفود من الصحراء[4]، تُخبره باختلال الأمر هناك، و وقوع الخلاف بين أهلها، بين قبيلة جدالة و لمتونة[5].

ج- استخلافه للأمير يوسف بن تاشفين في المغرب:

و في غمار هذه الأحداث رأى الأمير أبو بكر بضرورة الإسراع في العودة إلى بلاد الصحراء، لأنه مُتَوَلِ أمرهم، و مسؤول عنهم، فوجب عليه إصلاح أحوالهم، كما أنه كان رجلاً وَرِعاً [6]، عَظُمَ عليه أن يقتل المُسلمون بعضهم بعضاً، و هو قادر على كفهم و منعهم من

1- يذكر **ابن الأثير** أن الأمير أبا بكر بن عمر صلّى، و دعا الله تعالى قائلا: "اللّهم إن كُناَّ على الحق فانصرنا، و إلا فأَرحنا من هذه الدنيا ". (أنظر: **الكامل**، 621/9).

2- ابن خليل غلبون، **المصدر السابق**، ص67.

3- أبو الفداء: **المختصر في أخبار البشر**، ج2، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، د.ت، ص145 ؛ محمود مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار**، تحقيق علي الزواري، محمد محفوظ، مج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م، ص433 .

4- ذكر ابن أبي زرع أن القادم من الصحراء إلى أبي بكر كان رجلاً صالحاً من بلاد القِبْلَةِ. (**روض القرطاس**، ص 134). و عن سبب عودته إلى الصحراء يذكر السلاوي حادثة أخرى تتمثل في سماع أبي بكر لأخبار عجوز في الصحراء ضاعت منها ناقة، فبكت و قالت ضيَّعنا أبو بكر بن عمر بدخوله إلى المغرب، فَحَمَلَ نفسه و رحل إلى الصحراء. (السلاوي، **الإستقصا**، ج2، ص19).

5- ابن عذارى، **البيان**، 20/4 ؛ مجهول، **الحلل الموشية**، ص23. غير أن ابن خلدون يخالفهما في الرأي، و يقول بأن الخِلاف وقع بين قبيلتي لمتونة و مسوفة. (ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص184).

6- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص232 ؛ و يصفه ابن خلكان بقوله كان أبو بكر رجلاً ساذجاً خيّر الطباع مؤثراً لبلاده على بلاد المغرب. (أنظر: ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، مج 7، دار صادر، بيروت، 1994م، ص113).

الاقتتال[1]. فبعث إلى أشياخ لمتونة و كبرائهم، و قال لهم " إن إخوانكم قد أغارت جدالة عليهم و قتلوهم، و أنا مسافر- إن شاء الله- إليهم لآخذ بثأرهم، فانظروا منكم رَجُلاً أستخلفه عليكم". فسكت القوم، و لم يحصل إجماع منهم على أي رَجُلٍ، فافترقوا. و في الاجتماع الموالي حضر "يوسف بن تاشفين" و ما زال أبو بكر يُعيد القول نفسه على إخوته، و في المرة الثالثة، قال له يوسف بن تاشفين: " أنا أكون خليفتك إن شاء الله عز وجل"[2]، فقال له الأمير أبو بكر " صدقت يا يوسف أنت و الله خليفتي"[3]. و هذا الكلام يدل على أن الأمير أبا بكر كان يرى في يوسف الشخصية المناسبة لتولي هذا الأمر الجلل.

و قبل أن يمضي إلى الصحراء، قام الأمير أبو بكر بن عمر بتطليق زوجته زينب[4]، و قال لها " يا زينب إنك ذات حسن و جمال فائق، و إني سائر إلى الصحراء برسم الجهاد لعلي أرزق الشهادة و الفوز بالأجر الوافر، و أنت امرأة لطيفة لا طاقة لك على بلاد الصحراء، و إني مُطَلِقُكِ، فإن أتممت عدتك فتزوجي ابن عمي يوسف بن تاشفين، فهو خليفتي على بلاد المغرب". ثم قام بتوصية ابن عمه يوسف بالزواج منها، وقال له "تزوجها فإنها امرأة مسعودة"[5].

و توجه أبو بكر بن عمر إلى الصحراء في ذي القعدة سنة 453هـ/ 1061م[6]، بعد أن ترك مع يوسف بن تاشفين ثلث الجيش، و رحل مع الثلثين [7]، مَاراً على بلاد تادلا،

1- السملالي، **المرجع السابق**، ج1، ص202 .

2- ابن عذارى، **البيان**، ج4 ، ص20-21.

3- ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج4، ص21.

4- زينب بنت إسحاق الهواري، أصلها من قبيلة نفزاوة الزناتية، من أسرة كانت تعمل بالتجارة، تزوجها يوسف بن علي شيخ وريكة، ثم تزوجها لقوط بن يوسف المغراوي أمير أغمات، و بعد مقتله تزوجها الأمير أبو بكر بن عمر، و بقيت عنده ثلاثة أشهر، ثم تزوجها يوسف بن تاشفين بعد أن طلقها أبو بكر، وكانت امرأة جميلة، حازمة، لبيبة، ذات رأي و عقل، ويقال لها الساحرة، وزعم بعض الناس أن الجنّ يخدمها. (أنظر: مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر و بلاد المغرب**، نشر و تعليق سعد زغلول عبد الحميد، ج10، دار الشؤون الثقافية العامة أفاق عربية، بغداد، د.ت، ص209 ؛ الزركلي، **الأعلام**، مج3، ج3، ص65 – 66 ؛ حسين مؤنس: **تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، دول المرابطين و الموحدين و الحفصيين**، مج2، ج2، العصر الحديث للنشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1992م، ص21 - 22).

5- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 134 ؛ و قِيلَ في مسألة الطلاق أن زينب هي التي طلبت الخُلع. (أنظر: ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص21).

6- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 134.

7- ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج 4، ص21 ؛ مجهول، **الحلل الموشية**، ص 24- 25.

و سجلماسة التي أقام بها أياماً مُصلِحاً أحوالها، ثم سار جنوباً إلى الصحراء مَضَارِبَ المُتنازعين من قبيلة صنهاجة، و استطاع أن يزيل أسباب الخِلاَفَ، و أن يُعيد الأمن، و الاستقرار، في ربوع الصحراء[1].

ثم جمع جَيْشاً كثيفاً و غزا به بلاد السودان الغربي لنشر الإسلام[2]، و لكي يشغل أهله من قبائل صنهاجة في هذا الجهاد عن منازعاتهم المستمرة. و قد نجح أبو بكر بن عمر في إخضاع كثير من بلاد السودان لحكم المرابطين، حيث استولى منها على مسيرة ثلاثة أشهر[3].

و في الوقت الذي كان فيه الأمير أبو بكر يصلح فيه أحوال الصحراء، كان المرابطون يزدادون قوة في الشمال، فقد قاد يوسف بن تاشفين جيوشه إلى قلب المغرب الأقصى، وانصرف إلى الغزو بكل ما يملك من إمكانيات[4]. و كان قد تزوج بزينب النفزاوية التي أعانته في أمور الحكم بسياستها الحكيمة[5].

و بعد أن فرغ الأمير أبو بكر من مهامه في الجنوب بإزالة الخلاف القائم بين قومه، عاد إلى الشمال و استقر بأغمات سنة 464هـ/1071م[6]، لأجل استئناف فتوحاته في المغرب[7]. ويذكر ابن عذارى في هذا الشأن أن أكثر أصحاب الأمير أبو بكر تسابقوا إلى مراكش لرؤية بُنيـــانها، والسلام على الأمير يوسف بن تاشفين، الذي أكرمهم وأغدق عليهم الهدايا والأموال،

1- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص232 ؛ السملالي، **الإعلام**، ج1، ص203.

2- عطية مخزوم الفيتوري: **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)**، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1، 1998م، ص115 ؛ محمد مصباح الأحمر: **تاريخ العلاقات العربية الأفريقية**، دار الملتـــــقى للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 2001م، ص167 ؛ جميلة بن موسى: **تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي و السودان الغربي من القرن 3 إلى 5 هـ(9-11) م**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2001م، ص 69.

3- ابن خلدون، **العـــــبر**، 6/184 ؛ أبو راس الناصر، **المصدر السابق**، ج1، ص180.

4- دندش، **المرجع السابق**، ص100.

5- Charles –André Julien : **l'Afrique du nord Tunisie – Algérie - Maroc de la Conquête Arabe à 1830**, société national , Alger, 1975, p80.

6- اختلف المؤرخون في سنة عودة أبي بكر للمغرب، حيث اعتبرها ابن عذارى ، و صاحب **الحلل الموشية** سنة 465هـ، بينما جعلها كل من ابن خلدون و ابن أبي زرع قبل سنة 465 هـ، و ذلك أن زينب زوجة يوسف التي لعبت دوراً هاماً في لِقَاءِ الرجلين قد توفت عام 464 هـ، أي أن عودة أبي بكر كانت قَبْلَ هذا التاريخ.

7- غير أن ابن أبي زرع يرى أن عودة أبي بكر إلى المغرب كانت لأجل عزل يوسف بن تاشفين و تولية غيره. (أنظر: **روض القرطاس**، ص135).

كلٌ حسب مترلته[1].

و كان يوسف في تلك الأثناء مُنشغِلاً بكيفية استقبال ابن عمه الأمير أبي بكر، و قد شاور في الأمر زوجته زينب فقالت له: " ابن عمك رَجُلٌ متورع في سفك الدماء، فإذا لقيته فقصِّرْ عما كان يَعْهَدَهُ منك من الأدب و التواضع، و أَظْهِرْ له غِلْظَةً حتى كأنك مساوٍ له ومقاومه، و لاطفه مع ذلك بالأموال و الهدية و الخِلع و الثياب و الطعام و الطرف، و استكثر من ذلك فإنه ببلاد الصحراء، و كل شيء عندهم من هنا مستطرف"[2]. و يظهر من هذا القول أن زوجة يوسف بن تاشفين أشارت عليه باستقبال أبي بكر بالجفاء و الغلظة، مع إشعاره بقوة السلطان و الجاه، و لكن مقابل ذلك يجب ملاطفته بالهدايا و الأموال[3].

و قد عمل يوسف بوصية زوجته، فعندما اقترب أبو بكر من مقر سلطته بمراكش، خرج إليه يوسف مع جنوده، و تلقاه في نصف الطريق بين أغمات و مراكش[4]، وسَلَّمَ عليه راكباً، وعامله معاملة مختصرة، و لم تكن تلك عادته من قبل[5]. فتعجب الأمير أبو بكر ممّا رأى من ضخامة مُلكه، و كثرة جيوشه، فقال له ما تصنع بهذه الجيوش يا يوسف، فقال أستعين بها على من خالفني[6]. و نَظَرَ إلى بعير موقورة خلفه، فقال ما هذه الإبل، فقال له " جئتك بها بكل ما عندي من مَالٍ و كِساء و طعام لتستعين به على الصحراء[7]. هنا أدرك الأمير أبو بكر بأن يوسف أراد الاستمساك بالأمر، فزهد و تورّع عنه، و أخذ ينصح ابن عمه يوسف بضرورة التزام العدل، و إصلاح شؤون الرعية، و يظهر ذلك في قوله " يا يوسف اتق الله في المسلمين، ولا تُضَيِّعَ شيئاً من أمورهم، فإنّك مسئول عنهم، و الله خليفتي عليك و عليهم"[8]. فشكره الأمير يوسف على ذلك، وعـــاهده أن لا يقطع أمراً دون الرجوع إليه، فـــأقره أبو بكر كـــأمير على

1- ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج4، ص24 ؛ مجهول، **الحلل الموشية**، ص25- 26.

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص135.

3- دندش، **المرجع السابق**، ص104.

4- التقى أبو بكر بن عمر، و يوسف على تسعة أميال من مراكش. (مجهول، **الحلل الموشية**، ص26 ؛ دندش، **المرجع السابق**، ص104).

5- ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج4، ص25 ؛ مجهول، **المصدر السابق**، ص26.

6- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص135 ؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص 233.

7- السملالي، **المرجع السابق**، ج1، ص203.

8- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص233.

المغرب بحضور أشياخ لمتونة، و بعض العُدول، و أعيان القبائل[1].

فعاد يوسف إلى موضع مملكته بمراكش، و رجع أبو بكر إلى أغمات موضع نزوله محملاً بالتُحف و الهدايا[2]. فأهدى هو الآخر بعضاً منها لإخوانه و خاصته، و انصرف إلى الصحراء، لاستكمال جهاد الوثنيين بالسودان الغربي إلى أن استشهد بها في إحدى غزواته بعد أن أصيب بسهم مسموم في شعبان سنة 480هـ/ 1087م[3].

و قد أبلى الأمير أبو بكر في حروبه بالسودان الغربي البلاء الحسن، حيث فتح بلاداً واسعةً، واستطاع أن ينشر الإسلام فيها، و ينشئ لنفسه و للمرابطين مملكة واسعة الأرجاء.

II- بناء مراكش و تأسيس الدولة المرابطية:

1- التعريف بيوسف بن تاشفين:

أ- مولده و نشأته:

ولد يوسف بن تاشفين اللمتوني في سنة 400هـ/1009م[4]، ولا نعرف لمولده مكاناً مضبوطاً سوى أنه ببلاد الصحراء في مضارب قبائل صنهاجة الجنوب، كما لا نعرف عن نشأته و طفولته الشيء الكثير، حيث لا تمدنا المصادر التاريخية بمعلومات كافية عن هذه المرحلة الهامة

1- ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج4، ص25 ؛ مجهول، **الحلل الموشية**، ص26.

2- كانت الهدية عبارة عن: خمسة و عشرين ألف دينار من الذهب، و سبعين فرساً منها خمسة و عشرين مُجهزة بفاخر الجِهازات، و سبعين سيفاً مُحلاة، و عشرين من الأشابر المذهبة، ومائة و خمسين من البِغال الذكور و الإناث، و خُدود كثيرة مملوءة بنفيس الأمتعة و الكَسَى الفاخرة، و بعث له عشرون جارية أبكاراً، و جملَة من خدم الخدمة، و مائتين من البقر، و خمسمائة رأس من الغنم، و ألف ربع من الدقيق، و اثنا عشرة ألف خبزة، و سبعة مائة مُدٍ من الشعير، و بعث إليه وزناً صالحاً من العُود و العنبر و المِسك. (ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص 26 ؛ **الحلل الموشية**، ص27- 28).

3- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص135 ؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص233 ؛ عبد العزيز بنعبد الله: **الجيش المغربي عبر العصور**، سلسلة قسم الدراسات الدبلوماسية و القنصلية، الرباط، 1986م، ص15.

4- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص137 ؛ ابن زيدان، **المصدر السابق**، ج1، ص26.

من حياته.

وما تتفق عليه هذه المصادر أن يوسف قضى فترة طفولته و شبابه في الصحراء، حيث تلقى تعليماً بسيطاً من أفواه المحدثين و بشكل شفوي[1]، ثم نمت و ترعرعت ثقافته إبان دعوة ابن ياسين، الذي علَّمَ المرابطين مبادئ و أحكام الشريعة الإسلامية[2].

و بدأ نجم يوسف يتألق إثر ظهوره الأول كقائد لمقدمة جيش المرابطين الذي غزا بلاد المصامدة سنة 448هـ/1056م[3]، و قد أبلى فيها يوسف البلاء الحسن، و بدأت تظهر قدرته على إدارة المعارك و الحروب، هذا ما جعل الأمير أبا بكر يستعمله مرةً أخرى لإخضاع أغمات سنة 449هـ/1057م[4]، و إشراكه في حروبه ضد قبائل برغواطة سنة 451هـ/1059م[5]، فأكسبته تجارب و خبرات أَهَّلَتْهُ لتبوء منصب القيادة و الإمارة فيما بعد.

و فيما يخص حياته الأسرية، تذكر كتب التاريخ أن أول زوجاته كانت زينب النفزاوية، تزوجها بعد أن طلقها ابن عمه الأمير أبو بكر بن عمر، و قد أنجبت له أكبر أولاده تميم [6]، ثم تزوج سيدة أندلسية تدعى قمر[7] أنجبت له ولده علياً [8]. و تزوج امرأة أخرى تسمى

1- كانت المدارس نادرة في الصحراء، لقلة العلماء و الفقهاء، وكذلك لِقِلَةِ اهتمام أهلها بالعلوم نظراً للحياة الصعبة هناك، ونستدل على هذا القول من رحلة يحي بن إبراهيم الجدالي للحج، و لقائه بالفقيه أبي عمران الفاسي الذي سأله عن قومه، فأجاب يحي بن إبراهيم أنهم قوم لا يعرفون من الإسلام إلا الشهادتين، و أن الجهل مُتفشي عندهم. (عبد الحق حموش: **ابن تاشفين**، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ت، ص28 ؛ الصلابي، **المرجع السابق**، ص 66).

2- كما تعلّم يوسف بن تاشفين فنون الفروسية وأعمال الحرب، إثر صُحبته للفقيه ابن ياسين حوالي 20سنة في الرباط وخارجه. (أنظر: عبد الله كنون: **يوسف بن تاشفين**، منتدى ابن تاشفين المجتمع والمال، المحمدية، ط2، 2004م، ص7 ؛ سعدون عباس نصر الله، **المرجع السابق**، ص37).

3- حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص219- 220 ؛ إبراهيم حركات، **المرجع السابق**، ج1، ص161.

4- سعد زغلول، **المرجع السابق**، ج4، ص216 ؛ عبد الحميد براهيمي: **المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية**، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1996م، ص42.

5- محمود السيد: **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004م، ص25.

6- هو تميم أبو طاهر أكبر أولاد يوسف بن تاشفين، كان والياً على سبتة توفي عام 479 هـ/1086م، أثناء معركة الزّلاقة، فاضطر أبوه يوسف للعودة إلى المغرب. (سعدون عباس نصرالله، **المرجع السابق**، ص38).

7- هي جارية إسبانية مسيحية تُكنى أم الحسن أو رياض الحسن. (أنظر: عبد الحق حموش، **المرجع السابق**، ص31).

8- هو علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني، ولد سنة 477 هـ /1084م، يُكَنى بأبي الحسن، تولى الخلافة بعد أبيه بعهد منه سنة 500هـ/1106م، و عمره 23 سنة. وكان ملكاً، فاضلاً، كريماً، سلك طريقة أبيه في أموره كلها. فتح فتوحاً عظيمة في المغرب والأندلس. و استمر على ذلك إلى غاية وفاته سنة537هـ/1143م. (أنظر: ابن عذارى، **البيان**، 48/4 ؛ مجهول، **الحلل الموشية**، ص84 ؛ الزركلي، **المرجع السابق**، مج5، ج5، ص33).

عائشة أنجبت له الأمير محمد[1].

و بالنسبة لأولاده إجمالاً يذكر صاحب روض القرطاس سبعة هم: تميماً، و علياً، وأبا بكر، و المعز، و إبراهيم، و كونة، و رقية[2].

ب- نسبه:

ينتسب يوسف بن تاشفين إلى بني ورتانطق[3]، فهو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت بن ورتانطق الصنهاجي[4]، من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير[5].

و أمه امرأة حرة تدعى فاطمة[6]، و هي بنت عم أبيه، يجتمع نسبهما في ورتانطق الذي كان له الرئاسة والزعامة على باقي قبائل لمتونة، و ورث هذه الرئاسة أولاده و أحفاده بعده[7]. كما كانت لقبيلة لمتونة الزعامة على سائر قبائل صنهاجة، خاصة بعد وفاة يحي بن إبراهيم الجدالي، فانتقلت رئاسة صنهاجة إلى قبيلة لمتونة، إثر تولي يحي بن عمر اللمتوني الحكم، ثم خلافته من طرف أخيه أبي بكر بن عمر، و استمرت زعامة اللمتونيين في عهد يوسف بن تاشفين و أبنائه حتى سقوط دولتهم.

1- هو أحد أبناء يوسف بن تاشفين، نُسب إلى أمه فأصبح يُدعى محمد بن عائشة، و أمه حرة لهذا حَمَلَ اسمها، وكان قائداً مظفراً ارتبط اسمه بمقاتلة النصارى في الأندلس، وكان والياً على مرسية إثر وفاة أبيه يوسف، و تألق نجمه كقائد محنك في عهد أخيه علي بن يوسف. (أنظر: عبد الحق حموش، **المرجع السابق**، ص31 ؛ الصلابي، **المرجع السابق**، ص67).

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص138.

3- سعد زغلول، **المرجع السابق**، 247/4.

4- حول شجرة نسب ابن تاشفين. (أنظر: **الملحق1**، ص135).

5- اختلف المؤرخون في تحديد أصل قبائل صنهاجة، وكيفية استقرارها في المغرب. فمنهم من قال أنهم من بقايا ولد حام ابن نوح عليه السلام، و بعضهم نسبهم إلى بَرْ بن قيس بن عيلان، و أغلب الروايات تنسب صنهاجة إلى حِمْيَرَ باليمن كرواية ابن عذارى، و صاحب **الحلل الموشية** إذ يقول: إنما تبربرت ألسنتهم لمجاورتهم البربر ومكوثهم معهم، و ابن سعيد المغربي في كتابه **الجغرافيا** حيث قال إن أصلهم من عرب اليمن، و العروبية بينهم ظاهرة، في حين يرى ابن حزم أنهم ليسوا من حِمْيَرَ بحيث قال: "و لا كان لحِمير طريق إلى بلاد البربر، إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن" ،وعلى الرغم من هذا الاختلاف يعتقد أن صنهاجة تعود أصولها إلى حمير، لأن المرابطين كانوا يُمدحون بهذا النسب مثل قول أبي محمد بن حامد الكاتب:

قَوْمٌ لَهمُ شَرَفُ العُلاَ مِنْ حِمْيَرَ   وإذا انتَمُوا صَنْهَاجَةَ فَهُمْ هُمُ.

(أنظر: ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص495 وما بعدها ؛ ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص129).

6- هي فاطمة بنت سير بن يحي بن وجاج بن ورتانطق اللمتوني. (ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص138).

7- ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص182.

ج- صفاته:

ينفرد يوسف بن تاشفين بمجموعة من الصفات التي لا يُعرف نظيرها لدى غيره من كبار رجال الدولة المرابطية[1]. أما صفاته الجسمية فقد أحصتها العديد من المصادر التاريخية منها أنه كان أسمر اللون نقيه، مُعتدل القامة، نحيف الجسم، خفيف العارضين، أكحل العينين، أقنى الأنف له وفرة تبلغ شحمة أذنيه، مقرون الحاجبين، جعد الشعر[2]، خفيف اللحية[3].

أما صفاته المعنوية و أخلاقه، فقد كـــان حَسَنُ السيرة، خيراً، عادلاً، يميل إلى أهل العلم و الدّين، و كان يحب العفو و الصفح[4]، إلى جـــانب قوة التديُّن، و كرم الأخـــلاق، و الورع و العدل، و الشجاعة، و سداد الرأي و الحزم[5].

و بالنسبة لمعاشه فقد كان جُوده، و زهده و تقشفه في ملبسه و مسكنه أسوة حسنة، وقدوةً عند كل مرابط[6]. و من صور تقشفه أنه لم يكن يأكل سوى خبز الشعير، و لحوم الإبل وألبانها، لا يتركها إلى غيرها من الأطعمة طوال حياته أينما حلّ و ارتحل[7]. و نفس الشيء بالنسبة لملابسه، فقد كان يوسف يكتفي بارتداء ثياب الصوف، و لم يلبس قط غيرها، رغم ما فتح الله عليه من الدنيا[8].

1- سعد زغلول، **المرجع السابق**، 247/4.

2- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص36 ؛ ابن خلكان، **المصدر السابق**، مج7، ص125 ؛ عبد القادر الصـــحراوي: **جولات في تاريخ المغرب**، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط1، 1961م، ص40.

3- الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج19، ص253.

Charles André Julien , **OP. CIT**, p 81.

4- و مِنْ أعظم عَفوِهِ و صَفْحِهِ، ما ذكره ابن الأثير، و غيره عن قصة ثلاث رجال اجتمعوا. فتمنّى أحدهم ألف دينار يتجر بها، و تمنى الآخر عملاً يعمل فيه لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، و تمنّ الآخر زوجته النفزاوية، فبلغ خبرهم للأمير يوسف فأحضرهم، و أعطى مُتمني المال ألف دينار، و استعمل الآخر، و قال للّذي تمنى زوجته: يا جاهل، ما حملك على هذا الذي لا تصل إليه؟ ثم أرسله إلى زوجته بعد أن طلبت منه ذلك، فتركته في خيمة ثلاثة أيام تحمل إليه كل يوم طعاماً واحداً، ثم أحضرته و قالت له، ما أكلت هذه الأيام؟ قال طعاماً واحداً، فقالت: كل النساء شيء واحد، و أمرت له بمالٍ وكسوة وأطلقته. (أنظر: ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص418 ؛ ابن عذارى، **المصدر السابق**، ص 124- 125).

5- عبد الله كنون، **يوسف بن تاشفين**، ص 62 ؛ سعد زغلول، **المرجع السابق**، 248/4.

6- حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين**، ص 222.

7- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص136 ؛ ابن أبى دينار، **المؤنس**، ص66.

8- عبد الله كنون، **يوسف بن تاشفين**، ص60 ؛ الصلابى، **الجوهر الثمين**، ص66.

و هكذا يمكن القول أن هذه الصِفات التي كان يتصف بها يوسف بن تاشفين أهَّلته ليكون قائداً محنكاً، و أميراً بارعاً، فتح الفتوح، و جهز الجيوش، و غنم في الحروب، و رفع المغارم و المكوس.

د- بناؤه مدينة مراكش:

عندما استقر الحكم في يد يوسف بن تاشفين سنة 453هـ/1061م، استمر في غزوه قبائل زناتة حتى أخضعهم[1].

و شعر في تلك الأثناء بضرورة بناء قاعدة تكون أساس مُلكه، مُنطلق تحركاته، و مُستقر عسكره[2]، و بعد مشاورة أشياخ لمتونة و قع اختيارهم على أرض صحراوية تدعى مراكش[3]، تقع شمال أغمات، فاشترى هذه الأرض ممّن كان يملكها من المصامدة، و قيل إنها كانت ملك لعجوز مصمودية[4]. و شرع في أعمـال البناء، في مستهل عام 454 هـ/ 1062م[5]، و أول

1- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص234 ؛ ابن الوردي، **تاريخ ابن الوردي – أو- تتمة المختصر في أخبار البشر**، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م، ص345.

2- عبد الله كنون، **المرجع السابق**، ص15.

3- معناها بلغة المصامدة امش مُسرعاً، و كانت مَكْمَناً للصوص، و يقال كان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر، و قيل أيضا أن مراكش كانت قاعاً صفصفاً لا عمارة فيها، تقع شمالها مملكة سلا، و جنوبها جبال درن، و غربها البحر المحيط، وشرقها الجهات التي بين سجلماسة وفاس. (أنظر: مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، ج10، ص209- 210 ؛ أبو الفداء: **تقويم البلدان**، اعتنى بتصحيحه و طبعه رينود، و البارون ماك كوكين ديسلان، دار صادر، بيروت، 1840م، ص135 ؛ الحسن الوزان: **وصف إفريقيا**، ترجمته عن الفرنسية محمد حجي، محمد الأخضر، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م، ص 126 و ما بعدها).

4- السلاوي، **الاستقصا**، ج2، ص22 ؛ محمود مقديش، **المصدر السابق**، ص446.

5- اختلف المؤرخون في تحديد سنة بناء مراكش، و من الذي قام ببنائها، و لكن يكاد يكون هناك إجماع بينهم، بأن من بناها هو يوسف بن تاشفين سنة 454هـ/1062م، و هو الرأي الذي ذهب إليه كل من ابن أبي زرع، و ابن الخطيب، وابن خلدون، و هو الأقرب للواقع لكون يوسف بن تاشفين كان في المغرب و شرع في أعمال البناء سنة 454هـ، بينما كان الأمير أبو بكر في الصحراء في تلك الأثناء، حيث ذهب لإزالة الخِلافات القائمة بين قبائل صنهاجة. أما صاحب الاستبصار فيقول بأن بناء مراكش تمّ سنة 459هـ، بينما يذكر ابن عذارى سنة 462هـ، و نرى بأنه غير معقول بالنظر إلى أن يوسف لم يشرع في فتح فاس و أحوازها، إلا بعد أن أسس قاعدة في الجنوب للسيطرة على المصامدة، كما نستبعد تاريخ 470 هـ الذي حدده كل من ياقوت الحموي، و عبد المنعم الحميري فهو متأخرٌ جداً. (أنظر: ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص138 ؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص234 ؛ ابن خلدون، **العبر**، 184/6).

شيء بناه هو المسجد، و كان الأمير يوسف يعمل في الطين و البناء بيده تواضعاً منه و تورعاً[1]، و بعد ذلك بنى قصبة صغيرة لحفظ أمواله و سلاحه[2]، ثم بنى القصور و المساكن و هي في مرج فسيح، و قيل أن ثمن مترل واحد كان بسبعين درهم[3]، و لم يؤسس يوسف حول المدينة سوراً، بل أسسه ابنه الأمير علي سنة 514هـ/1120م[4]. و كانت مراكش خالية من المياه لكونها أرض صحراوية، فحفر يوسف الآبار، و جلب لها الماء من أغمات[5].

و بالنسبة لاختيار موقع بناء عاصمته الجديدة، تحكمت فيه العديد من العوامل، حيث تمّ اختيار المكان بدقة متناهية، و بعد دراسة معمقة من قبل يوسف، و سائر شيوخ المرابطين، بحيث قاموا بمراعاة انتمائهم الصحراوي، فاختاروا أرضاً صحراوية فسيحة الأرجاء[6]، تسهّل لهم عملية التنقل، و تساعدهم في ممارسة حرفة الرعي التي تعتبر مصدر رزقهم الأول. كما أن الموقع كان يتوسط طريق القوافل التجارية بين الشمال و الجنوب، فمكن المرابطين من السيطرة عليه[7]. بالإضافة إلى كون الموقع يتواجد بين مضارب قبائل المصامدة و زناتة، و هذا ما يسهّل عملية مراقبة تحركاتهم المعادية، و إخضاعهم في الوقت المناسب[8]. كما أن مراكش قريبة من الجبال العالية في الأطلس الكبير[9]، فيسمح للمرابطين بالاحتماء بها، في حالة الهجوم على عاصمتهم من قِبل أعدائهم. و شيئاً فشيئاً أصبحت مدينة مراكش أكثر ازدهـــاراً، بكثرة البساتين و الجنات،

1- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 138.

Mouloud Gaid , **OP.CIT**, Tome 2 , p93.

2- ابن خلدون، **العبر**، 184/6.

3- ابن خلكان، **المصدر السابق**، 124/7 ؛ السلاوي، **الاستقصا**، 23/2 ؛ إبراهيم حركات: **النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين**، منشورات مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، د.ت، ص110.

4- الحميري، **الروض المعطار**، ص540.

5- الحموي، **معجم البلدان**، 94/5 ؛ و قد قام باستخراج المياه للري عن طريق حفر الآبار رجل اسمه عبيد الله بن يونس، فكافأه الأمير يوسف على عمله. (أنظر: الإدريسي، **نزهة المشتاق**، 234/1 ؛ المقريزي، **المصدر السابق**، ص60).

6- ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص125 ؛ إسماعيل العربي، **المرجع السابق**، ص 107.

7- سعدون نصر الله، **المرجع السابق**، ص 278.

Abdallah Laroui : **l'histoire du Maghreb un essai de synthèse**, librairie François Maspero, Paris, 1970, p152 .

8- ابن خليل غلبون، **المصدر السابق**، ص68 ؛ سعد زغلول، **المرجع السابق**، ص107.

9- الحسن الوزان، **المصدر السابق**، ج1، ص126.

Amar Dhina : **cites musulmanes d'orient et d'occident**, entreprise nationale du livre, Alger, 1986, p 99.

و اتصال عماراتها، و حسن قطرها و منظرها[1]. و أصبحت من العواصم الكبرى في بلاد المغرب، خصوصاً أيام الأمير علي بن يوسف، و في أيام ملوك الموحدين[2] الذين استمروا في بنائها.

هـــ- تسميته بأمير المسلمين:

كان يوسف بن تاشفين يلقب بالأمير، و يشترك معه في هذا اللقب عدة شخصيات لمتونية لم تتقلد الرئاسة[3]. فلما اتسعت مملكته، اجتمع إليه أشياخ قبيلته، و أعيان دولته، و قالوا له " أنت خليفة الله في المغرب و حقك أكبر من تدعى بالأمير، بل ندعوك بأمير المؤمنين" فرفض ذلك قائلاً " حاشى الله أن نتسمى بهذا الاسم، إنما يتسمى به خلفاء بني العباس لكونهم من تلك السلالة الكريمة، لأنهم ملوك الحرمين مكة و المدينة، و أنا رَجُلهم، و القائم بدعوتهم". فقالوا له لابد من اسم تمتاز به[4]، فأجابهم إلى ذلك، فقال لهم يكون " أمير المسلمين و ناصرُ الدين[5]. فأمر كُتَابَهُ أن يكتبوا رسالة إلى أعيانه، و رعيته في سائر أقطار دولته لإخبارهم بتلقبه بهذا اللقب. فصدرت الرسالة في منتصف محرم سنة 466هــ/1073م. و منذ ذلك الوقت أصبح هذا الاسم متداولاً عند سائر المرابطين، و عند الأئمة، و الخطباء الذين خطبوا له بذلك على المنابر في بلاد المغرب.

و لكن صاحب روض قرطـــاس يرى غير ذلك، حيث ذكر بـــأن تلقب الأمير يوسف

1- الإدريسي، **نزهة المشتاق**، 234/1 ؛ الزهري، **المصدر السابق**، ص116 ؛ ابن بطوطة، **المصدر السابق**، ص683.

2- دعاهم بهذا الاسم محمد بن تومرت الذي لقب نفسه بالمهدي و يعتبر الشخص الذي وضع الأسس الأولى لقيام دولة الموحدين، التي تأسست فعليا بقيادة تلميذه عبد المؤمن بن علي الكومي، بعد أن قضى على دولة المرابطين سنة 541هــ/1146م. و أسس دولة عظيمة شملت كامل بلاد المغرب من برقة شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، و بلاد الأندلس شمالاً، و قد عمرت هذه الدولة حوالي قرن و ربع، و سقطت سنة 668هــ/1269م. (أنظر: البيذق: **كتاب أخبار المهدي بن تومرت**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1986م، ص29 و ما بعدها ؛ ابن عذارى: **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب "قسم الموحدين"**، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، ج5، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1985م، ص15 و ما بعدها).

3- سعدون عباس نصر الله، **المرجع السابق**، ص161.

4- مجهول، **الحلل الموشية**، ص29 ؛ ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج4، ص28.

5- **الحلل الموشية**، ص29 ؛ و جاء عند ابن عذارى هذا الاسم بدون لفظ ناصرُ الدين. (**البيان**، ج4، ص28).

بهذا اللقب كان بعد انتصار الزّلاقة في الأندلس. و أن أمراء الطوائف[1] هم من بايعوه، و سلموا عليه باسم أمير المسلمين[2]. و قد قامت حول هذا اللقب مشكلة شرعية، و هي هل يجوز لخطباء المساجد أن يدعوا ليوسف بن تاشفين باعتباره أمير المسلمين[3]. و قد أثير هذا الإشكال في بلاد الأندلس، في حين لم يكن هذا الإشكال في بلاد المغرب قائماً، و أصبح الخطباء يخطبون في منابرهم، ليوسف بلقب أمير المسلمين منذ سنة 466هـ/ 1073م[4].

بينما يذكر ابن الأثير أن علماء الأندلس هم من قالوا للأمير يوسف إثر عودته من الأندلس إلى مراكش بأن طاعته غير واجبة حتى يذكر اسم الخليفة العباسي[5] في الخطبة، ويصدر عنه تقليداً بإقراره[6]. فأرسل الأمير يوسف بعثة من رجال الدين[7] إلى الخليفة العباسي يستفتيه في جواز حمل هذا اللقب بعد أن أحرز هذا النصر الإسلامي في الأندلس[8] فخوطب به من العُدْوَتَينِ المغرب و الأندلس، ونُقِشَ في سِكته بالإضافة إلى اسمه، اسم الأمير عبد الله

1- ظهروا بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس سنة 422هـ/1030م. و قد بلغ عددهم حوالي ثلاثة وعشرون أميراً، استقل كل واحد منهم في مدينة من المدن، و تلقبوا بالألقاب الخلافية. و لما تكالب عليهم النصارى استنجدوا بالمرابطين. (أنظر: ابن الوردي، **المصدر السابق**، ج1، ص317 و ما بعدها).

2- نرى أن تلقب يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين كان في سنة 466هـ/1073م، وهو الموافق لرواية صاحب الحلل الموشية. و الدليل على ذلك هو مخاطبة ألفونسو السادس ملك قشتالة ليوسف بأمير المسلمين إثر تهديده بالرسالة التي أرسلها عَقِبَ حملته التخريبية على إشبيلية. وكان هذا قبل معركة الزّلاقة، وكان جواب يوسف من أمير المسلمين إلى أذفنش، وكذلك رسالة المعتمد بن عباد الذي استنجد بيوسف مخاطبا إياه بأمير المسلمين. (أنظر: سعدون عباس نصر الله، **المرجع السابق** ، ص163).

3- حسن إبراهيم حسن، **المرجع السابق**، ج4، ص300-301.

4- **الحلل الموشية**، ص30.

5- هو الخليفة أبو القاسم عبد الله عُدة الدين المقتدى بأمر الله بن محمد بن القائم. تولى الخلافة من سنة 467هـ إلى سنة 487هـ، فهو مُعاصر لمعركة الزّلاقة، وعهد الحكم لابنه من بعده المستظهر بالله. (أنظر: حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين**، ص335).

6- ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص155.

7- ترأس هذه البعثة الفقيه أبو محمد بن العربي، و ولده أبو بكر بن العربي (468-543) هـ المعروف بابن العربي العالم المشهور في الحديث، و الفقه، و علوم القرآن، ببلاد الأندلس. و يذكر ابن خلدون أنهم أحسنوا القَوْلَ، و الإبلاغ عن الأمير يوسف في حضرة الخليفة العباسي ببغداد. (أنظر: ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص188 ؛ الطاهر المعموري: **الغزالي وعلماء المغرب**، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م ، ص9).

8- حسن إبراهيم حسن، **المرجع السابق**، 301/4.

العباسي[1]، كدليل على الولاء للخلافة العباسية.

و يعتبر يوسف بن تاشفين أول من تلقب بأمير المسلمين من ملوك المغرب و قد جرى هذا اللقب على عَقِبِهِ بعده.

و- وفاته:

في أواخر عام 498هـ/1104م، مرض أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، و أصابه الضعف، و اشتدت به العلة، و بعد عام و شهرين، وافته المنية نهار الاثنين الثالث من المحرم سنة 500هـ/1106م[2]، بعد أن بلغ من العمر قرناً بكامله، ملك فيه سبعة و أربعين سنة[3]. وحضر وفاته أولاده، و أعيان قومه، و دُفِنَ بحاضرة قصره في مراكش[4].

و كان رحمه الله حسن السيرة، خيِّراً، عادلاً[5]. وهب حياته لخدمة الإسلام، و نصرته[6]. ولم يوجد على عهده في بلد من بلاده اسم مكس و لا خراج، إلا ما أمر الله تعالى به من الزكاة، و الجزية، و أخماس غنائم المشركين[7]. و قد أثنى عليه علماء و فقهاء الإسلام في المغرب و المشرق ثناءاً كبيراً، خصوصاً حجة الإسلام أبو حامد الغزالي[8] الذي قيل عنه أنه قَدِمَ إلى مصر،

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص138 ؛ (كان اسم الخليفة العباسي المنقوش على السكة المرابطية هو عبد الله أمير المؤمنين. و قد ظل هذا الاسم كما هو حتى آخر العهد بالدولة المرابطية، لأن جميع خلفاء بني العباس كانوا يُكِنُّونَ عن أنفسهم بلفظ عبد الله). (حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 335- 336).

2- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص252 ؛ الذهبي: **تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام** ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، مج34، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1994م، ص399 ؛ عبد الله كنون، **يوسف بن تاشفين**، ص63.

3- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص137 ؛ عمار بحوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م، ص39.

4- يقال أنهم وجدوا في بيت المال بعد وفاته ثلاثة عشر ألف رُبعاً من الورق، وخمسة آلاف وأربعين رُبْعاً من دنانير الذهب المطبوعة. (أنظر: ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص137).

5- ابن الأثير، **الكامل**، 417/10 ؛ ابن العماد الحنبلي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق أوفست كونرو غرافير، مج2، ج3، المكتب التجاري للنشر و الطباعة و التوزيع، بيروت، د.ت، ص412 ؛ السلاوي، **الإستقصا**، 21/2.

6- **الحلل الموشية**، ص83.

7- ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص137 ؛ ابن أبي دينار، **المؤنس**، ص104.

8- هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ولد سنة 450هـ/1058م في طوس بخرسان، كان عالماً جليلاً، فيلسوف، و متصوف له نحو مأتى مُصنف، أشهرها كتاب إحياء علوم الدين، و تهافت الفلاسفة، توفي سنة 505هـ/ 1111م. (أنظر: الزركلي، **الأعلام** ، 22/7 ؛ الطاهر المعموري، **المرجع السابق**، ص12).

و توجه إلى الإسكندرية[1]، عازماً على المُضي في البحر إلى الأمير يوسف بن تاشفين في المغرب، و لكنه عدل عن ذلك بعد سماعه خبر وفاته[2]. كما منحه الله تعالى سعة الملك في الدنيا، فكان مُلكه يمتد من مدينة إفراغة[3] شرق الأندلس، إلى مدينة شنترين[4]، و أشبونة[5] على البحر المحيط غرب الأندلس، و بالمغرب من جزائر بني مزغنة[6] إلى طنجة[7] إلى أخر السوس الأقصى[8] إلى جبال الذهب من بلاد السودان الغربي. و خطب له في هذه الأقطار حوالي ألف و تسعمائة منبر[9]. و قد عَهَدَ بالأمر بعده إلى ولده علي المكنى بأبي الحسن، فورث بذلك مُلْكاً عظيماً[10].

1- مدينة في مصر، بناها الإسكندر المقدوني، و به سُميت، تقع على البحر المتوسط، و بها آثار عجيبة وهي حصينة الأسوار، نامية الأشجار، كثيرة العمارة. (أنظر: الإدريسي، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**، ص221 وما بعدها).

2- محمود مقديش، **المصدر السابق**، ص445 ؛ ابن أبي دينار، **المصدر السابق**، ص106.

3- مدينة تقع أقصى شرق الأندلس، من أعمال ماردة، كثيرة الزيتون، تملكها الإفرنج في أيام علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي. (أنظر: الحموي، **معجم البلدان**، 227/1).

4-(Santaren) مدينة بالأندلس بقرب باجة على ساحل البحر، تقع على جبل عالٍ، و بها بساتين كثيرة و فواكه. (أنظر: القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، 1984م، ص542 ؛ المقريزي، **المصدر السابق**، ص117).

5- (Lisbon) مدينة بالأندلس قديمة، تقع غَرْبَيْ قرطبة، قريبة إلى البحر، متصلة بشنترين، يوجد على ساحلها العنبر الفائق، ملكها الإفرنج سنة 543هـ/ 1148م. (أنظر:الحموي، **المصدر السابق**، 195/1 ؛ القزويني، **المصدر السابق**، ص555).

6- مدينة على ضفة البحر، بين إفريقية و المغرب الأقصى، بينها و بين بجاية أربعة أيام، و هي عامرة آهلة، و أسواقها قائمة، يتصل بها فحص متيجة الكثير الخصب. (أنظر الحموي، **المصدر السابق**، 132/2 ؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص163).

7- مدينة قديمة على فم بحر الزقاق (البحر المتوسط) بينها وبين سبتة ثمانية عشر ميلاً في البحر، و هي آخر حدود إفريقية من المغرب، كثيرة الفواكه، يسكنها قوم من البربر. (أنظر: الحميري؛ **المصدر السابق**، ص395- 396 ؛ أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص133 ؛ ابن الخطيب: **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تحقيق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت، ص234).

8- هي مدن كثيرة، و بلاد واسعة، يسقيها نهر عظيم يصب في البحر المحيط سمي وادي ماسة، و عليه القرى المتصلة والعمائر الكثيرة و البساتين بأنواع الفواكه المختلفة. (أنظر: اليعقوبي، **كتاب البلدان**، ص115 ؛ مجهول، **الاستبصار**، ج10، ص211 و ما بعدها).

9- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص136 ؛ ابن أبي دينار، **المؤنس**، ص104 ؛ عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م، ص130. (و قِيلَ أن المرأة كانت تَسِيرُ وحدها حاملةً الذهب في جميع أقطار المغرب، ولا تجد من يعترض سبيلها لأنه لم يبق في عصر الأمير يوسف ظلم ولا سرقة. أنظر: محمود شيت خطاب: **المغرب العربي**، دار الفكر، ط1، 1966م، ص181).

10- ابن الخطيب، **رقم الحلل**، ص53 ؛ ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص188.

2- فتوحات يوسف بن تاشفين في المغرب:

أ- فتح فاس و أحوازها:

انطلقت فتوحات الأمير يوسف بن تاشفين في المغرب مباشرة بعد رحيل الأمير أبي بكر ابن عمر إلى الصحراء، سنة 453هـ/1061م، لإزالة الفتنة الواقعة بين قبائل صنهاجة[1]. حيث جهز يوسف جيشاً وصل عددهم إلى أربعين ألف[2]. اختار منهم أربعة قواد هم سير بن أبي بكر اللمتوني[3]، و عمر بن سليمان المسوفي[4]، و مزدلي التلكاتي[5]، و محمد بن تميم الجدالي[6]. و عقد لكل واحد منهم على خمسة آلاف، و تولى بنفسه قيادة بقية الجيش، و اتجهوا لقتال من بالمغرب من مغراوة و بني يفرن[7]، و غيرهم من قبائل البربر حتى أخضعهم، و أثخن فيهم[8]. فاستوثق أمره، و كثرت جموعه، و شَعَرَ إثر ذلك بالحاجة إلى بناء قاعدة تكون أساس ملكه، و منطلق تحركـــاته، فبنى مدينة مراكش سنة 454 هـ/ 1062م[9]. فسمح له ذلك بتنظيم أموره، فجند

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص138 ؛ رجب محمد عبد الحليم: **دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى (125-455) هـ/ (743- 1063) م**، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، د.ت، ص 101.

2- السلاوي، **الإستقصا**، ج2، ص21 ؛ عبد الله كنون، **يوسف بن تاشفين**، ص15.

3- هو ابن عم يوسف بن تاشفين، و أحد أهم قَادَتِهِ، خاض معارك طاحنة في بلاد الأندلس. وهو أول من تولى اشبيلية بعد القضاء على ابن عباد سنة 484 هـ/1091م. توفي بالقرب منها سنة 507 هـ/1113م. (أنظر: مجهول: **مفاخر البربر**، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة و النشر، الرباط، ط1، 2005م، ص109 ؛ مجهول، **الحلل الموشية**، ص72 ؛ ثريا عبد الفتاح ملحس، **المرجع السابق**، ص38- 39).

4- من بين أشهر القواد المرابطين، ينتمي إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية، له صولات و جولات إلى جانب الأمير يوسف في حروبه بالمغرب و الأندلس. (ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص138).

5- ورد عند ابن أبي زرع باسم مدرك، و في باقي المصادر باسم مزدلي. و هو مزدلي بن تيولتكان بن حمنى بن ترقوت الصنهاجي اللمتوني، ابن عم يوسف بن تاشفين، و أحد أكبر قُوَادِهِ. كان بطلاً ثبتاً، من مَنَاقِبِهِ استرجاع بلنسية من أيدي الرُّوم. طال عمره، و توفي سنة 508هـ/1114م. (أنظر: ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص30 ؛ ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975م، ص274- 275).

6- من قبيلة جدالة الصنهاجية، من بين كبار قادة الدولة المرابطية في عهد الأمير يوسف بن تاشفين. (فاطيمة هارون، **المرجع السابق**، ص48).

7- من قبائل زنانة في المغرب الأقصى. (ابن سعيد، **المصدر السابق**، ص141).

8- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص138 ؛ السلاوي، **المصدر السابق**، ج2، ص21.

9- ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص184.

L'Encyclopédie Coloniale et maritime : **Maroc**, éditions de l'empire français, Paris, 1948, p51.

الأجناد، و استكثر من القواد، و اتخذ الطبول، و البنود، و بعث العمال و العهود. و بلغ جيشه أزيد من مائة ألف[1]. فخرج من مراكش قاصداً مدينة فاس، و القبائل المحيطة بها من زناتة، ملبياً طلب النجدة من صاحب مكناسة مهدي الكزنائي على عدوه معنصر المغراوي[2]، صاحب فاس. فهاجم يوسف قلعة فازاز التي كانت تحت حكم مهدي بن توالى[3]، فقضى عليه. ثم تابع سيره فاعترضته بعض قبائل زناتة في عدد كثير، و كانت له معهم حروب شديدة، انهزموا فيها، و قتل منهم ما يزيد على أربعة آلاف رجل[4].

و واصل المسير باتجاه فاس، و بدأ الصراع بين فرع زناتة الذي يحكم فاس، و بين الأمير يوسف، و كانت المعركة حامية الوطيس، استخدم فيها يوسف أسلوب التقري[5]، بينما استخدم حاكم فاس معنصر أسلوب الكر و الفر. و هُزِمَ جيش هذا الأخير، ففر جِهة الشرق، فاستولى يوسف على أحواز مدينة فاس[6]. ثم توجه نحو مدينة صفروا[7]، و دخلها عنوة، و رجع إلى حصار مدينة فاس، حتى دخلها صُلحاً عام455هـــ/1063م، بعد فِرَارِ معنصر منها، فولى عليها عاملاً من لمتونة، و كان ذلك هو الفتح الأول لفاس[8]، ثم ترك المدينة إلى بلاد غمارة و استولى على حصونها و قلاعها[9].

1- بن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص139 ؛ حموش عبد الحق، **ابن تاشفين**، ص44.

2- تولى فاس و أحوازها سنة 455 هـــ، بعد أن عينه عليها ابن عمه الفتوح بن دوناس، و بايعته قبائل مغراوة. (أنظر: السيد عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير**، 699/2 ؛ شعيرة، **المرجع السابق**، ص87).

3- من قبيلة بني يحفش الزناتية، أعاد الاستيلاء على قلعة فازاز بعد رحيل الأمير أبي بكر إلى الصحراء، و خلع طاعة المرابطين، و قتل الحامية التي تركوها بالقلعة. (أنظر: عيسى بن ذيب، **المرجع السابق**، ص347).

4- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص139.

5- ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص184 ؛ التقري هو توجيه الجيوش إلى منطقة معينة على أن لا تقف لحصار مكان محدد ، مكتفية بحرب الجيوش التي تخرج إليها فقط، وكذلك الحصول على مكاسب ممكنة كأن تنظم إليها مدينة من المدن. (أنظر: شعيرة، **المرجع السابق**، ص88).

6- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص139.

7- كان حاكمها في ذلك الحين من أولاد مسعود المغراوي، و كانوا يبسطون نفوذهم أيضا على وادي ملوية. (سعدون عباس نصر الله، **المرجع السابق**، ص45).

8- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص139 ؛ السلاوي، **الإستقصا**، ج2، ص26 ؛ شوقي ضيف: **عصر الدول و الإمارات الجزائر– المغرب الأقصى – موريتانيا – السودان**، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1995م، ص276.

9- ابن أبي زرع، **نفس المصدر السابق**، ص 140.

اغتنم معنصر فرصة خروج يوسف فهاجم فاس، و قتل عاملها المرابطي، و هدد بذلك فتوحات يوسف في المغرب الشمالي، و على إثر ذلك طالب الأمير يوسف بن تاشفين حليفه مهدي الكزنائي أن يهاجم فاس. فتفطن معنصر للأمر، و اعترض سبيله، و دار بينهما قتال شديد قُتِلَ فيه الكزنائي، و تفرق جيشه. فاضطر الأمير يوسف إلى إرسال جيش آخر إلى فاس، فحاصرها حتى ضاق الأمر بأهلها، وجمع معنصر جيشاً، و خرج لمواجهة جيش المرابطين فدارت الدائرة عليه، و قتل مع ابنه تميم[1]. و رغم هذا لم يستولي المرابطون على فاس حيث التف أهلها حول بيت موسى بن أبي العافية، و بايعوا أحد أحفاده[2]، الذي جمع قبائل زناتة و خرج لقتال المرابطين و هزمهم في معركة وادي صيفير[3]. و هي الهزيمة الثانية للمرابطين على يد قبائل زناتة.

و في هذه المرة تدارك المرابطون الأمر في سرعة و ثبات، و تقدم جيشهم، و استولى على كثير من الحصون و القلاع في أحواز فاس، حيث فتح بلاد بني مراس، وقتل أميرهم يعلي ابن يوسف، و فتح مدينة ورغة سنة 458هـ/ 1065م[4]، و تابع الحرب حتى تم له فتح جميع البلاد من الريف إلى طنجة عام 460هـ/1067م، و يُعد هذا الفتح الثاني لفاس[5].

و بعد سنتين أعاد يوسف الكرة على مدينة فاس، فحاصرها بجيش بلغ مئة ألف جندي، حتى دخلها عُنْوَةً بالسيف، و قتل حوالي ثلاثة آلاف من مغراوة و بني يفرن و سائر زناتة، فامتلأت الأسواق بالقتلى. و كان دخوله المدينة نهار الخميس ثاني جمادى الآخرة عام 462هـ/ 1069م[6].

1- ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص185 ؛ السلاوي، **المرجع السابق**، ج2، ص26.

2- هو القاسم بن محمد بن عبد الرحمن، من ولد موسى بن أبي العافية الزناتي. (ابن خلدون، **المصدر السابق**، 185/6).

3- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص140 ؛ شعيرة، **المرابطون تاريخهم السياسي**، ص91.

4- ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص185 ؛ سعدون عباس، **المرجع السابق**، ص47.

5- السلاوي، **المصدر السابق**، ص27 ؛ الجراري، **المرجع السابق**، ج2، ص33 ؛ الصلابي، **الجوهر الثمين**، ص9.

6- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص141 ؛ شوقي عطاء الله الجمل- عبد الرزاق إبراهيم: **تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم** ، دار الثقافة القاهرة، 1996م، ص88.

C. E. Bosworth et autres : **Encyclopédie de l'islam**, tome7, nouvelle éditions, Pays-Bas, 1986, p1179 .

ثم قام يوسف بتنظيم المدينة، فأمر بهدم الأسوار الفاصلة بين العُدْوَتَيْنِ[1]، و جعلها مِصْراً واحداً، و أدار عليها الأسوار، و أمر ببناء المساجد في أحوازها و أزقتها، فإذا اكتشف شارعاً لا يقوم فيه مسجد عاقب أهله، كما بنى الحمامات و الفنادق، و أصلح الأسواق[2].

و أقام بها الأمير يوسف حتى صفر من سنة 463 هـ/ 1070م، ثم اتجه إلى بلاد ملوية و فتحها و استولى على حصون وطاط من بلاد طنجة[3].

و خرج بعد ذلك يطوف في أقاليم المغرب يُتَابِعُ الأمراء، و يحاسب الولاة، و ينشر العدل، و يرفع المظالم على الرعية، فاشتهر ذكره و ذاع صيته[4].

ب- فتح طنجة و سبتة:

واستمر يوسف بن تاشفين بعد نهاية جولته التفقدية في أقاليم المغرب، عملياته العسكرية تمهيداً لفتح مدينة طنجة و سبتة[5]. حيث قام بغزو الدمنة من بلاد طنجة عام 465هـ/ 1072م، و فتح جبل علودان، و استولى في سنة 467هـ/ 1074م على منطقة تازا[6] و أحوازها، و على جبال غياثة و بني مكود. و جعل هذه المناطق حداً فاصلاً بينه و بين قبائل زناتة التي اتجهت نحو الشرق[7]. وبهذا أصبحت كل بلاد المغرب الأقصى خاضعة لسلطة أمير

1- السلاوى، **الإستقصا**، ج2، ص27 ؛ السيد عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير**، ج2، ص701 ؛ كانت مدينة فاس تتألف من عُدْوَتَيْنِ، عُدْوَةُ الأندلسيين تأسست عام 192هـ، و عُدْوَةُ القرويين أنشأت عام 193هـ. (أنظر: سعدون عباس نصر الله، **المرجع السابق**، ص 47).

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص141 ؛ حمدي عبد المنعم، **المرجع السابق**، ص48.

3- ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص185 ؛ الصلابي، **المرجع السابق**، ص69.

4- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص142 ؛ عبد الله كنون، **يوسف بن تاشفين**، ص19.

5- مدينة مشهورة من قواعد بلاد المغرب على ساحل البحر الأبيض المتوسط في شمال المغرب الأقصى، تُقابلها الجزيرة الخضراء بالأندلس، يحيط بها سور محكم البناء، أهلها عرب و بربر. (أنظر: أبو حامد الغرناطي: **تحفة الألباب و نخبة الإعجاب**، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص160 ؛ ابن الخطيب، **نفاضة الجراب**، ص261، هامش1 ؛ محمد بن القاسم السبتي: **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الأثار**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، ط2، 1403 هـ- 1983م، ص60 و ما بعدها).

6- تقع بين المغرب الأوسط و المغرب الأقصى، وهي مدينة ساحلية، بها مياه و أنهار تُسْقَي بساتينها الكثيرة الفواكه و الزرع، و جميع الخيرات. (أنظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص128 ؛ بن الخطيب، **معيار الاختيار**، ص82).

7- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص142 ؛ السلاوي، **المصدر السابق**، ج2، ص27.

المرابطين باستثناء طنجة و سبتة.

و في سنة 470هـ/1077م، سيَّر يوسف الجيوش باتجاه طنجة، فبعث قائده صالح بن عمران في اثني عشر ألف فارس من المرابطين، و عشرين ألف من سائر قبائل المغرب، و عندما اقتربت جموعهم من طنجة برز إليهم الحاجب سكوت البرغواطي[1] بجيشه، فالتقى الجمعان، و اشتد القتال بينهما، و انتصر المرابطون و قُتِلَ الحاجب سكوت، و استولوا على طنجة[2]. و استأنف الأمير يوسف مطاردة فلول قبائل زناتة في شرق المغرب الأقصى، و فتح مدينة جرسيف، و مليلة[3]، و جميع بلاد الريف، و مدينة نكور[4] و ذلك في سنة 473 هـ / 1080م.

و فيما يخص سبتة، فقد تأخر فتحها إلى سنة 477هـ/1084م، حيث بعث الأمير يوسف جيشاً بقيادة ابنه المعز، فحاصر المدينة براً و بحراً، و دارت معركة بحرية طاحنة[5] و في نهاية المطاف انتصر المرابطون، و قتل ضياء الدولة ابن الحاجب سكوت البرغواطي، و كتب المعز لأبيه الأمير يوسف يخبره بهذا النصر و هو بفاس، و فرح لذلك كثيراً [6]، لأنه استطاع بفضله الاستيلاء على كامل بلاد المغرب الأقصى، و أصبحت الدولة المرابطية قوة لا يستهان بها.

1- أصله من قبيلة برغواطة الزناتية، أُسِرَ في حرب غمَّارة و برغواطة، كان عبداً لعلي بن حمود الإدريسي. ساعده قَوْمَهُ في الوصول للحكم، فأصبح والياً على طنجة وسبتة، و بعد سقوط دولة الحموديين بقي حاكماً عليهما. لّما هاجمه المرابطون كان شيخاً كبيراً سنه ستة و ثمانون سنة. (أنظر: ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص140).

2- ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص185 ؛ شوقي عطاء الله الجمل: **المغرب العربي الكبير (من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر) ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب الأقصى (مراكش)**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، ط2، 1997م، ص19.

3- مدينة بالمغرب قريبة من سبتة، ذات سور منيع، و هي على البحر المتوسط، بها زراعات كثيرة، و عمارات مُتصلة. (أنظر: الإدريسي، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**، ص253 ؛ إسماعيل العربي، **المدن المغربية**، ص89- 90).

4- مدينة بالمغرب قريبة من مليلة على ضفة البحر الكبير (البحر الأبيض المتوسط)، أسسها سعيد بن إدريس أواخر القرن الأول الهجري، كثيرة البساتين وطَيِّبَةُ الهواء. (أنظر: الإدريسي، **المصدر السابق**، ص247 ؛ الحموي، **المصدر السابق**، ص576-577).

5- ذَكَرَ ابن أبي زرع أن المعتمد بن عباد ساعد المرابطين على حصار سبتة عن طريق البحر، و هذا لكي يُقَدِمُ له المرابطون بدورهم يد العون لرد عدوان النصارى في بلاد الأندلس، و قد كتب ليوسف مستصرخاً سنة 475 هـ/1082م. (أنظر : **روض القرطاس**، ص143- 144).

6- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص144 ؛ السلاوي، **الإستقصا**، ج2، ص30.

ج- فتح تلمسان و المغرب الأوسط:

لّما أتمّ المرابطون فتح طنجة سنة 470 هـ/1077م[1]، استأنف الأمير يوسف توسعه نحو الشرق لمطاردة زناتة التي لجأت إلى بلاد المغرب الاوسط. فبعث القائد مزدلي لغزو مدينة تلمسان[2]سنة 472 هـ/1079م[3] في عشرين ألف مقاتل، فعاث في نواحيها، دون أن يستولي على المدينة، ثم عاد إلى المغرب، و لم تمضي السنة حتى قام المرابطون بالزحف نحو تلمسان من جديد فدخلوها و استولوا عليها و اخرجوا منها أمراء بني خزر الزناتيين[4].

و أقام الأمير يوسف هناك مدينة جديدة هي تاكرارت بجوار أغادير القديمة، ثم لم تلبث المَدِينَتَانِ أن اندمجتا و أصبحتا مدينة واحدة[5]، بنى المرابطون فيها القصور و الأسواق و المساجد، و جعلوها مقر ولاية المغرب الأوسط و قاعدتها[6].

و في سنة 474 هـ/1081م توغلت جيــوش الأمير يوسف بن تــاشفين في المغرب

1- ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص185 ؛ الجراري، **المرجع السابق**، ج2، ص35.

2- مدينة عظيمة قديمة، فيها أثار كثيرة، و هي في سفح جبل، لها نهر كبير يسمى سطفسيف و كانت دار مملكة زناتة، محاطة بأسوار عالية، و بها عمائر متصلة، و خيرات كثيرة. (أنظر: مجهول، **الاستبصار**، ج9، ص176 ؛ الحسن الوزان، **المصدر السابق**، ج2، ص7-8 ؛ صالح بن قرية وآخرون: **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ص262- 263).

3- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص143 ؛ عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج1، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1980م، ص283 ؛ الحاج محمد بن رمضان شاوش: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص62.

4- ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص186 ؛ محمد بن عمرو الطمار: **تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص42.

5- ابن الخطيب، **نفاضة الجراب**، ص220، هامش1 ؛ يحي بوعزيز: **مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، ط2، 2004م، ص18.

6- ابن خلدون: **المقدمة**، تحقيق خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م، ص76 ؛ محمد بن معمر: **مركز تلمسان الثقافي من أجادير الإدريسية إلى تاجرارت المرابطية**، منشور ضمن مجلة حولية المؤرخ، يصدرها إتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، العددان3- 4، 2003م، ص110.

الأوسط، و استولت على وهران[1]، و تنس[2]، و جبل وانشريس[3]، و أعمال الشلف[4]، و مدينة الجزائر التي توقف الفتح المرابطي عندها. و تفادى بذلك المرابطون الدخول في صراع مع إخوانهم الصنهاجيين في المغرب الأدنى و شرق المغرب الأوسط[5].

عاد يوسف بن تاشفين إلى مراكش سنة 475 هـ/1082م[6]، بعد أن أخضع جميع المناطق الغربية للمغرب الأوسط[7].

و هكذا تمكن الفقيه عبد الله بن ياسين بعد جهود مُضنية من إقامة اللبنة الأولى لدولة المرابطين، بفضل الرباط الذي أنشأه في إحدى جزر مصب نهر السنغال للعبادة وللجهاد في سبيل الله، و للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. و قد كان له ذلك حيث حارب البدع والخرافات السائدة في قبائل صنهاجة الجنوب، والقبائل المجاورة لها، ومضى مع أتباعه يفتحون مدينة بعد الأخرى إلى غاية وفاته سنة 451 هـ/1059م في حروبه مع قبيلة برغواطة الوثنية.

وتزعم الأمير أبو بكر بن عمر المرابطين، وخطى نفس خطوات سَلَفِهِ الفقيه ابن ياسين حيث واصل الحروب ضد القبائل الوثنية المنتشرة في المغرب الأقصى، و أخضع برغواطة

1- مدينة كبيرة على شاطئ البحر المتوسط، قريبة من تلمسان محاطة بأسوار عالية، أكثر أهلها تجار، بها بنايات و مساجد و أسواق. (أنظر: الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص385- 386 ؛ الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ج2، ص30-31).

2- مدينة قديمة بينها وبين البحر حوالي كيلومترين، كانت قاعدة مغراوة من زناتة، مشهورة بكثرة القمح و الفواكه وسائر الحبوب. (أنظر: ابن سعيد، **المصدر السابق**، ص142 ؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص138).

3- جبل بأرض المغرب الأوسط، يسكنه قبائل من البربر، و منه ينبع نهر الشلف الكبير. (أنظر: ابن سعيد، **المصدر السابق**، ص141؛

المقريزي، **المصدر السابق**، ص65).

4- مدينة فيها نهر كبير، و بها سوق عامرة، يسكنها قبائل من بربر زناتة. (أنظر: ابن سعيد، **نفس المصدر السابق**، ص141؛ صالح بن قربة وآخرون، **المرجع السابق**، ص258).

5- المغرب الأدنى (تونس حاليا)، وكان تحت حكم بني زيري، و الجزء الشرقي من المغرب الأوسط كان يحكمه بنو حماد، وعاصمته القلعة ثم بجاية. (حمدي عبد المنعم، **المرجع السابق**، ص49 ؛ لطيفة بن عميرة: **تلمسان من نشأتها إلى قيام دولة بني عبد الواد**، منشور ضمن مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد 6، 1992م، ص68).

6- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص144 ؛ السلاوي، **المصدر السابق**، ج2، ص30.

7-Akram B .Ellyas : **A La Rencontre du Maghreb,** Institut du Monde Arabe, Paris, 2001, p40.

و استأصل شأفتها، و انتقل إلى شمال المغرب واستولى على الكثير من المدن. و استقر بأغمات إلى أن جاءته الوفود من الصحراء سنة 453هـ/1061م تخبره باختلال الوضع هناك إثر خلاف نشب بين قبيلة جدالة و لمتونة الصنهاجيتين، فانصرف إلى هناك تَارِكاً ابن عمه يوسف ابن تاشفين نائباً عنه على المغرب.

و منذ ذلك الحين قبض يوسف بن تاشفين على زِمَامِ الأمور في المغرب، خاصة بعد بنائه مدينة مراكش سنة 454هـ/1062م و التي جعلها عاصمة لدولته الناشئة، و منها انطلق في سلسلة من الفتوحات والغزوات لإخضاع قبائل زناتة، و سائر قبائل المغرب الأقصى و مدنه التي سقطت في يديه الواحدة تلو الأخرى، حيث استولى على فاس و طنجة و سبتة، كما عمل على ضم جزء من المغرب الأوسط، و وصلت جيوشه إلى تلمسان و وهران والجزائر، حتى بلغت حدود أقربائه من بني حماد، و بني زيري، وقد استغرق في فتوحاته هذه حوالي عشرين سنة. كما تميزت هذه الفترة من إمـــارة يوسف بن تاشفين بحدث هـــام، و هو تلقبه بأمير المسلمين و ناصر الدين، فاستوثق بذلك أمره، و ذاع صيته، و تعلقت به الآمال في بلاد المغرب، وكذلك في بلاد الأندلس التي سارع أهلها وأمراؤها للاستنجاد به لإيقاف الزحف الصليبي على بلادهم.

الفصل الثاني
المرابطون في الأندلس

I- استدعاء المرابطين للأندلس

II- العبور الأول و معركة الزّلاقة

III- العبور الثاني و معركة حصن لييط

لما فتح المرابطون مدينة سبتة سنة 477هـ/1084م، أصبحوا سادةً على مملكة واسعة الأرجاء، تشمل بلاد المغرب الأقصى، وبلاد الصحراء والسودان الغربي، وجزء كبير من بلاد المغرب الأوسط، فاشتهر بذلك ذكرهم في الأفاق، خصوصاً أميرهم يوسف بن تاشفين، الذي سمع عنه القاصي والداني في سائر أرجاء العالم الإسلامي، لا سيما بلاد الأندلس، التي كانت في حالة متقدمة من الاضطراب والفوضى في عهد دويلات الطوائف المغلوبة على أمرها، و التي كانت تعاني من تكالب النصارى عليها، فاستنجد أمراؤها وأهلها بالأمير يوسف بن تاشفين لكي يدفع عنهم خطر النصارى، وزحفهم على بلادهم. و بعد أخذٍ وردٍ، قَبل أمير المرابطين القيام بهذه المهمة النبيلة المتمثلة في العبور لبلاد الأندلس لنجدة إخوانه المستضعفين.

وأتناول في هذا الفصل الدور الذي قام به الأمير يوسف خلال عبوره الأول لبلاد الأندلس، و خوضه معركة الزّلاقة ضد ألفونسو السادس، ملك النصارى، سنة479هـ/ 1086م، وأتحدث عن النصر الذي أحرزه في هذه المعركة، والنتائج التي انبثقت عنها. كما أتحدث عن عبوره الثاني إلى بلاد الأندلس وعن ظروفه وأسبابه، وخوضه معركة أخرى مع النصارى وهي معركة حصن لييط التي سأسلط الضوء على أحداثها، وعلى النتائج التي تمخضت عنها.

I- استدعاء المرابطين للأندلس.

1- أوضاع الأندلس السياسية قبل عبور المرابطين:

أ- الإمارات الاسلامية:

مع مطلع القرن الخـــامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، بدأ الضعف يدب في أركان

الخلافة الأموية[1] بالأندلس[2]، التي انهارت كلية سنة 422 هـ/1031 م[3]، بإعلان الوزير أبي الحزم بن جَهْوَر[4] سقوطها، بعد خلع آخر خلفاء بني أمية هشام بن محمد المعتد بالله. و قد نتج عن ذلك قيام ما يعرف بدول الطوائف، حيث استقل كل أمير أو وزير أو قاضي بمدينة من المدن. و أعلن نفسه حاكماً عليها، والتفت إلى محاولة التوسع على حساب أراضي، وممتلكات، وحدود المدينة المجاورة. فَوَلَّدَ كُلَ هذا صِرَاعاً وعِدَاءً انتهى في كثير من الأحيان إلى معارك وحروب، ويعد هذا العهد من تاريخ بلاد الأندلس أكثر العهود تعقيداً وتشابكاً واضطراباً[5].

وتلقب هؤلاء الأمراء المُتغلبون بألقاب الخِلافة كالمتوكل والمعتضد، والمعتمد و المستعين

---

1 - أَسَسَهَا بالأندلس عبد الرحمان بن مُعاوية بن هِشام بن عبد الملك الأموي، المُلقب بالداخل سنة 138هـ، بعد أن هرب من اضطهاد العباسيين بالمشرق. (أنظر: مجهول: **كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها**، تحقيق و تعليق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص121 وما بعدها ؛ راغب السرجاني: **الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي**، ج1، مؤسسة اقرأ، القاهرة ، ط1، 2005م، ص375).

2- تمّ فتح بلاد الأندلس سنة 92 هـ/711م، على يد طارق بن زياد، والي موسى بن نصير أمير إفريقية في عهد بني أمية. (أنظر: ابن عبد الحكم: **فتوح أفريقيا و الأندلس**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م، ص70 و ما بعدها ؛ البلاذري: **فتوح البلدان**، تحقيق عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، ص141 و ما بعدها ؛ ابن القوطية: **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص22 و ما بعدها ؛ جرجي زيدان: **فتح الأندلس أو طارق بن زياد**، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص3 وما بعدها).

3- ابن الوردي، **المصدر السابق**، ج1، ص319 ؛ علي حبيبة: **مع المسلمين في الأندلس**، مكتبة الشباب، مطابع سجل العرب، مصر، 1972م، ص229.

4- جَهْوَر بن محمد بن جَهْوَر، يُكنى أبا الحزم، ولد سنة 364هـ، تولى قرطبة سنة 422هـ، و أحسن تدبيرها عُرف بالدهاء و العقل، و كان كثير البرِّ والإحسان. عاشت قرطبة في أيامه بأمن و رخاء إلى أن توفي سنة 435هـ. (أنظر: ابن خاقان: **مطمح الأنفس و مسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، مطبعة الجوائب، قسنطينة، ط1، 1302 هـ/1884م، ص15 ؛ ابن بشكوال: **الصلة**، تحقيق ابراهيم الأبياري، مج11، ج1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1989م، ص215 ؛ الخشني: **قضاة قرطبة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1989م، ص164).

5- محمد سهيل طقوش: **تاريخ المسلمين في الأندلس 91- 898 هـ/710- 1492م**، دارالنفائس، بيروت، 2008م، ص427.

وغيرها[1]. فجلب لهم ذلك هجاء الشعراء، حيث وصفهم ابن رشيق القيرواني[2] ساخراً منهم بقوله :

مِمّــا يُزْهِدُنِي بِأَرْضِ أَنْدَلُــسِ أَسْمَاءُ مُعْتَمَــدٍ بِهَا و مُعْتَضَــدِ

أَلْقَابِ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كالهِرِ يَحكِي انتفَاخاً صَوْلَةَ الأَسَدِ[3]

وبلغ عدد دويلات الطوائف حوالي ثلاثٌ وعشرون دويلة[4]، تتفاوت فيما بينها من حيث القوة و الضعف. برزت منها حوالي سبع دول رئيسية غلبت على جميع الدويلات الأخرى، أو تحالفت معها [5]، وتتمثل هذه الدويلات في:

دولة بني جهور بقرطبة[6] (Cordova): برئاسة أبي الحزم جهور، الذي بايعه أهلها بالرئاسة بعد أن لمســوا فيه الخير و الصلاح، و حسن التدبير [7]، و قد دبّــرها أحسن تدبير إلى

1- المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ص53. (و قد وصف هؤلاء الأمراء ابن جبير بقوله: كلهم قد تَحَلَّ بحلية تنسب إلى الدّين، فلا تسمع إلاّ ألقاباً هائلة، وصِفات لِذِي التحصيل غير طائلة). (أنظر: ابن جبير: **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، د.ت، ص216).

2- هو أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني أديب وشاعر ولد في المسيلة بالجزائر، له العُمدة في صناعة الشِعر ونَقده، توفي سنة 463 هـ/1071م. (انظر: المراكشي، **المصدر السابق**، ص53).

3- المراكشي، **نفس المصدر و الصفحة** ؛ ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج1، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية و الأخبار، الدار التونسية، تونس، 1976 م، ص69-70.

4- مريم قاسم طويل: **مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح 443-484 هـ/1051-1091 م**، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م، ص27.

5- محمد سهيل طقوش، **المرجع السابق**، ص430.

6- مدينة عظيمة هائلة، قاعدة الأندلس وقُطبها، وأم مدائنها، وقطرها الأعظم، أنشأها عبد الرحمان الداخل، وجعلها عاصمة لملك بني أمية، وهي طيبة الماء و الهواء، وكثيرة البساتين و الحُصون و القِلاع. (أنظر: الحموي، **المشترك وضعا**، ص206 ؛ أحمد بن المهدي الغزال: **نتيجة الاجتهاد في المهادنة و الجهاد (رحلة الغزال وسفارته إلى الأندلس)**، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص95).

7- الحميدي: **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر**، تحقيق وتقديم صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1425هـ/2004م، ص34 ؛ عبد الحميد نعنعي: **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، التاريخ السياسي**، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص530-531.

غاية وفاته سنة435 هـ/1043م، فخلفه ابنه أبو الوليد محمد، الذي اقتفى أثر أبيه، لكنه زهّد في الإمارة، وقَدَمَ ابنه عبد الملك الذي لم يكن في المستوى المطلوب، فاضطربت أحوال قرطبة في عهده، ما سهّل على صاحب طليطلة[1] يحي بن ذي النون[2] الاستيلاء عليها مدة من الزمن، ثم استولى عليها بعده المعتمد بن عباد[3]صاحب إشبيلية، وذلك سنة 462 هـ/ 1070م[4]، وانتهى بذلك حكم بني جهور لقرطبة بعد أن استمر حوالي أربعين عاماً.

دولة بني عباد في إشبيلية[5] (Seville): أسسها محمد بن إسماعيل بن عباد[6] سنة 414هـ/1023م، و بلغت العظمة في عهد حفيده المعتمد بن عباد، بالخصوص بعد استيلائه على قرطبة. وأصبح أشهر أمراء الطوائف وأجّلهم، قال عنه ابن الأثير أنه كان من محاسن الدنيا كرماً، وعلماً وشجاعةً، ورئاسةً تامةً[7].

دولة بني ذي النون بطليطلة (Toledo): تأسست بعد اضطراب أحوال الخـلافة الأموية، تحديداً عام 427 هـ/1036م على يد إسماعيل بن عبد الرحمـان بن ذي النون وهو

1- تقع على هضبة مرتفعة في وسط شبه الجزيرة تقريباً، كانت قصبة بلاد الأندلس، و قاعدتها العُظمى، و هي من أقدم بلاد الأندلس، وأمنعها وأعذبها ماء، وأطيبها هواء. (أنظر: مجهول: **تاريخ الأندلس**، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007م، ص91 و ما بعدها ؛ حسين مؤنس: **فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711- 756)م**، الدار السعودية، جدة، ط2، 1985م، ص7- 8) ؛ (أنظر أيضاً: **خريطة رقم 2**، ص149).

2- هو أبو الحسن يحي بن إسماعيل بن ذي النون، تلقب بالمأمون، حَكَمَ بعد وفاة أبيه سنة 435 هـ، كان كريماً شجاعاً، وكان من بين أقوى ملوك الطوائف، توفي سنة 467 هـ. (أنظر: مجهول، **تاريخ الأندلس**، ص 259- 260).

3- هو محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل، تولى بعد وفاة أبيه المعتضد بالله سنة 461 هـ/1068م، و يُعتبر من أقوى ملوك الطوائف، كان صاحب المبادرة للاستنجاد بالمرابطين ضدّ النصارى، وكان من أبطال معركة الزّلاقة، توفي بأغمات سنة 488 هـ. (أنظر: ابن عسكر، ابن خميس: **أعلام مالقة**، تحقيق عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الأمان، الرباط، ط1، 1999م، ص279 و ما بعدها ؛ ابن قنفذ: **كتاب الوفيات**، تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1983م، ص260 ؛ الزركلي، **الأعلام**، ج3 ، ص257).

4– الحميدي، **المصدر السابق**، ص37 ؛ الضبي: **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، ج1، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1989 م، ص57.

5 - مدينة كبيرة تُسمى حمص أيضاً، تقع غرب قرطبة، بينهما أربعة أيام، وهي على شاطئ نهر عظيم يقال له وادي الكبير. (أنظر: الحموي، **معجم البلدان**، مج 1، ص159 ؛ القزويني، **المصدر السابق**، ص497).

6- أبو القاسم محمد بن إسماعيل، كان ذا أدب و مُرُوؤة، حاز رياسة إشبيلية و أورثها عَقِبَهُ، توفي عام 433 هـ.(أنظر: ابن عذارى: **البيان المغرب**، ج3، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص 195 وما بعدها ؛ النباهي: **تاريخ قضاة الأندلس - أو - المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، تحقيق مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م، ص125).

7- ابن الأثير: **الكامل**، ج10، ص248.

من أصل بربري من قبائل هوارة [1]. خلفه في الحكم ابنه يحي الملقب بالمأمون. وعرفت طليطلة في عهده صراعاً كبيراً بينه وبين باقي ملوك الطوائف، خاصة المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، و المستعين بن هود[2] صاحب سرقسطة[3]. وإثر وفاته سنة 467هـ/1075م، خلفه في الحكم حفيده يحي بن إسماعيل الملقب بالقادر. وزادت في عهده أحوال طليطلة في الاضطراب والفوضى، واحتدم الصراع بينه، وبين ملوك الطوائف، فاستعان بالنصارى للتخلص من تهديدهم[4]. وبذلك بدأت مرحلة النهاية بالنسبة لدولة بني ذي النون بطليطلة.

دولة بني هود بسرقسطة (Zaragoza): أسسها المستعين بن هود سنة 431هـ/ 1039م، بعد أن تخلص من سلطة التجبيين[5].كان من أقوى ملوك الطوائف، يذكر أنه لم يستعن بالنصارى في مواجهته لملوك الطوائف و مع ذلك استطاع إيقاف طموحاتهم. وظّلت سرقسطة صامدة في عهده إلى غاية وفاته سنة 448 هـ/1056م، حيث اضطربت أحوال الدولة بسبب الصراعات اللامتناهية والتي ظهرت بين أولاده الخمسة الذين استقل كل واحد منهم بحكم مدينة من المدن. و استعان كل طرف بالنصارى للقضاء على أخيه، إلى أن استبد المقتدر [6] بالأمر فَعَلَتْ مكانة سرقسطة في عهده إلى غاية وفاته سنة 475 هـ /

1- ابن الوردي، **المصدر السابق**، ج1، ص 319.

2- سليمان بن محمد بن هود الجذامي، تلقب بالمستعين بالله، كان من أقوى ملوك الطوائف في الثغر الأعلى للأندلس، قسم دولته بين أبنائه الخمسة، توفي في ذي القعدة سنة 448 هـ. (أنظر: مجهول: **فتح الأندلس في عهد موسى بن نصير**، تحقيق حساني مختار، منشورات دحلب، الجزائر، د.ت، ص79).

3- مدينة كبيرة القُطْرِ تقع شرقي الأندلس تُعرف بالمدينة البيضاء، واسعة الشوارع، حسنة الدِيار و المساكن، وكثيرة البساتين. (أنظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص317 ؛ محمود شيت خطاب: **قادة فتح الأندلس**، مج1، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، منار للنشر و التوزيع، دمشق، ط1، 2003م، ص67 ؛ **خريطة رقم 2**، ص149).

4- ابن بسام: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق سالم مصطفى البدري، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ص93 وما بعدها ؛ إبراهيم بيضون: **الدولة العربية في إسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة 92- 422 هـ/711-1031م**، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1986م، ص369 وما بعدها .

5- استولى بنو تجيب على حُكم سرقسطة بزعامة محمد بن عبد الرحمان زمن الخلافة الأموية بقرطبة، استمر حكمهم لها إلى غاية مجيء بني هود سنة 431 هـ /1039م. (محمد سهيل طقوش، **المرجع السابق**، ص 450-451).

6- أحمد بن سليمان الملقب بالمقتدر، كان حصته من ملك أبيه مدينة سرقسطة، استبد بالحكم على إخوته، و استولى على كثير من المدن في الثغر الأعلى. (أنظر: مجهول، **فتح الأندلس**، ص79).

1082م. فعاد الاضـــطراب من جديد بظهور صراع بين ولديه، واستمر الوضع على حاله إلى غاية قدوم المرابطين[1].

دولة بني عامر في بلنسية[2](Valencia): شرقي الأندلس، استولى عليها العنصر الصقلبي، و حكمها مجاهد العامري. ثم استولى عليها عبد العزيز بن عبد الرحمان شنجول عام 411هــ/1021م، كما استولى على مدن شرقي الأندلس كشاطبة و المرية. و ساد الأمن في ربوع دولته حتى وفاته عام 452هــ/1060م، فخلفه إبنه عبد الملك، الذي تلقب بنظام الدولة و بالمظفر[3]. و هجم في عهده صاحب طليطلة المأمون بن ذي النون على بلنسية، واستولى عليها، و بوفاة المأمون انتهز أبو بكر محمد بن عبد العزيز العامري الفرصة، واستقل ببلنسية عام 467هــ/1075م، و ظلت طوال عهده محل صراع بين صاحب طليطلة وصاحب سرقسطة المستعين بن هود، و كانت الغلبة لصاحب طليطلة بني ذي النون سنة 478هــ/1086م حيث استولى عليها بمساعدة النصارى[4].

دولة بني الأفطس ببطليوس[5](Badjoz): كان أول ظهور لهم سنة 413 هــ/ 1022 م، عندمـــا استولى الوزير عبد الله بن محمد بـــن مسلمة [6] على حكم بطليوس، دخل

1- محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م، ص284 وما بعدها.

2- مدينة مشهورة بالأندلس تقع شرق قرطبة، و هي برية بحرية ذات أشجار و أنهار، وبساتين. (أنظر: الحموي: **معجم البلدان**، مج1، ص 490 ؛ مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص 133).

3- عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الرحمان العامري، بُويِعَ بشاطبة و بلنسية يوم وفاة أبيه، و استمر في حكم بلنسية وساءت سِيرَتَهُ، فتمكن صهره صاحب طليطلة من القبض عليه سنة 458 هـــ، ونفيه إلى مدينة شنت برية التي توفي فيها. (أنظر: الزركلي، **الأعلام**، مج4، ص 160).

4- مجهول، **فتح الأندلس**، ص78 ؛ عبد الله عنان، **المرجع السابق**، ص 216 وما بعدها.

5- مدينة عظيمة تقع شمال وغرب قرطبة، على نهر في بسيط من الأرض، وهي مدينة حصينة كثيرة الفواكه، والزرع. (أنظر: أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص174 ؛ مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق وترجمة لويس مولينا، ج1، مدريد، 1983م، ص53).

6- هو عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي، كان وزيراً لسابور الفارسي والي بني أمية، أصله من إحدى قبائل مكناسة المغربية، يُعتبر مؤسس دولة بني الأفطس ببـــطليوس. (أنظر: عنان، **المرجع السابق**، ص82 ؛ محمد ســـهيل طقوش، **المرجع السابق**، ص 449).

في صراع عنيف مع المعتمد بن عباد للاستيلاء على مدينة باجة[1]، و التي كانت من نصيب بني الأفطس، و ترك الحكم لولده محمد الملقب بالمظفر سنة 437 هــ/1045م، و الذي صار على نهج والده في عداوة ابن عباد. كما دخل في صراع مع المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة، و استمر حاله على هذا النحو إلى غاية وفاته عام 460هــ/1067م[2]. و خلفه ابنه عمر الملقب بالمتوكل على الله[3]، الذي استولى على طليطلة عام 473هــ/1080م، فتعرض إلى ضغط الممالك النصرانية من الشمال.[4]

دولة بني زيري في غرناطة[5] (Granada): التي يرجع الفضل في انشائها لزاوي بن زيري[6]،أحد زعماء البربر في مطلع القرن الخامس الهجري، و لكنه لم يمكث هناك طويلا، و عاد إلى إفريقية[7]. وترك إبن أخيه حبوس بن ماكسن حاكماً عليها فنعمت في عهده بالهدوء،

1- (Beja) مدينة عظيمة تقع غرب قرطبة في شرق الأندلس، تُعتبر من أقدم المُدن بنياناً، لها مدن كثيرة، وحُصون، و هي أرض زرع وضرع. (أنظر: ابن الخراط الاشبيلي: **الأندلس في اختصار اقتباس الأنوار**، تحقيق ايميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990م، ص107).

2- ابن بسام، **الذخيرة**، ج2، ص 16 وما بعدها .

3- عمر بن محمد المظفر بن الأفطس، ورث الملك عن أبيه، وكان أديباً وشاعراً، يشبه المعتمد صاحب إشبيلية في الأبهة والمكانة، استمر في الحكم إلى أن خلعه المرابطون وقتلوه. (أنظر: ابن خاقان: **قلائد العقبان في محاسن الأعيان**، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص41 وما بعدها ؛ ابن الآبار: **المقتضب من كتاب تحفة القادم**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1989م، ص172 ؛ الكتبي: **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق إحسان عباس، مج3، دار صادر، بيروت، 1974م، ص155).

4- مجهول، **فتح الأندلس**، ص 78 ؛ رجب محمد عبد الحليم: **العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف**، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت، ص 370-371.

5- مدينة بالأندلس قديمة بالقرب من البيرة، من أحسن مدن الأندلس و أحصنها، يشقها نهر يعرف بنهر قلوم. (أنظر: أبو حامد الغرناطي، **المصدر السابق**، ص158 ؛ القزويني، **المصدر السابق**، ص541) ؛ (أنظر أيضاً: **خريطة رقم 2**، ص149).

6- هو زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي، قَدِمَ إلى الأندلس مع أقاربه ودخل في خدمة المنصور العامري بقرطبة سنة 390هــ/999م. كان داهية البربر، و وُصِفَ بالعزم والإقدام، عاد إلى إفريقية قَادِماً من غرناطة سنة 420 هــ، ومكث هناك إلى غاية وفاته. (أنظر: ابن الخطيب: **ديوان الصيب و الجهام و الماضي الكهام**، تحقيق محمد الشريف قاهر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1973م، ص13 ؛ مريم قاسم طويل: **مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر 403-483هــ /1012- 1090م**، دار الكتب العلمية، بيروت، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، ط1، 1994م، ص86 وما بعدها).

7- عن ظروف رحيل زاوي بن زيري إلى إفريقية. (أنظر: ابن بلكين: **المذكرات-أو- كتاب التبيان**، تحقيق إ. ليقي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1988م، ص24- 25).

والاستقرار، وبعد وفاته سنة 428 هـ/1037م خلفه إبنه باديس[1]. و يعد من أقوى حكام هذه الدولة، حيث دخل في نزاع مع جيرانه أمراء الطوائف خاصة المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية. و بعد وفاته عام 465 هـ/1073م خلفه حفيده عبد الله بن بلكين[2]، و دخلت غرناطة في صراع مع اشبيلية، والتمس كل طرف المساعدة من الممالك النصرانية[3].

و قامت في الأندلس دويلات أخرى ظهرت في تواريخ متقاربة، و انقرضت كذلك في تواريخ متقاربة، لم تَرْقَ بعضها إلى مستوى دول الطوائف منها دولة ابن صمادح في المرية[4]، والدولة الحمودية في مالقة [5] و الجزيرة الخضراء [6]، و دولة بني برزال في قرمونة [7]، و دولة بني

1- باديس بن حبوس بن ماكسن بن بلكين بن زيري الصنهاجي، المُلقب بالمظفر بالله، و الناصر لدين الله. كان حسن السياسة، صبور على الأذية، يرجع له الفضل في تحصين غرناطة، وتشييّد معالمها. (أنظر: ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص30 وما بعدها ؛ ابن الخطيب: **ديوان الصيب والجهام**، ص13 ؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج18، ص590-591).

2- عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس الصنهاجي، الملقب بالمظفر بالله، ولد سنة 447هـ/1055م، تولى تربيته الوزير الصنهاجي سماجة. كان وافر البلاغة و المعرفة، استمر حاكماً على غرناطة إلى غاية تغلب الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين عليه سنة 483 هـ، وأخذه إلى المغرب وتوفي هناك. (أنظر: ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج3، ص379 وما بعدها ؛ السملالي، **الإعلام**، ج8، ص184- 185 ؛ الزركلي، **الأعلام**، 75/4).

3- إسماعيل العربي: **دولة بن زيري ملوك غرناطة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص148.

4- (Almeria) مدينة حديثة، بناها الناصر لدين الله الأموي سنة 344هـ، وهي على ساحل البحر، عليها سُورٌ حصين، بها المتاجر العظمية والصِناعات الكثيرة. (أنظر: ابن الخراط، **المصدر السابق**، ص164 ؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص537- 538).

5-(Malaga) مدينة على شاطئ البحر من أعمال ريّة، عليها سور صخر، و هي حسنة عامرة، كثيرة الديار و لها مباني فخمة وحمامات و أسواق جامعة. (أنظر: الحموي، **معجم البلدان**، مج5، ص43 ؛ الحميري: **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إ. ليفي بروقنسال، دار الجيل، بيروت، ط2، 1988م، ص177 و ما بعدها).

6- (Algeciras) مدينة على ضفة بحر الزُقاق، توسطت مُدن السواحل، ذات مياه عذبة، و هواء مُعتدل، من مدنها مدينة طريف، و مرساها أحسن المراسي للجواز. (انظر: ابن سعيد المغربي: **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1964م، ص 320 ؛ مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص67-68).

7- (Carmona) مدينة قديمة البناء، تحدها من الشرق قرطبة، و من الغرب إشبيلية، بها أسواق ضخمة وحمامات، و هي من حصون الإسلام المشهورة. (أنظر: ابن سعيد، **المصدر السابق**، ص 299 ؛ حمدي عبد المنعم: **دراسات في التاريخ الأندلسي" دولة بني برزال في قرمونة" 404- 459 هـ / 1013- 1067م**، مؤسسة شبـاب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1990م، ص3).

طاهر في مرسية [1]، وغيرها من الدول [2].

و على العموم نقول إن هذه الدويلات نمت كالفطريات في بلاد الأندلس، حيث كثر عددها، وتنوعت ألوانها و أطيافها، مما ولّد صراعاً عنيفاً ومتواصلاً فيما بينها، أدى في نهاية المطاف إلى ضعف وتدهور أحوال جميع هذه الدول، مما شجّع النصارى على شنّ حرب ضروس على المسلمين في جميع بلاد الأندلس، عرفت بحروب الاسترداد [3].

ب - الممالك النصرانية :

ارتبطت نشأة الممالك النصرانية و تطورها بحركة الاسترداد "la Reconquista" التي ظهرت في شبه الجزيرة الإيبيرية [4]. هــــذه الحركة التي أخذت في النمو شيئاً فشيئاً، و بدأت تأخذ شكلاً أكثر وضوحاً بعد سقوط الخلافــــة الأموية و قيام دول الطوائف[5]، و قد استغلت

1- (Murcia) من المُدن العظيمة في شرق الأندلس، مُشيّدة في بسيط من الأرض حسنة المنظر، طيبة الماء و الهواء، و لها حصون كثيرة، وقرى متصلة. (أنظر: الحموي، **معجم البلدان**، مج5، ص107 ؛ مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص75-76 ؛ الغزال، **المصدر السابق**، ص 176 -177).

2- ضيف الله محمد الأخضر: **محاضرات في النظم الإسلامية و الحضارة العربية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م، ص152 ؛ شوقي أبو خليل: **عوامل النصر و الهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي**، دار الفكر، دمشق، 1981م، ص101؛ يوسف عيد، يوسف فرحات: **معجم الحضارة الأندلسية**، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 2000م، ص52.

3- هي تسمية أطلقها المؤرخون المحدثون على مجموعة العمليات العسكرية التي نفذها الأسبان بالأندلس، منذ بداية القرن الأول الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، وقد برزت هذه الحروب جلياً في عهد ملوك الطوائف مع مطلع القرن الخامس الهجري. (أنظر: إدوارد برّوي و أخرون: **تاريخ الحضارات العام القرون الوسطى**، نقله إلى العربية يوسف أسعد داغر، فريد م. داغر، مج3، عويدات للنشر و الطباعة، بيروت، 2003م، ص311-312 ؛ علي أحمد: **ظهور حركة الاسترداد بالأندلس وتطورها حــــتى نهايــــة القرن التاسع الهجري و دور المغاربة في كبح جماحها**، منشور ضمن مجلة الدراسات التاريخية، لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق، السنة السادسة، العددان 97-98، 2007م، ص189 وما بعدها).

4-كان لَفْظُ بلاد الأندلس يشمل شبه الجزيرة الإيبيرية كلها لّما كانت تحت سلطة المسلمين وعندما تقلصت حدود المسلمين أصبحت تدعى الأندلس الإسلامية، وسميت بشبه الجزيرة لإحاطتها بمياه البحر المتوسط و المحيط الأطلسي من الشرق و الغرب و الجنوب. (أنظر: عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: **دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999م، ص33- 34 ؛ سامي الكيالي: **في الربوع الأندلسية**، مكتبة الشرق، حلب، سورية، 1963م، ص11).

5- حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص246 ؛ محمد محمود أحمد النشار: **علاقة مملكتي قشتالة و أراجون بسلطة المماليك (1260-1341 م/658-741هـ)**، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، مصر، ط1، 1997م، ص29.

القوى النصرانية ضعف هذه الدول، وتَفَرق شَمْلِهَا، وسوء أحوالها، فتطلعت للاستيلاء على أراضيها بقيادة ملكها سانشو الكبير[1]، الذي بسط نفوذه على إسبانيا النصرانية، واستطاع توحيدها تحت سيادته[2].

ورغم انهيار وحدة القوى النصرانية بعد وفاة سانشو الكبير سنة 427 هـ/1035م، إثر تقسيم المملكة بين أبنائه الأربعة، إلا أنه سرعان ما عادت هذه الوحدة بفضل فرديناند الأول[3](Fernando) الذي ورث من ملك أبيه مملكة قشتالة[4]، و مضى يُوَّسِع حدود مملكته على حساب إخوته، واستطاع بعد انتصاره في معركة تمارون سنة 429هـ/1037م[5]، أن يضم ليـــون [6] إلى أملاكه، كما استولى على كل من جليقية [7] و أشتوريش[8] و ما إليها، و غدا

1- عُرِفَ أيضاً باسم شانجة، يُعتبر باعث حروب الاسترداد في الأندلس، و هو من وَحَّدَ القِوى النصرانية تحت سُلطته عام 1000م، فملك نافار و قشتالة و ليون و أراغونة. (أنظر: يوسف أشباخ: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ترجمة وتعليق محمد عبد الله عنان، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1996م، ص10-11 ؛ محمد العمروسي المطوي: **الحروب الصليبية في المشرق و المغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م، ص 211).

2-أشباخ: **المرجع السابق**، ج1، ص11 ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: **أوروبا العصور الوسطى، التاريخ السياسي**، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، 1975م، ص531.

3- معروف في المصادر العربية باسم فردلند، و هو الابن الأكبر لسانشو الكبير، تلقب بلقب الإمبراطور تأكيداً لسيادته على إسبانيا المسيحية. اشتدت في عهده حروب الاسترداد، و أصبحت أكثر قوة. خلّف بعد وفاته سنة 458 هـ/1065م، إمبراطورية كبيرة تقاسمها أبناؤه. (أنظر: أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص11 وما بعدها ؛ شريفة محمد عمر دحماني: **العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية و البربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف القرن 5هـ - 11م**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2006م، ص237).

4- (Castilla) عمل من الأعمال الأندلسية، جميعه بيد الإفرنج، يشمل الأراضي الواقعة شمال الجبل المسمى بالشارات. (أنظر: **الحموي، معجم البلدان**، مج4، ص352 ؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص161).

5- انتصر في هذه المعركة على برمود الثالث ملك ليون. (أنظر: أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص11 ؛ شريفة محمد عمر دحماني، **المرجع السابق**، ص237).

6- (Leon) من أجّل مُدن الجلالقة وأعظمها، تقع شمال سمورة بانحراف إلى الشرق، تبعد عن ساحل بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) أربع مراحل. (أنظر: أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص185 ؛ محمود شيت خطاب، **قادة فتح الأندلس**، مج1، ص68).

7- (Galicia) بلدة من بلاد الرُّوم متاخمة للأندلس، وصل إليها موسى بن نصير لما فتح الأندلس، تمتد من نهر دويروه (Duero) جنوباً حتى الساحل الشمالي لشبه الجزيرة الإيبيرية، ومن الساحل الغربي لها حتى قشتالة. (أنظر: البكري: **جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك و الممالك**، تحقيق عبد الرحمان علي الحجي، دار الرشاد، بيروت، ط1، 1968م، ص71 ؛ الحموي، **المصدر السابق**، مج2، ص157).

8- (Auturias) وهي المنطقة الواقعة في أقصى الشمال الغربي لشبه الجزيرة الإيبيرية، و هي القسم الثاني من أقسام جليقية الأربعة، تحصن بها النصارى إثر فتح الأندلس من قبل المسلمين، و هناك نظموا أنفسهم لمقاومتهم. (أنظر: البكري، **المصدر السابق**، ص72 ؛ أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص10).

بذلك أقوى ملك في إسبانيا، فأخذ على عاتقه حرب المسلمين. و خطا خطوة كبيرة في ذلك، بحيث توسعت في عهده حركة الاسترداد و أضحت أكثر قوة من ذي قبل[1]. وقد خاض معارك ظافرة مع جيرانه المسلمين، و انتزع عدة قلاع و حصون من ملك سرقسطة، و استولى على العديد من المدن التابعة لملك بطليوس المظفر، و حاصر طليطلة فاضطر صاحبها لدفع الجزية، و تبعه في ذلك باقي أمراء الطوائف حتى صاحب إشبيلية الذي يُعَدُ أقوى حكام الأندلس كان يدفع الجزية للنصارى لكي يأمن شرهم، و يتخلص من تهديدهم[2].

أما إخوة فرديناند الثلاثة، فكانوا يحكمون ممالك صغيرة لا تكاد تعدل ثلث مملكته. بينما في شرق الجزيرة كان هناك إمارة برشلونة[3] التي يحكمها ريموند برنجار الأول، و بلغت الممالك النصرانية في ذلك الحين خمسا[4]، في مقابل ذلك كان عدد إمارات المسلمين في الأندلس حوالي ثلاث وعشرون[5]، و هذا دليل على ؛ قوة الممالك النصرانية التي اجتمعت معظمها تحت سلطة ملك قشتالة و ليون فرديناند الأول، وضعف دويلات الطوائف التي تفرقت كلمتها، وتَشَتَتَ جمعها، و أضحت أيامها في الأندلس معدودة .

و لم تتنفس دويلات الطوائف الصعداء إلا بعد وفاة فرديناند سنة 458هـ/1065م[6]، و انقسام أمراء النصـــارى على أنفسهم، بحيث تفرق شَمْلُ أبناء فرديناند[7]، و انشغلوا بخلافاتهم

1- رينهرت دوزي: **المسلمون في الأندلس**، ترجمة وتقديم حسن حبشي، ج3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م، ص79.

2- أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص 21 ؛ دوزي، **المرجع السابق**، ج3، ص79- 80.

3- (Barcalona) مدينة من القسم الثالث من الأندلس، على ساحل البحر، كان يحكمها ريموند برنجار (1035-1076)م، و قد ظهر كأحد حُماة النصرانية، قاتل المسلمين و انتزع منهم الأراضي مُستغلاً حالة انقسامهم و ضعفهم. (أنظر: البكري، **نفس المصدر السابق**، ص96 ؛ محمد محمود أحمد النشار، **المرجع السابق**، ص30-31).

4- أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص12.

5- جاك ريسلر: **الحضارة العربية**، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1993م، ص232.

6- ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج3، ص239 ؛ عبد الرحمان علي الحجي، **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897)هـ (711- 1492)م**، دار القلم، دمشق، بيروت، دار القلم، الكويت، الرياض، ط1، 1976م، ص328.

7- قَسَمَ فرديناند قبل وفاته بعام مملكته الكبيرة بين أولاده الثلاثة، فأعطى شانجة مملكة قشتالة، و ألفونسو مملكة ليون و أشتوريش، و غارسيا أعطاه مملكة جليقية (Galicia). (أنظر: شكيب أرسلان: **الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية**، مج3، ج3، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص59 ؛ عنان، **المرجع السابق**، ص389).

وتَخَلَوْا بصفة مؤقتة عن حرب المسلمين، الذين كانوا بدورهم منشغلين بعداء بعضهم البعض كسابق عهدهم[1].

واستمر انقسام النصارى مدة من الزمن، إلى أن عادت وِحْدَتَهم بزعامة ألفونسو السادس[2]، الذي سَلَكَ مسلك آبائه في التمكين لحركة الاسترداد.

و قَبْلَ أن يمضي في حرب ملوك الطوائف، بذل جهوداً شاقة في محاولة جَمْعِ أطراف ملك أبيه، فاستولى على ليون و جليقية بعد وفاة أخيه شانجة، و بسط سلطانه على الأقاليم الواقعة في وسط البلاد و غربها إلى الشمال من نهر تاجة[3]، و استطاع أن يجمع كلمة أراغون[4] ونافارا[5] (Navarra) و أن يقوم بتوطيد علاقته بالكنيسة الرومانية، وعموم القوى المسيحية في أوروبا، فاتخذت بذلك حركة الاستـــرداد شكل الحروب الصليبية[6]، ترعاها كنيسة روما وتباركها و تدعو لها، و تجند المسحيين من أجل المشاركة فيها [7].

وبعد أن قَوْي نفوذ ألفونسو بين الممالك المسيحية، عاد لخوض حروب الاسترداد، و يمهد

1- حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص252.

2- تُسميه المصادر العربية الأذفنش بن فرديناند الأول، ولد سنة 1030م، وكان رَجُلاً طموحاً قضى على مُلك إخوته وأعلن نفسه إمبراطوراً على ليون، قشتالة، جليقية و نافارا، استمر في حرب المسلمين بالأندلس إلى غاية وفاته سنة 1109م. (انظر: الزركلي، **الأعلام**، مج6، ص181 ؛ سيد أمير علي: **مختصر تاريخ العرب**، ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1967م، ص435).

3- نهر عظيم يشق طليطلة، يخرج من بلاد الجلالقة، ويصب في البحر الرومي (البحر المتوسط). (أنظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص127).

4- (Aragon) مملكة إسبانية في شمال الأندلس ، تقع على نهر إبره. (أنظر: محمود شيث خطاب، **قادة فتح الأندلس**، مج1، ص83).

5- تسميها المصادر العربية أحياناً نبرة، وهي مملكة نصرانية في شمالي الأندلس مجاورة لمملكة أراغون. (أنظر: البكري، **المصدر السابق**، ص144 ؛ محمود شيت خطاب، **المرجع السابق**، 83/1).

6- هي تلك الحروب التي شنها النصارى (الغرب) على المسلمين (الشرق) في العصور الوسطى أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، و استمرت حوالي قرنين من الزمن، أشهرها ثماني حملات، تمت بمباركة الكنيسة الرومانية، و اتخذت الصليب شعاراً لها. (أنظر: مصطفى وهبة: **موجز تاريخ الحروب الصليبية**، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط1، 1997م، ص3 وما بعدها ؛ أحمد مختار العبادي: **دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي**، منشور ضمن كتاب **بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية**، مجموعة البحوث التي ألقيت في ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ الدكتور أحمد فكري، 16- 20 أكتوبر 1976م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م، ص82).

7- حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص252- 253.

لها السُبل لتحقيق أهدافها المتمثلة في القضاء على تواجد المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية [1]. واشتدت هجماته على المدن الأندلسية، وكـــان يفرض عليها المغارم البـــاهظة فإذا عجزت، أو امتنعت عن دفع الجزية هاجمها، وحاصرها حتى يشتد عليها البلاء، فتذعن للأمر الواقع، وتستسلم له بلا قيد أو شرط [2].

و لم يكتف ألفونسو السادس بتهديد و إذلال المدن القريبة إلى مملكته كسرقسطة وطليطلة و بطليوس، بل هدد جميع مدن الأندلس سواء الواقعة في الشرق أو في الغرب، وحتى في الجنوب كغرناطة و إشبيلية، هذه الأخيرة انتزع من أميرها المعتمد بن عباد الإتاوة رغم كونه أقوى ملوك الطوائف[3].

2- أسباب العبور المرابطي للأندلس :

أ- سقوط طليطلة واشتداد الخطر النصراني :

بلغت دولة بني ذي النون بطليطلة في عهد أميرها يحي بن إسماعيل الملقب بالقادر الذي تولى الحكم بها منذ سنة 467 هـ/1075م، مرحلة متقـــدمة من الضعف و الاضطراب، ويرجع ذلك بالأساس إلى ضعف شخصيته، و سوء سياسته[4]، و انشغاله عن أمور الحكم، و تفـــرغه لحيـــاة الترف واللهو[5] ، بالإضافة إلى صراعه مع باقي أمراء الطـــوائف الذين كانوا

1-كمال أبو مصطفى: **محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته (المغرب والأندلس)**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2007م، ص263).

2- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، **المرجع السابق**، ص255.

3- مونتغمري وات: **في تاريخ اسبانيا الإسلامية (مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيا)** ترجمة محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للنشر و التوزيع، ط2، 1998م، ص 104.

4- و من سُوء سياسته أنه قام بقتل الفقيه و الوزير أبي بكر بن الحديدي، المعروف بالذكاء و المهارة في إدارة أمور الحُكم، وقد كان له شأن كَبيرٌ في عهد جده المأمون، الذي أوصى حفيده القادر بأن يجعله وزيراً ويستشيره في كل أمُوره، و لكنه ارتكب خطأً فادحاً بقتله، فثارت عليه الرعية. (أنظر: ابن بسام، **المصدر السابق**، ج4، ص94- 95 ؛ ليقي بروقنسال: **الإسلام في المغرب و الأندلس**، ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مراجعة لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1995م، ص135 وما بعدها).

5- علي أدهم: **المعتمد بن عباد**، دار القدس للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، د.ت، ص198.

في موقف العِداء و الحروب و الدسائس ضد بعضهم البعض[1]. و كان هؤلاء الأمراء يلجأون إلى ملوك النصارى من أجل الحصول على معونتهم، للاستيلاء على حصن أو مدينة من مدن إخوانه المسلمين.

وقد انتهج القادر هذا الأسلوب، وكان من بين أكثر أمراء الطوائف خضوعاً لملك قشتالة و ليون ألفونسو السادس، وكان يدفع له الإتاوة، ويتنازل له عن القلاع و الحصون نظير حمايته ومساعدته في حروبه ضد أمراء الطوائف[2] . فجلب له ذلك سخط الرعية، وكرههم، خاصة وأنه فرض عليهم ضرائب باهظة، لأجل جمع الإتاوة التي يتزايد مقدارها عاماً بعدآخر[3]، لتقديمها لألفونسو السادس، فثاروا عليه وأخرجوه من طليطلة[4]، وبعثوا إلى عمر بن الأفطس صاحب بطليوس فبايعوه، ودخل طليطلة سنة 472 هــ/1079 م[5]. وكان القادر في ذلك الحين عند ألفونسو يطلب منه مساعدته لاسترداد عرشه. فاستغل هذا الأخير الفرصة، واندفع نحو طليطلة لمحاصرتها بعد أن استولى على بعض القلاع و المدن المتاخمة لها[6]. فأحس صاحب بطليوس بتعاظم الخطر فانصرف عن المدينة بعد أن مكث فيها حوالي تسعة أشهر، وهو عاجز عن حمـــايتها[7] . فـــاستولى عليها القادر بن ذي النون مجددا بمساعدة ألفونسو، الذي طلب منه

1- محمد لبيب البتنوني: **رحلة الأندلس**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د. ت، ص197.

2- ذكر ابن بلكين صاحب غرناطة في كتابه التبيان في هذا الشأن أن القادر عندما أراد استرجاع أحد الحصون القريبة من طليطلة التي تنازل عليها في السابق لألفونسو، فرض عليه هذا الأخير ضريبة باهظة تتمثل في مائة وخمسين ألف مثقال طيبة، و خمسمائة مدى من طعام ضيافة لكل ليلة مدة مقامه عنده، و رغم كل هذه الضريبة إلا أن ألفونسو سُرعان ما عاود الاستيلاء على هذا الحصن. (أنظر: ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص77).

3- شكيب أرسلان، **الحلل السندسية**، ج1، ص 462 ؛ حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص253.

4- مجهول، **تاريخ الأندلس**، ص260 ؛ عنان، **دول الطوائف**، ص108.

5- ابن بسام، **المصدر السابق**، ج4، ص98- 99 ؛ دوزي، **المرجع السابق**، ج3، ص125 ؛ سلمى الخضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999م، ص106.

6- أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص61- 62 ؛ محمد شرقي: **طليطلة في الذكرى الألفية لسقوط أعظم حضارة أندلسية**، منشور ضمن مجلة التاريخ، يصدرها المركز الوطني للدراسات التاريخية، قصر الثقافة، الجزائر، 1986م، ص38.

7- مجهول، **تاريخ الأندلس**، ص260.

مقابل هذا التأييد مكافأة ضخمة[1].

ومنذ ذلك الوقت أصبحت الهيمنة الفعلية على مدينة طليطلة بيد ألفونسو السادس وكان القادر ألعوبة في يديه، يتصرف به كيفما شاء، و رغم ذلك لم يقنع ألفونسو بكل هذه المكاسب التي حصل عليها، وطمع في امتلاك هذه المدينة [2] التي أدرك بأن الاستيلاء عليها قد أن أوانه[3]، فشدد الحصار عليها، وعاث في أراضيها وأحكم سد المنافذ عليها، فساءت أحوال المدينة إلى أقصى حد، وشمل أهلها البلاء، فراحوا يستغيثون بمن حولهم من أمراء الطوائف دون أن يعبأ بهم أحد، فقد تحالف معظم هؤلاء الأمراء مع ألفونسو السادس[4]. و كان المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية على عهد معه، يتمثل في عدم اعتراض سبيله إذا غزا طليطلة مقابل إعانته بالجيوش المُرتزقة في حروبه مع أعدائه أمراء الطوائف[5]، غير أن صاحب بطليوس عمر بن الأفطس كان له موقفاً مشرفاً حيث لم يحالف ملك قشتالة، بل نزل إلى ميدان النضال بإرساله جيش بزعامة ولده الفضل لمحاولة إنقاذ طليطلة من السقوط، و لكنه لم يستطع مغالبة قوى النصارى المتفوقة عليه في العدد و العدة فاضطر للانسحاب من المعركة تاركاً طليطلة لمصيرها المحتوم[6].

وفي غمار هذه الأحداث لم يجد أهل طليطلة المُحَاصرون بُداً من الاستسلام بعد أن تفاقم الخطب، و بلغت الشدة بهم أقصاها[7]، وتحطمت كل محاولة لعقد الصلح مع ملك قشتـــالة من أجـــل ثَنْيِه عن فك الحصـــار على مدينتهم [8]. وفي آخر المطاف حدث اتفاق بين

1- لم تذكر المصادر التاريخية مقدار هذه المكفأة، و الظاهر أنها تحوي أموالاً و تُحَفاً جليلة. (أنظر: ابن بسام، **الذخيرة**، ج4، ص101).

2- حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين**، ص255.

3- ذكر ابن الأثير أن ألفونسو عَرَفَ من أين يُؤتى البلد، و كيف الطريق إلى ملكه. (أنظر: **الكامل**، ج10، ص 142).

4- ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج7 ، ص27 ؛ علي أدهم، **المرجع السابق**، ص199.

5- عنان، **دول الطوائف**، ص109 ؛ قايد مولود: **البربر عبر التاريخ في اسبانيا الإسلامية ابتداء من عام 711 م**، ترجمة إبراهيم سعدي، دار النشر ميموني، الجزائر، 2007م، ص149.

6- أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص63.

7- ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص 186 ؛ عنان، **المرجع السابق**، ص113.

8- بلغت مُدة حصار ألفونسو لطليطلة حوالي سبع سنين. (أنظر: الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، ج2، ص338).

ألفونسو و القادر لتسليم المدينة تضمن هذا الاتفاق مجموعة من الشروط من بينها، أن يُؤَمن أهل المدينة في النفس و المال، و أن يغادرها من شاء منهم حاملين أموالهم، وأن يحتفظ المسلمون إلى الأبد بمسجدهم الجامع، و يسمح لهم بتأدية شعائرهم بكل حرية مقابل أن يسلّموا إلى ملك قشتالة سائر القلاع و الحصون و القصر الملكي[1]. و تعهد هو الآخر بأن يُمَكِنَ القادر من الاستيلاء على مدينة بلنسية[2]. و قد تظاهر ألفونسو بقبول هذه الشروط و تعهد باحترامها و عدم نكثها، لأجل كسب ود المسلمين، و لكي يُهَوِن عليهم أمر سقوط مدينتهم[3] .

و كان دخول ألفونسو السادس إلى طليطلة و استيلاؤه عليها يوم 27 محرم سنة 478هـ /الموافق لـ 25 ماي سنة 1085م[4]. و بذلك سقطت إحدى حواضر بلاد الأندلس الكبرى، و إحدى قلاعها الحصينة، واسترجع النصارى عاصمتهم القديمة، بعد أن حكمها المسلمون حوالي أربعة قرون[5]. و كان سقوطها نذيراً بسقوط كامل بلاد الأندلس في أيدي النصارى[6]، حيث اشتد الخطر على المسلمين أكثر من ذي قبل بتعاظم حركة الاسترداد، و تحمس القوى النصرانية بقيادة ألفونسو السادس الذي اتخذ لقب الإمبراطور وأمير المِلَتين [7]، لطرد المسلمين نهائيا من بلاد الأندلس. كما كان لسقوطها وَقعٌ كبيرٌ في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وأدرك المسلمون أن إخوانهم في الأندلس يعيشون مأساة حقيقية، وقد اجتهد

1-أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص64 ؛ عنان، **المرجع السابق**، ص113- 114.

2- ابن بسام، **المصدر السابق**، ج3، ص5 ؛ ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص186 ؛ شكيب أرسلان، **المرجع السابق**، ج3، ص51.

3- عنان، **المرجع السابق**، ص114.

4- ابن الأبار: **كتاب التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق الفريد بل، وابن أبي شنب، المطبعة الشرقية، الجزائر، 1919م، ص29؛ المقّري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب**، تحقيق إحسان عباس، مج4، دار صادر، بيروت، 1408 هـ- 1988م، ص 352 ؛ ج. س. كولان : **الأندلس**، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية إبراهيم خورشيد و أخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1980م، ص132.

5 - Jean Brignon et autres : **Histoire du Maroc** , librairie Nationale, Casablanca, 1967, p90 .

6- محمد الأمين بلغيث: **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، مج1، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2003م، ص84.

7- حسين مؤنس: **موسوعة تاريخ الأندلس تاريخ - وفكر وحضارة وتراث**، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1416هـ- 1996م، ص216-21.

الشعراء في وصف هذه المأساة، منهم الشاعر الأندلسي عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال بقوله:

يـــا أهلَ أندلس حُثّوا مَطيّكمُ	فمـــا المقامُ بهـــا إلاّ من الغلط
الثوبُ يُنسلُ من أطرافه وأرى	ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
ونحـــن بينَ عدّو لا يفـــارقنا	كيف الحياة مع الحيّات في سفط [1]

و يعتبر سقوط طليطلة من بين الأسباب التي عجلت بتدخل المرابطين لنجدة إخوانهم في بلاد الأندلس، الذين استصرخوهم ، و رَأَوا فيهم السبيل إلى النجاة[2].

ب - دعوة أمراء الطوائف لأمير المرابطين:

لم يكن سقوط طليطلة وَبَالاً على أهلها فحسب، بل عمّ الوبال كافة بلاد الأندلس، بتعاظم الخطر و البلاء وتفشي الرعب و الخوف لدى الحاكم و المحكوم، فأدى ذلك إلى مسارعة أمراء الطوائف لخطب ود ألفونسو السادس بالمبالغة في دفع الإتاوات و الهدايا[3]، و لكن هذا الأخير اغتر بنفسه وشعر أنه أضحى قادراً على تحدي دول الطوائف جميعاً و القضاء عليها، فلم يقنع بضرائب المال[4] ، بل أراد امتلاك أراضيهم و مدنهم[5] ، فتطاول على الثغور، و قام بشن

1- ابن خلكان، **المصدر السابق**، مج7، ص28 ؛ المقري، **نفح الطيب**، مج4، ص352.

2-E.Lévi –Provençal**: Islam D’occident**, librairie Orientale et Américaine, Paris, 1948, p111.

3- من بين هؤلاء الأُمراء الذين قَدَمُوا الهدايا لألفونسو السادس حسام الدولة يحي بن رزين صاحب شنتمرية، تحوي تحفاً، و حلي يعجز عنها الوصف، فكافأه عليها ألفونسو بقرد شماتةً فيه. و كان من ضعف عقله أنه يفخر بذلك القرد على أمراء الأندلس. (أنظر: شكيب أرسلان، **الحلل السندسية**، ج2، ص103).

4- ابن الأبار: **الحلة السيراء**، حققه وعلق حواشيه حسين مؤنس، ج2، دار المعارف، القاهرة، ط2، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م، ص98.

5- كان ألفونسو يريد الاستيلاء على مدن الأندلس الكبرى خاصة قرطبة، و نستدل على ذلك مما ورد في نفح الطيّب أن ملك النصـــارى عندما استولى على طليطلة قِيل له ينبغي عليك أن تلبس التاج، فقال ألفونسو: لا حتى نأخذ قُرطبتهم =

الغارات على جميع بلاد الأندلس، و استولى على الأراضي الواقعة على ضفتي نهر التاجة، و على قلعة رباح [1]، و مدينة قورية [2]. و حاصر سرقسطة، و رفض الأموال السخية التي عرضها صاحبها عليه[3]، و هدد بطليوس و صاحبها المتوكل بن الأفطس الذي أرسل إليه يطلب منه أن يُسلمه بعض الحصون و القلاع المتاخمة لحدوده مع تأدية الجزية، فرفض المتوكل التهديد ورد عليه برسالة تفيض شجاعة ونبلاً [4]. ولما رأى أنه غير قادر على مدافعة ألفونسو، و مجاراته لوحده بعث رسالة[5] إلى الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين يُصَوِّر له محنة الأندلس ويستنصره على عدوه ملك قشتالة[6] ، وقد وعده الأمير يوسف بالجواز ، و الإمداد على العدو [7].

و لم يكتف ألفونسو السادس بتهديد مدن الثغور كسرقسطة و بطليوس فحسب بل قام بتهديد باقي المدن مثل قرطبة و إشبيلية اللتين يحكمهما أقوى ملوك الطوائف المعتمد بن عباد، ويبدو أن ألفـــونسو أدرك بأن الاستيلاء عليهمـــا يمهد له الطريق لتملك كـــافة بلاد الأندلس

= (أنظر: المقري، **المصدر السابق**، مج4، ص448 ؛ عادل سعيد بشتاوي: **الأمة الأندلسية الشهيدة (تاريخ 100 عام من المواجهة و الاضطهاد بعد سقوط غرناطة)**، دار صبح الطباعة، بيروت، ط1، 2000م، ص109).

1- (Calatrava) من عمل جيان، تقع بين قرطبة و طليطلة، وهي مدينة حسنة، ولها حصن حصين على نهر آنه، تملّكها النصارى حوالي اثنان وخمسون سنة إلى أن استردها المُوحدون عام وقيعة الأرك سنة 592هـ. (أنظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص469).

2- (Coria) قريبة من ماردة، تقع جنوب جبل الشارة، لها سور حصين، من أحصن المعاقل، و أحسن المنازل، وكانت ثَغْرُ المسلمين في فترة ملوك الطوائف. (أنظر: ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، ص179 ؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص485).

3- حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص255.

4- سعدون نصر الله: **تاريخ العرب السياسي في الأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1998م، ص214.

5- عن نص الرسالة. (أنظر: **الملحق رقم2**، ص136- 137).

6- تباينت الروايات في ذكر صاحب مبادرة الاستنجاد بالمرابطين، حيث يرى ابن بلكين و ابن أبي زرع أن المعتمد بن عباد هو صاحب المبادرة في سنة 475هـ/1082م، إثر محاولة فتح سبتة من قبل الأمير يوسف. بينما يرى الحميري وصاحب الحلل الموشية أن المتوكل بن الأفطس هو أول من ناشد المرابطين بالقُدوم للأندلس، وهو الرأي الأصح لأن ألفونسو بدأ حربه على مملكة ابن الأفطس، الواقعة على الحدود مع النصارى. (أنظر: ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص99، هامش1).

7- مجهول، **الحلل الموشية**، ص36.

فسارع للضغط على المعتمد بأن طلب منه أن يتخلى له عن معاقل و حصون على الحدود كان الموت عنده أولى من إعطائها [1]. و بعث له رسالة [2] فيها تهديد و وعيد إن لم يرضخ لمطالبه، فرد عليه المعتمد برسالة بَيَّنَ فيها أنه لن يرضخ لأوامره، وسوف يقف له بالمرصاد[3]. و يبدوا أن المعتمد قد أدرك أخيراً الخطأ الذي وقع فيه، عندما لم يقدم يد العون لنجدة طليطلة، فقد دارت الدائرة عليه، بأن أصبح ألفونسو يهدد مُلكه بالزوال. كما بادر مرةً أخرى إلى محاولة إذلاله بأن طلب منه أن يسمح لزوجته القمطيجة دخول جامع قرطبة لكي تلد فيه[4]، و أرسل أيضاً وفداً من خمسمائة فارس برئاسة اليهودي ابن شليب لأخذ الإتاوة [5]. فأذعن المعتمد للأمر، و أعطى رسول ألفونسو الأموال لكن ابن شالب رفضها بحجة أن الذهب الذي أعطي إليه غير نقي [6]، وأغلظ في القول للمعتمد، و هدد بإزالة مُلكه، فلم يتمالك الأمير نفسه و قام بقتله ومن معه[7] .

ولما بلغ الخبر ألفونسو ثارت ثائرته، وأقسم بآلهته لَيَغْزُوَّنَ المعتمد بإشبيلية [8]، و أن يحشد من جيوش الروم لقتاله عدد شَعْر رأسه [9]. و بالفعل نَفَّذَ ألفونسو تهديده، و زحف نحو إشبيلية، فخرب و دمر في طريقه حتى وصل إلى طريف[10] أقصى جنوب الأندلس على المضيق، و أدخل

1- ابن بلكين، **التبيان**، ص102.

2- نص الرسالة. (أنظر: **الملحق رقم 3**، ص138).

3- عن نص الرسالة التي تحتوي رد المعتمد لألفونسو. (أنظر: **الملحق رقم4**، ص139- 140).

4- الحميري، **الروض المعطار**،ص288 ؛ السلاوي، **الاستقصا**، ج2، ص34 ؛ نديم مرعشلي: **المعتمد بن عباد بطل جسد مأساة الأندلس، و شاعر غنّى مجدها المفقود**، دار الكتاب اللبناني، مطبعة الاجتهاد، د.ت، ص28.

5- ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص142 ؛ المقري، **المصدر السابق**، مج4، ص246 ؛ يوسف فرحات: **موسوعة الحضارة العربية، العصر الأندلسي (الحضارة الأندلسية)**، مج6، دار كلمات للنشر، 1995م، ص968.

6- المقري، **المصدر السابق**، 246/4 ؛ السلاوي، **الاستقصا**، ج2، ص35.

7- ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج5، ص28 ؛ دوزي، **المرجع السابق**، ج3، ص126 ؛ علي أحمد: **اليهود في الأندلس و المغرب خلال العصور الوسطى**، منشور ضمن مجلة دراسات تاريخية، تصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق، السنة 17، العددان 57 - 58م، 1996م، ص174.

8- الحميري، **المصدر السابق**، ص288 ؛ بسام العسلي: **المعتمد و ابن تاشفين**، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط4، 1992م، ص66.

9- المقري، **المصدر السابق**، مج4، ص246.

10- (Tarifia) جزيرة بأرض الأندلس على البحر المتوسط، في آخر المجاز المسمى بالزُقاق، وهي مدينة صغيرة بها أسواق وفنادق و حمامات. منها إلى الجزيرة الخضراء (Algeciras) ثمانية عشر ميلاً. (أنظر:الحميري، **الروض المعطار**، ص392).

قوائم فرسه في البحر قائلاً: هذا آخر بلاد الأندلس قد وطأته[1]. ومن هناك أرسل إلى أمير المسلمين يوسف خطاباً[2] يتوعده فيه بالهزيمة في حالة عبوره لنجدة إخوانه بالأندلس. فأمر يوسف بن تاشفين أن يكتب إليه على ظهر كتابه "جوابك يا أذفنش ما تراه لا ما تسمعه إن شاء الله". و أردف الكتاب ببيت أبي الطيب المتنبي:

وَلا كُتُبَ إلاَّ المَشْرفِيَّةُ و القَنَا وَلاَ رُسُلَ إلاَّ الخَمِيسُ العَرمرَمُ [3]

و عندما وصل كتاب يوسف لألفونسو، و اطلع عليه فزع فزعاً كبيراً وأدرك أنه ابتلي برجل له عزم وحزم [4]. و رغم ذلك استمر ألفونسو في كبريائه و عناده، بحيث عاد إلى إشبيلية و حاصرها مدة ثلاثة أيام. و كتب إلى المعتمد يسأله أن يرسل إليه مروحة لطرد الذباب، فرد عليه المعتمد قائلا:" قـــرأت كتابك و فهمت خُيلاءك و إعجابك و سأنظر إليك في مراوح من الجلود اللمطية تُرِيحُ منك لا تُرَوِّحُ عليك إن شاء الله"[5].

و يظهر من قوله هذا أن المعتمد أراد الاستنجاد بالمرابطين في المغرب، وقد شاور في هذا الأمر خاصته، و وجوه دولته، فأشاروا عليه بمعاهدة ألفونسو، و عقد السلم معه، و عدم الاستنجاد بالمرابطين[6]. و قد تبنى هذا الرأي أيضا ولده الرشيد أبو الحسن، الذي قال لأبيه: " يا أبتِ أَتُدخِل علينا في أندلسنا من يسلبنا مُلْكَنَا، و يبدد شملنا "، فأجابه المعتمد فقال: " أي بني، والله لا يسمع عني أبدا أني أعدت الأندلس دار كفر، ولا تركتها للنصارى، فتقوم علي اللعنة في منـــابر الإسلام، مثلما قامت على غيري"[7]. و قال أيضا:" والله رعي الجمال عندي خير من

1- ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج4، ص351 ؛ عنان، **دول الطوائف**، ص316.

2- عن نص الخطاب. (أنظر: **الملحق رقم 5**، ص141).

3- مجهول، **الحلل الموشية**، ص43 ؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص240 .

4- ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص152-153.

5- الحميري، **الروض المعطار**، ص828 ؛ بسام العسلي، **المرجع السابق**، ص68.

6- مجهول، **الحلل الموشية**، ص44 .

7- مجهول، **نفس المصدر والصفحة** ؛ أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص78 ؛ رينهرت دوزي: **ملوك الطوائف**، ترجمة كامل كيلاني، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط1، 1933م، ص281.

رعي الخنازير"[1].

و حدث في تلك الأثناء اجتماع لمشايخ قرطبة للتشاور في الحالة السيئة التي تعشيها البلاد، وعرضوا الأمر على قاضي المدينة عبيد الله بن أدهم[2]، و اقترحوا عليه الاستنجاد بعرب إفريقية الهلاليين، و لكن القاضي تخوّف من تخريبهم للبلاد كما فعلوا بإفريقية، و أشار عليهم الاتصال بالمرابطين لأنهم أصلح من الهلاليين، و أقرب إلى الأندلس[3].

و شاع في الأندلس أن المعتمد يرى ضرورة الاستنجاد بالمرابطين فقام ملوك الأندلس يُحَذِّرُونَهُ عاقبة ذلك و قالوا له: "المُلْكُ عَقِيمٌ و السَيْفَانِ لا يجتمعان في غمد واحد". و لكن المعتمد أصر على رأيه و أجاب: " إن استندتُ إلى ابن تاشفين فإني أُرضي الله، و إن استندتُ إلى الأذفنش أسخطتُ الله تعالى" [4]، وبقي متمسكا برأيه إلى أن أقنعهم، فقام بالاتصال بكل من ابن الأفطس صاحب بطليوس، و ابن بلكين صاحب غرناطة، و طلب أن يرسل كل واحد منهما قاضياً لتشكيل بعثة تذهب إلى المغرب لمقابلة الأمير يوسف بن تاشفين[5]. و كانت هذه البعثة برئاسة القاضي ابن أدهم، و بحضور وزير المعتمد ابن زيدون[6]، حملا معهما رسالة مكتوبة من المعتمد بن عباد إلى الأمير يوسف يستنجده فيها، ويستدعيه للأندلس ليدفع عنه ألفونسو السادس[7].

1-Amar Dhina **: Grands tournants de l'histoire de L'Islam (de la bataille de badar à L'attaque d'Alger par Charles - Quint),** société nationale d'édition et de diffusion , Alger, 1978, p130 .

2- كُنيته أبو بكر، قاضي الجماعة بقرطبة،كان أعقل أهل زمانه، استقضاه المتعمد بن عباد سنة 468هـــ، وكان قبل ذلك ينظر في أحكام المظالم، توفي سنة 486هــ. (أنظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج5، ص28 ؛ ابن عذارى، **المصدر السابق**، 132/4).

3- ابن الأثير، **المصدر السابق**، ج10 ، ص151-152.

4- الحميري، **الروض المعطار**، ص288 ؛ سعدون نصر الله، **المرجع السابق**، ص220-221 ؛ بسام العسلي، **المرجع السابق**، ص69- 70.

5- كانت البعثة تتضمن بالإضافة إلى ابن أدهم، و ابن زيدون، قاضي بطليوس ابن مقانا، وقاضي غرناطة ابن القليعي. (ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص98- 99).

6- أبو بكر محمد بن أبي الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون ابن الشاعر المشهور، و كان وزير ابن عباد، و قد أسند له هذا الأخير في مهمته مع الفقهاء الثلاثة، أن يقوم بإبرام العُقود السُلطانية، أي صلاحية إبرام الاتفاق مع الأمير يوسف بن تاشفين. (أنظر: ابن الأبار، **الحلة السيراء**، 99/2 ؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص288).

7- عن نص الرسالة. (أنظر: **الملحق رقم 6**، ص142).

و لمّا وصلت الرسل إلى ابن تاشفين أقبل عليهم وأكرم مثواهم، وجرت بينهما محادثات و مفاوضات[1]، و كان الأمير يوسف يَعِدُهُمْ خيراً، بعد أن رقّ قلبه لحالهم و حال بلادهم[2]، و بعد مشاورة حاشيته وافق على العبور إلى الأندلس لنصرة إخوانه في الدين.

II- العبور الأول و معركة الزّلاقة:

1- الإعداد للمعركة:

أ- استعداد المسلمين:

وافق الأمير يوسف بن تاشفين على العبور إلى الأندلس لإيقاف زحف الصليبيين على إخوانه، و لكن موافقته ارتبطت بتحقيق شرط واحد، اشترطه على المعتمد بن عباد ألا وهو تسليمه الجزيرة الخضراء لكي يجعل فيها ثِّقَاتِهِ، وجنوده، ويكون جوازه إليها متى شاء[3]. وكتب في ذلك رسالة إلى المعتمد بن عباد[4]، الذي قام بجمع مجلسه المتمثل في القاضي والفقهاء، لاستشارتهم في الأمر، ولكي يُشهدهم على عقد هبة الجزيرة الخضراء للأمير يوسف، وعندما أتَّم هذا العقد أرسله إليه، كمـــا بعث إلى ابنه يزيد بن محمد الراضي[5] صاحب الجزيرة الخضراء

1- و قد أسفرت هذه المحادثات على جملة من الشروط وافق عليها الطرفان تتمثل فيمايلي: أن يتعاون أمير المسلمين و أمراء الطوائف في مُحاربة النصارى، و أن يَؤْمَنْ أمراء الطوائف في ممالكهم، و ألاّ تُحرض رعيتهم على شيءٍ من الفساد. (أنظر: عنان، **دول الطوائف**، ص 318).

2- الحميري، **المصدر السابق**، ص289 ؛ مارمول كربخال: **افريقيا**، ج1، ترجمة محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984م، ص305.

3- وكان الذي أشار على الأمير يوسف بضرورة تملكه الجزيرة الخضراء قَبْلَ عبوره إلى الأندلس كاتبه عبد الرحمان بن أسباط الأندلسي، لأنه رأى أن ذلك كفيل بضمان أمن و سلامة القوات المرابطية عند العبور، و قد تجاوب الأمير يوسف معه بقوله: "صَدَقْتَ يا عبد الرحمان لقد نبهتني إلى شيئ لم يخطر بِبَالِي". (أنظر: **الحلل الموشية**، ص49- 50).

4- عن نص الرسالة. (أنظر: **الملحق رقم 7**، ص143).

5- هو يزيد بن محمد الراضي أبو خالد، كان من أهل العلم و الأدب، ولاّه والده الجزيرة الخضراء، و عندما سلمها للمرابطين نقله إلى رندة، توفي مقتولا في رمضان سنة 484هـــ. (أنظر: ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص71 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج2، ص110 ؛ دوزي، **ملوك الطوائف**، ص291).

يأمره بإخلائها والانتقال عنها، لتسليمها للمرابطين[1].

ولّما وصل العقد إلى الأمير يوسف، أخذ يُعِّدُ العُدة للجواز[2]، حيث استنفر جميع حشوده، وبعث في البلاد إلى جنوده، الذين أقبلوا عليه من الصحراء وبلاد الزاب[3]، ومن مختلف نواحي المغرب، فرحل بهم إلى سبتة، وحشد السفن لعبور هذه القوات[4]، وأصدر الأوامر لقواته بالعبور إلى الجزيرة الخضراء. وتوالى عبور الجيش تباعاً، وقد بلغ عدده حوالي عشرة آلاف[5]، كما أَمَرَ بعبور الجِمَال التي لم يكن يعرفها أهل الأندلس ولا رأوها قط[6]، وعندما عبر جميع الجيش جاز الأمير يوسف في أثرهم يوم الخميس منتصف ربيع الأول 479هـ/الموافق ل20جويلية 1086م[7]، ولما وطئت قدماه ظهر السفينة رفع يديه نحو السماء ودعا ربه قائلا: "اللهم إن كنت تعلم أن جوازي هذا خيراً وصلاحاً للمسلمين فسهّل علي جواز هذا البحر، وإن كان غير ذلك فصعّبه علي حتى لا أجوزه[8]"، فاستجاب الله تعالى لدعائه، وسهّل عليه الجواز في أسرع وقت، وعند وصوله إلى الجزيرة الخضراء صلى بها صلاة الظهر من يومه ذلك[9]،

1- مجهول، **الحلل الموشية**، ص51. (يذكر صاحب **التبيان** رواية أخرى لكيفية تسليم الجزيرة الخضراء، بأن المعتمد بن عباد تريث في الأمر بإمساكه لرسل ابن تاشفين في إشبيلية مدة طويلة، ثم أرسل معهم شيوخ و فُقهاء ليقولوا ليوسف تربص في سبتة مدة ثلاثين يوماً حتى نُخلي لك الجزيرة الخضراء، و لكن يوسف خالف الأمر و عَبَرَ إلى الأندلس و استولى على الجزيرة بقيادة داود بن عائشة). (أنظر: ابن بلكين، **التبيان**، ص102- 103).

2- المراكشي، **المعجب**، ص92.

3- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص144. (وبلاد الزاب من عمل إفريقية على أطراف الصحراء، وهي مُدن كثيرة، أعظمها مدينة أذنة، فيها عمائر متصلة، و أنهار وعيون كثيرة). (أنظر: الرقيق القيرواني: **قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق عبد الله العلي الزيدان، عزالدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م، ص11 ؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص281).

4- دوزي، **ملوك الطوائف**، ص289. (كان أسطول الأمير يوسف بن تاشفين في ذلك الوقت يتألف من سُفن النقل أكثر من سُفن القتال، لأن الغرض الأساسي كان ربط المواصلات بين المغرب والأندلس، لنقل الجنود والمعدات). (أنظر: السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، ج2 ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993م، ص240).

5- ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج5، ص29.

6- ابن خلكان، **المصدر السابق**، مج7، ص116 ؛ المقري، **نفح الطيب**، مج4، ص361.

7- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص145 ؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص24. (ويختلف معهما المراكشي في تحديد الشهر الذي عبر فيه يوسف إلى الجزيرة، حيث جَعَلَهُ في شهر جُمادى الأول). (أنظر: المراكشي، **المعجب**، ص93).

8- السلاوي، **الإستقصا**، ج2، ص32 ؛ عنان، **دول الطوائف**، ص319 ؛ أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص82.

9- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص145.

و استقبله سكانها بالترحاب، و خرجوا إليه بما عندهم من الأقوات والضيافات، و امتلأت المساجد و الرحبات بالمتطوعين[1]. و شرع يوسف في تحصين الجزيرة ببناء أسوارها، و ترميم ما تصدع من الحُفر عليها و شحنها بالأطعمة والأسلحة، و قام باختيار نخبة من عسكره لحراسة الجزيرة[2]، و اتجه نحو إشبيلية، و سارع المعتمد لملاقاته في مئة من فرسانه و وجوه أصحابه[3]، و أظهر من برّه و إكرامه فوق ما كان يظنه أمير المسلمين، و قدّم إليه من الهدايا والتحف والذخائر الملوكية ما لم يظنه يوسف عند ملك[4]، كما أنهما التقيا منفردين و تصافحا و تعانقا[5]، و يقول صاحب الحلل الموشية أن ابن عباد همّ بتقبيل يد الأمير يوسف تعظيماً له، و لكن هذا الأخير بادر لمعانقته، و انبسط معه في الحديث[6]. و طلب منه المعتمد دخول إشبيلية ليستريح فيها أياماً حتى تزول عنه وعثاء السفر، فأبَّى عليه، وقال له "إنما جئت نَاوِيًا جهاد العدّو، فحيثما كان العدّو توجهت إليه"[7].

و لم يستقر الأمير يوسف غير ثلاثة أيام في اشبيلية، ينتظر فيها التحاق الجيوش، حيث بعث إلى سائر أمراء الأندلس يستنفرهم للجهاد، فلبَّى الدعوة صاحب غرناطة عبد الله بن بلكين وأخوه تميم صاحب مالقة[8]، ويذكر ابن بلكين ذلك في مذكراته بقوله "وبادرنا بالخروج وسررنا بذلك، وأعددنا ما استطعنا للجهاد من الأموال والرجال"[9]. وخرج ابن بلكين بنحو ثلاثمائة فارس، بينما أخوه تميم بنحو مائتي فارس[10]، والتقيا بمعسكر يوسف في الطريق إلى بطليوس. هذا و قد اعتذر صاحب المرية ابن صمادح لكبر سنه، و لتربص العدو النصراني به[11]،

1- الحميري، **الروض المعطار**، ص289 ؛ المقري، **نفح الطيب**، مج4، ص362.

2- مجهول، **الحلل الموشية**، ص51.

3- الحميري، **المصدر السابق**، ص289 ؛ السلاوي، **الاستقصا**، ج2، ص38.

4- المراكشي، **المعجب**، ص93.

5- الحميري، **المصدر السابق**، ص289 ؛ المقري، **المصدر السابق**، مج4، ص362.

6- مجهول، **الحلل الموشية**، ص51 ؛ دوزي، **ملوك الطوائف**، ص292.

7- المراكشي، **المصدر السابق**، ص93.

8- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص 240-241 ؛ مجهول، **الحلل الموشية**، ص52.

9- ابن بلكين، **التبيان**، ص104.

10- ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص100 ؛ دوزي، **المرجع السابق**، ص294.

11- ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص104.

و أرسل فرقة من الفرسان مع ولده[1]، و سارت هذه الجموع بقيادة أمير المسلمين يوسف نحو بطليوس فاستقبلهم صاحبها المتوكل بن الأفطس على ثلاثة مراحل من المدينة، و أكرمهم غاية الكرم[2]، و مكثوا هناك أياماً، ثم تابعوا المسير حتى وصلوا إلى سهل الزّلاقة[3].

ب - استعداد النصارى:

بلغ خبر عبور الأمير يوسف و جيوشه لبلاد الأندلس إلى ألفونسو السادس وكان يحاصر سرقسطة، فانحلت عزائمه[4]، و ارتعدت فرائسه، و اضطر لرفع الحصار عن المدينة[5]. و رحل منها إلى طليطلة و أخذ يستنفر جميع القوى النصرانية، و بعث إلى سانشو راميريز[6](Sancho Ramirez) ملك أراغون و بنبلونة وكان محاصرا لمدينة طرطوشة، كما بعث إلى الكُونت برنجار ريموند الذي كان يتأهب لغزو بلنسية كما أرسل إلى قائده البرهانس[7] يستدعيه من بلنسية، فأتاه الجميع بجيوشهم[8]، واستنفر الكبير والصغير، حيث حشد قوات عظيمة من جليقية و ليون، وقشتالة، و أشتوريش وأتاه المدد من ولايات فرنسا الجنوبية، ومن وراء جبال البرتات[9]، ويذكر

1- ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص100.

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص146 ؛ السلاوي، **المرجع السابق**، 40/2.

3- مَوْضِعٌ صَغِيرٌ يسمى اليوم (Sagrajas) على أحد نميرات وادي آنة المسمى نهر جيريرو على نحو اثنا عشر كيلومتر شمال بطليوس. (أنظر: الحموي، **معجم البلدان**، مج3، ص146 ؛ ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص101) ؛ (أنظر أيضاً: **خريطة رقم 1**، ص148).

4- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص145.

5- ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس و وصفه لإبن الشّباط**، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م، ص92 ؛ عبد الوهاب الدباغ: **التحدي الصليبي للوجود الإسلامي في إسبانيا**، منشور ضمن كتاب **الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية**، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2002م، ص235.

6- معروف في المصادر العربية بابن رذمير، حاصر طرطوشة مدة طويلة، فتضرر أهلها من ذلك كثيراً، حيث افتقدوا الشعور بالأمن و الاستقرار لفترة طويلة. (أنظر: كمال السيد أبو مصطفى: **تاريخ مدينة طرطوشة الإسلامية وحضارتها في عصر دويلات الطوائف في القرن 5 هـ/11م**، منشور ضمن كتاب **السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات و العطاءات**، القسم الأول التاريخ والفلسفة، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط1، 1996م، ص178).

7- من أكبر قُواد ألفونسو السادس، اسمه ألبار فانييث، وهو ابن أخ السيد القمبيطور. (أنظر: ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص145).

8- ابن أبي زرع، **نفس المصدر و الصفحة** ؛ عنان، **دول الطوائف**، ص322.

9- أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص84 .

صاحب روض القرطاس أنه أتاه من تلك البلاد من حشود الروم أُمَمٌ لا تحصى، بلغت حسب صاحب الحلل الموشية حوالي ثمانين ألف فارس لابسين الدروع دون غيرهم[1]، ولما رأى ألفونسو هذا العدد أعجبته كثرته وأخذه الغرور فقال:" بهؤلاء أقاتل الجّن والإنس وملائكة السماء"[2]، وقد ساهمت الكنيسة في شحذ هِمَمِ النصارى، و يذكر ابن عذارى في البيان أن الرهبان والأساقفة رفعوا صلبانهم، و نشروا أناجيلهم، و تقدموا الجيوش لإذكاء الحماس الديني في نفوسهم[3].

كان ألفونسو حانقاً على ابن عباد حليفه السابق، و بعث إليه و إلى حليفه الجديد الأمير يوسف بن تاشفين برسالة يتوعدهما الهزيمة الساحقة، و بالإقبال إلى منازلتهما أينما كانوا قائلا:" إن صاحبكم يوسف قد تعنى من بلاد بعيدة، وخاض البحار، و أنا أكفيه العناء فيما بقي، ولا أكلفكم تعباً، أنا أمضي إليكم و ألقاكم في بلادكم رفقاً بكم و توفيراً عليكم"[4]. و قال لأهل وده و وزرائه بأنه اختار الخروج لمقاتلة أعدائه في أرضهم لكي لا تخرب الحرب بلاده، فإن انهزم جيشنا نرجع إلى ديارنا، و يكتفي المسلمون بما نالوه، وإذا انتصرنا حدث ذلك في أرض أعدائنا[5]. و اتجهت حشود النصارى بقيادة ألفونسو السادس نحو بطليوس، و خيَّم بجيشه في بطحاء الزّلاقة [6] ، على بعد ثلاثة أميـــال من الجيش المسلم يفصل بينهمـــا نهر بطليوس يشرب

1- مجهول، **الحلل الموشية**، ص56 ؛ اختلفت الروايات في تقدير عدد قُوات المسلمين والنصارى، بحيث يُقدر ابن الأثير عدد قُوات النصارى بحوالي خمسين ألف، ويرى الحميري أنها بلغت أربعين ألف دارع (يتبعه واحد أو اثنان)، أما الجيش الإسلامي فَقَدَرَ عدده صاحب الحلل الموشية بحوالي خمسين ألف مقاتل، بينما يرى المراكشي أنه في حدود عشرين ألف، في حين أن الروايات النصرانية تبالغ في ذكر عدد جيوش المسلمين حيث تقول بأنه في حدود مئة وثلاثون إلى مئة وخمسون ألف مقاتل، وتلتزم الصمت حيال عدد الجيوش النصرانية. و لكن المؤكد أن كل هذه الروايات ذكرت بأن عدد جيوش النصارى كان أكبر بكثير من عدد جيوش المسلمين. (أنظر: عنان، **المرجع السابق**، ص322 ؛ أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص84- 85).

2- الحميري، **الروض المعطار**، ص289 ؛ المقري، **نفح الطيب**، مج4، ص363 ؛ السلاوي، **الإستقصا**، ج2، ص39.

3- ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص134 ؛ حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين**، ص272 ؛ نجيب زبيب: **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، تقديم أحمد بن سودة، ج2، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت،ط1 ، 1995م، ص272.

4- المقري، **المصدر السابق**، مج4، ص363 ؛ السلاوي، **المصدر السابق**، ج2، ص40.

5- الحميري، **المصدر السابق**، ص289 ؛ عبد الله جمال الدين: **تاريخ المسلمين في الأندلس (93-97) هـــ** ، منشور ضمن **موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي**، شركة سفير، القاهرة، د.ت، ص96.

6- عن مسير الجيوش المتحاربة (النصرانية و الإسلامية) إلى موقع معركة الزّلاقة. (أنظر: **خريطة رقم 1**، ص148).

منه المتحاربون[1].

2- وقائع المعركة:

وصلت الجيوش المتحاربة إلى بطحاء الزّلاقة، و عسكرت على مقربة من بعضها البعض، و أقاموا ثلاثة أيام والرسل تختلف بينهم[2]، وعملاً بمقتضيات الشريعة الإسلامية كتب الأمير يوسف إلى ملك قشتالة كتاباً يعرض عليه الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب[3]، وجاء أيضاً في رسالته " بَلَغَنَا يا أذفنش أنك دعوت في الاجتماع بك، و تمنيت أن يكون لك فُلكٌ تعبر البحر عليها إلينا، فقد أجزناه إليك، وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك، وسترى عاقبة دعائك[4] " ((وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ))[5]. فلمّا وصل الكتاب إلى أذفنش، جاش بحر غيظه، و زاد في طغيانه وكفره ، وقال:" أبمثل هذه المخاطبة يخاطبني، و أنا وأبي نغرم الجزية لأهل ملته منذ ثمانين سنة"[6] . وردّ عليه بكتاب غليظ يَفِيضُ بالوعيد، وقال لرسول الأمير يوسف" قل للأمير لا تتعب نفسك أنا أصل إليك[7] "، وأَقْسَمَ أنه لا يبرح من مَوْضِعِهِ حتى يلقاه[8].

كانت الأحوال تنذر بأن المعركة سوف تكون حامية الوطيس، نتيجة تمسك كل طرف

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص146 ؛ بطرس البستاني: **معارك العرب في الأندلس**، منشورات دار المكشوف، بيروت، ط1، 1950م، ص25 ؛ فراد محمد أرزقي: **القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف (القرن الخامس الهجري الموافق الحادي عشر الميلادي)**، رسالة لنيل ديبلوم الدراسات المعمقة، دائرة الدراسات التاريخية والأثرية، جامعة الجزائر، 1982م، ص138.

2- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص146 ؛ السلاوي، **الاستقصا**، ج2، ص40 ؛ عنان، **دول الطوائف**، ص323.

3- الحميري، **الروض المعطار**، ص290 ؛ المقري، **المصدر السابق**، مج4، ص364.

4- ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج7، ص116 ؛ مجهول، **الحلل الموشية**، ص53 .

5- سورة: **غافر، الأية 50.**

6- مجهول، **الحلل الموشية**، ص53 ؛ فلنتيا سليمان عفانة، **مملكة اشبيلية زمن بني عباد وعلاقاتها الداخلية والخارجية (414 - 484) هــ/(1023- 1069)م**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003م، ص154.

7- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص146.

8- ابن خلكان، **المصدر السابق**،116/7.

بإحراز النصر و إلحاق الهزيمة بخصمه، و كذلك لكثرة الجيوش المحتشدة من كلا المعسكرين، و يصف لنا ابن خلكان ضخامة هذه الجيوش بقوله "و لم تزل الجموع تتآلف و تتدارك إلى أن امتلأت جزيرة الأندلس خيلاً و رِجالاً من الفريقين[1]" و كان عدد جيوش القوى النصرانية حسب معظم المؤرخين أكبر من عدد جيوش المسلمين، و يقول أشباخ في هذا الشأن أن جموع فرسان النصارى لا تدرك نهايتها الأبصار[2].

و حاول ألفونسو بمكره الشديد خِداع المسلمين في تحديد يوم المعركة، فكتب إلى الأمير يوسف يوم الخميس يقول له: "إن غداً يوم الجمعة، ولا نحب مقاتلتكم فيه لأنه عيدكم، و بعده السبت يوم عيد اليهود، و هم كثيرون في محلتنا، و بعده الأحد عيدنا، فنحترم هذه الأعياد، و يكون اللقاء يوم الإثنين[3] "، فأجاب الأمير بقوله أتركوا اللّعين وما أحب[4].

و قد تفطن المعتمد بن عباد لمكيدة ألفونسو، و قال للأمير يوسف " هذه خديعة من ابن فرديناند، إنّما يريد غَدْرَ المسلمين فلا تطمئن إليه و ليكن الناس على استعداد له طوال يوم الجمعة على احتراس كبير[5] ". و بالفعل كانت عيون معسكر المعتمد بن عباد يقظة، حيث أرسل طلائع من جيشه لرصد تحركات العدّو، و أثناء الليل عاد فارسان يخبران المعتمد ببدأ تحرك العدو نحوهم[6] ، وعند ذلك بعث ابن عبـــاد كاتبه أبـــا بكر بن القصيرة[7]، إلى محلة الأمير

1- ابن خلكان، **المصدر السابق**، مج7، ص116.

2- أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص85.

3- مجهول، **الحلل الموشية**، ص57 ؛ المقري، **المصدر السابق**، مج4، ص365.

4- مجهول، **نفس المصدر والصفحة**.

5- الحميري، **الروض المعطار**، ص290.

6- و يذكر الحميري أيضاً أن رُسل المعتمد أخبرته أن ألفونسو كان يقول لأصحابه اقضوا على ابن عباد أولاً لكونه صاحب المبادرة في إشعال الحرب، و هو من استدعى هؤلاء الصحراويين، و تخلصكم منه، يُهَوِّنُ عليكم القضاء على باقي الجيوش. (أنظر: الحميري، **المصدر السابق**، ص290).

7- هو أبو بكر محمد بن سليمان بن القصيرة من مدينة ولبة بالأندلس، نشأ في دولة المعتضد بن عباد، شهر بالعفاف، وكان كاتباً مجيداً، بارع الخط جعله المعتمد بن عباد وزيراً، وسفيراً بينه وبين ابن تاشفين، وقد استكتبه هذا الأخير واستعمله، استقر بمراكش وتوفي بها سنة 508هـــ. (أنظر: ابن الأبار: **إعتاب الكتاب**، تحقيق وتعليق وتقديم صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1380هـــ-1961م، ص222- 223 ؛ ابن الخطيب: **الإحاطة**، مج2، ص516 وما بعدها ؛ الزركلي، **الأعلام** ، مج5، ص149- 150.

يوسف يخبره بقدوم العدّو، فقال له" قل له أني سأقرب منك إن شاء الله"[1].

ووقع الصِدام بين قوى النصارى والمسلمين صباح يوم الجمعة 12 رجب سنة 479هـ/ الموافق ل23 أكتوبر 1086م[2]، و كان أول من تصدى لجيوش النصارى المعتمد ابن عباد لأنه كـــان في مقدمة جيوش المسلمين[3]، وكـــان يقود القوات الأندلسية، و وقعت معركة ضارية بين الطرفين و كان هجوم النصارى عنيفاً، و يصفه صاحب الحلل الموشية بقوله" وغشيهم خيل العدّو كالسيل، و عمّتهم كقطع الليل"، و أسفر هذا الهجوم على اختلال التوازن في صفوف القوات الأندلسية، بحيث فرّ معظمها نحو أسوار بطليوس للاحتماء بها[4]، و لم يَثْبُت منهم سوى المعتمد وفرسان إشبيلية، و رغم إحاطة العدو بهم من كل صوب إلا أنهم كانوا يقاتلون كالأسود المجروحة[5]، و أبلى المعتمد بلاءً حسناً، و استطاع أن ينقذ شرف الأندلسيين بثباته في ميدان المعركة[6].

و إثر هذه الظروف الصعبة أرسل الأمير يوسف قائده داود بن عائشة مع فرسانه لنجدة و دعم الأندلسيين، وقوات المعتمد التي تنفست الصعداء بمجيء هذا المدد، و صمد داود أمام هذا الهجوم و أرغم النصارى على الارتداد إلى خط دفاعهم الثاني[7]، و لكن كلفه ذلك خسائر فادحة في قواته[8].

1- الحميري، **الروض المعطار**، ص291.

2- ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، ص29 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج4 ، ص351.

Philippe Conrad : **Histoire de la Reconquista**, ISBN, 2em édition, 1999, p58.

3- كان الأمير يوسف قد قسم جَيْشِهِ إلى خمسة أقسام، وضع المعتمد بن عباد في المقدمة، والمتوكل بن الأفطس في الميمنة، وأهل شرق الأندلس في الميسرة، و سائر أهل الأندلس في الساقة، والمرابطون وأهل العُدوة كمائن متفرقة. (أنظر: مجهول، **الحلل الموشية**، ص59).

4- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص147 ؛ عنان، **دول الطوائف**، ص324.

5- أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص88.

6- ابن خاقان، **قلائد العقيان**، ص14 ؛ المقري، **نفح الطيب**، مج4، ص366 ؛ حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، القاهرة، 2004م، ص432 ؛ محمد مجيد السّعيد: **الشعر في ظلّ بني عباد**، مطبعة النعمان، العراق، ط1، 1972م، ص37.

7- الحميري، **المصدر السابق**، ص291.

8- يقول صاحب الحلل في استشهاد جنود المسلمين"استأثر الله فيها بأرواح شهدت لها الرحمة، وخطبتها الجنة ". (مجهول=

و أيقن ألفونسو ببلوغ النصر حينما رأى مقاومة المسلمين تضعف أمامه، و ظن أنه خاض المعركة مع قوى المسلمين جميعاً، و لم يكن يعلم بأن قوات الأمير يوسف بن تاشفين المتوارية وراء جبل، يحجبها عن أنظار النصارى لم تشارك بعد في المعركة[1]. فتقدم ألفونسو حتى صار أمام خيام المرابطين، فوثب الجيش المرابطي بقيادة أمير المسلمين و قام بعملية التفاف سريعة باغت فيها العدو من الخلف و اقتحم معسكره، و أضرم فيه النار، و أباد حراسه[2]، وكانت طبوله تدق بعنف فاهتزت منها الأرض، و تجلجلت منها أفئدة العدو، و ارتاعت قلوبهم[3]. و وصلت إلى ألفونسو أنباء استيلاء المرابطين على معسكره فاضطر للعودة إليه، واصطدم بقوات المرابطين، و وقعت بينهم معركة كبيرة، مُزقت فيها قوات القشتاليين، وألحقت بهم خسائر فادحة، و أظهر جيش المسلمين صبراً وثباتاً كبيراً بعد أن شحذ الأمير يوسف هممهم، حيث كان يصول و يجول فوق فَرَسِهِ و يُرَغِبُ جُنده في الجهاد كما كان يقاتل في مقدمة الصفوف و هو ابن التاسعة والسبعين[4] .

و اشتد في نفس الوقت هجوم المرابطين بقيادة سير بن أبي بكر على مقدمة القشتاليين التي يقودها البرهانس، و استردت كذلك جيوش الأندلس إقدامها وشجاعتها و قاتل الجميع في صفوف متراصة متناسقة ثابتة[5]، و أحيط بجيش النصارى من كل الجهات، فاضطر ألفونسو للتراجع، بعد أن كثر القتل في صفوف قواته[6].

و كانت الضربة الأخيرة للأمير يوسف أن دفع بحرسه الخاص من السودان للقتال، و قوامه أربعة آلاف مقـــاتل، استطـــاع أحدهم أن يصل إلى ملك قشتـــالة، ويطعنه بخنجـــر

=**الحلل الموشية**، ص59.

1- أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص88.

2- ابن الأثير، **الكامل**، مج10، ص154 ؛ ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص148 ؛ **دول الطوائف**، ص324.

3- مجهول، **الحلل الموشية**، ص60.

4- ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص138 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج4، ص352 ؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص291.

5- ابتكر المرابطون خطة جديدة في القتال تتمثل في مواجهة العدّو في صُفوف مُتراصة مُتناسقة ثابتة، و قد أثبتت هذه الخُطة نجاعتها أمام فُرسان النصارى الذين لم يكن لهم عهد بمثلها، إذ كانوا مُعتادين على القتال الفردي. (أنظر: عنان، **المرجع السابق**، ص325).

6- الحميري، **الروض المعطار**، ص291 ؛ المقري، **نفح الطيب**، مج4، ص368.

في فخذه طعنة نافذة، فرّ على إثرها هارباً منهزماً مثخناً بالجراح[1]، مع قلة من فرسانه عددهم حوالي خمسة مئة فارس، و اعتصموا بِتَلٍ قريب حتى دخل الليل و انسلوا إلى مدينة قورية و منها اتجهوا إلى طليطلة، و دخلها ألفونسو بمئة فارس بعد أن مات الباقون في الطريق[2].

و أمضى المسلمون الليل في ميدان الحرب يرقبون حركات النصارى، و في صباح اليوم التالي قام فرسانهم بمطاردة المتخلفين، و عمدت قوات أخرى إلى جمع الأسلاب والغنائم المتمثلة في الأموال، والأسلحة والدواب و غير ذلك[3].

و ذاعت أنباء النصر في سائر بلاد الأندلس، واستبشر المسلمون به خيراً، وبعث المعتمد ابن عباد برسالة إلى ولده الرشيد يخبره بالواقعة وبالفتح، كما وصلت أخبار النصر إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي، وأرسل الأمير يوسف كتاباً إلى بلاد العدوة يبشرهم فيه بانتصار المسلمين على أعدائهم. وعمّت الفرحة جميع بلاد افريقية والمغرب والأندلس، واجتمعت كلمة الإسلام، و أخرج الناس الصدقات، و أعتقوا الرقاب شكراً لله تعالى على صنعه الجميل و فضله[4].

3- نتائج المعركة:

تَرَتَبَ عن نصر الزّلاقة نتائج مهمة بالنسبة للمسلمين الأندلسيين منهم والمرابطين، ففيما يخص أهل الأندلس كانت من بين أهم النتائج عودة الثقة و الأمل إلى نفوس أمرائها، و تحررهم

1- ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج4، ص138.

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص149 ؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص291 ؛ (اختلفت الروايات في تقدير عدد الجنود الناجين مع ألفونسو السادس بحيث يقدرها صاحب الحلل الموشية بحوالي أربع مئة فارس، بينما المراكشي يقدرها بتسعة فرسان فقط. كما اختلفت الروايات أيضاً في تحديد عدد القتلى في الجانبين، و لكن أغلب المصادر تُؤكد أن قتلى النصارى يفوق بكثير قتلى المسلمين، و هو ما ذهب إليه ابن بلكين في مذكراته حين قال "و لم يفقد من المسلمين إلاّ الأقل"). (أنظر: ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص106 ؛ المراكشي، **المعجب**، ص95).

3- ابن الأثير، **الكامل**، مج10، ص154.

4- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص150.

من الخضوع لملك قشتالة، و توقفوا عن دفع الجزية، والتنازل له عن الكثير من الأراضي والحصون، كما عادت روح الحماسة الدينية لأهل الأندلس، و فرحوا كثيرا بهذا النصر، واستعادوا به أمجاد و بطولات أسلافهم[1]. و تَرَتَبَ عن هذا النصر أيضاً فك الحصار عن الكثير من مدن الأندلس كبلنسية و سرقسطة حيث تفرغت جيوش النصارى، و استنفرت كامل قواها لمعركة الزّلاقة[2]، بالإضافة إلى استيـــلاء المسلمين عموما وأهل الأندلس خصوصاً على الكثير من الغنائم والأسلاب، و يقول صاحب الحلل الموشية أن المسلمين امتلأت أيديهم بالغنائم الوافرة، والسبي الكثير، و اكتسب الناس فيها من آلات الحروب، والأموال و سيوف الحلى و مناطق الذهب والفضة ما أغناهم[3].

غير أن هذه النتائج الخاصة لا تُعَدُ شيئاً إذا قِيست بالنتائج العامة البعيدة المدى المتمثلة في إيقاف زحف النصارى الجارف على الأندلس المسلمة، بعد أن كان يُنذرها بالمحو والفناء العاجل، و غنم الإسلام حياة جديدة في إسبانيا، امتدت إلى أربعة قرون أخرى[4].

و كان للأمير يوسف بن تاشفين الدور الرئيس في تحقيق هذا النصر الباهر، و إيقاف زحف الصليبين على بلاد الأندلس، فذاع صيته في سائر أنحاء جزيرة الأندلس، و يذكر ذلك المراكشي بقوله"، و أظهر الناس إعظامه، و نشأ له الودّ في الصدور، وكثر الدعاء له في المساجد وعلى المنابر[5]". و أيقن أهل الأندلس أنه لَوْلاَ تدارك يوسف لهم لضاعت بلادهم، و هذا بسبب تمزق صفوف أمرائهم، و تفرق كلمتهم، وعرفوا أيضاً أن المرابطين قوم أقاموا الدين، و تمسكوا بالسنة، و نشروا العدل بين الناس، فأرادوا الإقتداء بهم فرفضوا منذ ذلك الحين إعطاء الضرائب المخالفة لتعاليم الإسلام لأمرائهم[6].

1- عنان، **دول الطوائف**، ص362 ؛ حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص286.

2- ابن الكردبوس، **المصدر السابق**، ص92.

3- مجهول، **الحلل الموشية**، ص65- 66.

4- عنان، **المرجع السابق**، ص362 ؛ سيف الدين الكاتب، **أعلام من المغرب والأندلس**، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1982م، ص11.

5- المراكشي، **المعجب**، ص95- 96.

6- حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص285- 286.

وفي المغرب ساعد نصر الزّلاقة الأمير يوسف بن تاشفين على حل مشاكله الداخلية، بحيث خضعت له القبائل التي ظلت مترددة في ولائها للمرابطين، وبعض القبائل الزناتية الأخرى التي كانت تتربص بهم، فكان نصر الزّلاقة كفيلاً بترهيبها، فعادت إلى طاعتهم من جديد.

وعلى صعيد العالم الإسلامي عمّت الأفراح أرجاءه[1]، و شَبَهَ يوم الزّلاقة بيوم اليرموك[2] والقادسية[3]، و ارتفع شأن المرابطين، و أميرهم يوسف، و أثنى عليه العلماء والفقهاء ثناءً كبيراً، خاصة الإمام الغزالي الذي سُرَّ بهذا النصر، و اعتبر الأمير يوسف المسلم المثالي الذي سيعيد للإسلام سابق عزه، و ينقذه مما تردى فيه[4]. كما تغنَّ الشعراء بهذا النصر، و أنشدوا فيه القصائد الغراء حتى ظهر ما يسمى بأدب الزّلاقة[5]، و أسهب المؤرخون في وصف هذا النصر، و اعتبروه فتحاً عظيماً للإسلام والمسلمين، و وصفه صاحب الحلل الموشية بقوله: "فيا له من فتح ما كان أعظمه، و يوم كبير ما كان أكرمه، فيوم الزّلاقة ثَبَتَ قَدَمُ الدّين بعد زَّلاَقِهَا، فجزى الله أمير المسلمين وناصر الدين أبا يعقوب يوسف بن تاشفين أفضل الجزاء[6]".

و فيما يخص القوى النصرانية فقد أسفرت معركة الزّلاقة على هزيمة ساحقة لهم، حطمت آمالهم في الاستيلاء على الأندلس، و طرد المسلمين منها، و قال ابن بلكين في مذكراته

1- سعدون نصر الله، **المرجع السابق**، ص247.

2- وَادٍ بناحية الشام، يصب في نهر الأردن ثم يمضي إلى البُحيرة المنتنة، وقعت على ضِفَافِهِ حرب بين المسلمين والرّوم في أيام أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، و كانت الغلبة فيها للمسلمين بقيادة الصحابي الجليل خالد بن الوليد. (أنظر: الحموي، **معجم البلدان** ، مج5، ص434).

3- بأرض العراق، بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً، و بهذا الموضع كانت معركة القادسية المشهورة أيام الخليفة عمر ابن الخطاب، بقيادة الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص الذي ألحق هزيمة نكراء بالفرس سنة 15هـ، و كانت من أعظم وقائع المُسلمين و أكثرها بركة. (أنظر: الحموي، **معجم البلدان**، مج4، ص222- 223 ؛ راغب السرجاني، **المرجع السابق**، ج1، ص118 وما بعدها).

4- حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص284.

5- ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج4، ص352 ؛ ليفي بروقنسال: **حضارة العرب في الأندلس**، ترجمة ذوقان قرقوط، مطبعة النجوى، بيروت، د.ت، ص21 ؛ بلغيث، **الحياة الفكرية**، ص85.

6- مجهول، **الحلل الموشية**، ص66.

أن الرُّوم أَشْرَبَ من تلك الوقيعة خوفاً و إنكمـــاشاً[1] . كما حطمت هذه المعركة غرور ألفونسو السادس الذي كان يتباهى بجيوشه الضخمة، والعُدة والعتاد الذي كان يمتلكه، واضطر إلى طلب العون والمدد من خارج الحدود من مختلف دول أوروبا، لصد جيوش المرابطين، ولحماية أطراف مملكته[2].

كما نتج عن هذه المعركة مقتل خيرة رجال ألفونسو السادس، و جميع أَبطاله، و حُمَاتِهِ وقُوَادِهِ[3]، و لم ينج مع ملك قشتالة إلا نَفَرٌ يسير من أصحابه، و لحسن حظ ألفونسو أن الأمير يوسف فضل عدم تتبع فُلول جيشه المنهزم، الذي فرَّ إلى طليطلة للتحصن بها[4]. و ينقل عبد الله عنان تعليق أحد المستشرقين في ذلك جاء فيه "إنه كان من حسن الطالع بالنسبة للنصارى أن يوسف الظافر في الزّلاقة، قد تلقّى عَقِبَ نصره نبأ وفاة ولده الأمير أبي بكر، و إضطر أن يعود إلى مراكش[5]، تاركاً فكرة مطادرة الجيش المنهزم، و إجتناء الثمرة التي يمكن أن تُجنى من مثل هذا النصر، وهي الاستيلاء على طليطلة[6] ".

1- ابن بلكين، **التبيان**، ص108.

2- عنان، **دول الطوائف**، ص331.

3- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام، ص**245- 246.

4- يذكر صاحب الروض المعطار أن ابن عباد كان يُحرض الأمير يوسف على إتباع جيش ألفونسو لقطع دابره، فأبى ابن تاشفين و اعتذر بأن قال"إن اتبعناه اليوم لقي في طريقه أصحابنا، المنهزمين، راجعين إلينا منصرفين فيهلّكهم، بل نصبر بقية يومنا حتى يرجع إلينا أصحابنا و يجتمعون بنا، ثم نرجع إليه فنحسم داءه ". (أنظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص291).

5- ومن بين الأسباب التي جعلت الأمير يوسف يمتنع عن مطاردة جيش ألفونسو المُنهزم، إسراعه في العودة إلى المغرب. وفيما يخص عودته هذه إلى المغرب اختلف المؤرخون في تحديد أسبابها فمنهم من يقول أن السبب هو وفاة ابنه الأكبر وولي عهده الأمير أبي بكر، ومنهم من يقول أن السبب هو اضطراب أحوال مملكته في الحدود الشرقية مع بني حماد الصنهاجيين، وهناك من قال بأن الأمير يوسف سارع للعودة خَوْفاً من قبائل زناتة التي كانت تتربص بالمرابطين. (أنظر: حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص286 وما بعدها ؛ عصمت عبد اللطيف دندش: **أضواء جديدة على المرابطين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991م، ص57 وما بعدها عدة صفحات).

6- عنان، **دول الطوائف**، ص330.

III- العبور الثاني و معركة حصن لييط:

1- أسباب العبور الثاني:

بعد عودة الأمير يوسف بن تاشفين إلى المغرب، اضطربت أحوال الأندلس من جديد، حيث عاد أمراء الطوائف إلى سابق عهدهم من الاختلاف و التنازع، و افتراق الكلمة، و حتى الاتصال بالعدو[1]. فشجع هذا الوضع النصارى على محاولة النهوض من جديد والتخلص من آثار هزيمة معركة الزّلاقة، فقام ألفونسو السادس باختيار الجبهة الأكثر ضعفاً في الأندلس، فاتجه نحو الشرق حيث إمارات بلنسية، مرسية، لورقة، و المرية، وقام بتشديد الخناق و شنّ الغارات عليها، وكانت هذه الغارات تنطلق من حصن لييط[2] الذي استولى عليه ألفونسو، وشحنه بالخيل والرجال و الرُماة و أمرهم أن يَشُنُّوا هجماتهم على بلاد ابن عباد دون سائر بلاد الأندلس[3]، فركزوا هجماتهم على مدينتي مرسية و لورقة، اللّتين تخضعان لسلطة المعتمد بن عباد الأولى بالحق والثانية بالفعل[4] ؛ فمرسية كان ابن عباد يعتبرها حقاً له، و أراد أن يأخذها من حاكمها ابن رشيق و يُعطيها لابنه الراضي تعويضاً له عن الجزيرة الخضراء التي تنازل عنها للمرابطين، وقد حاول المعتمد اخضاعها بالقوة فحشد حملة من جنده، ومن جند المرابطين الذين تركهم الأمير يوسف في الأندلس[5] ، فضرب حولها الحصار، و لكن ابن رشيق استطـــاع

1- يبدو جلياً أن أمراء الطوائف لم يأخذوا بنصائح أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الذي جمعهم بعد نصر الزّلاقة، و أمرهم بالاتفاق والائتلاف، ونبذ الفرقة، لأن النصارى لم يتمكنوا منهم إلا بعد تشتتهم وتفرق كلمتهم. (أنظر: ابن بلكين، **التبيان**، ص106).

2- حصن لييط (Aledo) هو حصن منيع على رأس جبل شاهق، بناه ألفونسو السادس إثر استيلائه على طليطلة، يقع بين مرسية و لورقة، بينه و بين هذه الأخيرة نصف يوم، و هو يتوسط بلاد المسلمين، ممّا سهّل على سراياه أن تشن غاراتها على الأراضي الإسلامية في تلك الأنحاء. (أنظر: مجهول، **الحلل الموشية**، ص67 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج4، ص352 ؛ دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ج3، ص137- 138).

3- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص152. (يبدو أن ألفونسو أراد الانتقام من المعتمد بن عباد عِقَاباً له على استدعائه المرابطين للأندلس).

4- عنان، **دول الطوائف**، ص334 ؛ سعدون نصر الله، **المرجع السابق**، ص253.

5- ترك أمير المسلمين في بلاد الأندلس بعد فراغه من معركة الزّلاقة ثلاثة آلاف جندي مرابطي للدفاع عن ثغور الأندلس بقيادة سير بن أبي بكر، وقد قام بالتوغل في بلاد النصارى، و فتح بعض الحصون والمعاقل. (أنظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج7، ص119 ؛ المقري، **نفح الطيب**، مج4، ص370).

أن يكسب المرابطين، و يقنعهم بتركه في سلام، ففشلت بذلك حملته[1]. أما مدينة لورقة فيحكمها ابن أياس الذي بادر إلى الاعتراف بسيادة المعتمد بن عباد عليه، بعد أن عجز عن مقاومة قشتالي حصن لييط[2].

كما حاول المعتمد بن عباد وضع حد لغزوات النصارى المتحصنين بحصن لييط، فنظم جيشاً بقيادة أحد أبنائه يضم ثلاثة آلاف فارس، و اتجه إلى لورقة فاعترضه جيش قشتالي، و ألحق به الهزيمة[3].

و بالنسبة إلى مدينة بلنسية فكانت تعاني من ضغط النصارى، فهي خاضعة بصورة غير مباشرة لنفوذهم، فهم يسيطرون عليها عن طريق صنيعتهم القادر بن ذي النون الموالي" للسيد القمبيطور"[4]، الذي ادّعى أنه المدافع عن القادر، بعد أن أجبره على دفع مرتب شهري قدره عشرة آلاف دينار[5].

و هكذا بدت مناطق شرق الأندلس بعد الزّلاقة مباشرةً وكأنها على شفير الهاوية والسقوط بيد النصارى، فاضطر أهل الأندلس للاستنجاد مرةً أخرى بالأمير يوسف بن تاشفين، و أخذت الوفود الشعبية و على رأسها الفقهاء تعبر إلى المغرب، مستغيثةً به لإنقاذ الأندلس من جديد، فأهل بلنسية كانوا يَشْكُونَ له عُدوان السيد القمبيطور حامي القادر بن ذي النون، و سُكان باقي المدن كانوا يعانون الأمرّين من حامية حصن لييط[6].

1- عنان، **دول الطوائف**، ص355.

2- عن تصميم حصن لييط. (أنظر: **شكل رقم 1**، ص151).

3- دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ج3، ص138.

4-هو رودريغو دياز (Rodrigue Diaz) الملقب بالسيد (Le Cid) من بين شخصيات العصور الوسطى في إسبانيا، ولد في بيرقو (Burgos) تحديداً في مدينة بيبار(Vivar) في الثُلث الأول من القرن الحادي عشر الميلادي، شارك في حصار سرقسطة قبل الزّلاقة، كما حاصر بلنسية مُدة سبع سنوات، تحالف مع ألفونسو السادس في حُروبه مع المسلمين، ولكن ظهرت بينهما عداوة وتنافر، حيث كان السيد القمبيطور يقوم مع مجموعة من فرسانه بغارات على أراضيه، كما كان يَشُنُ الغارات على أراضي المسلمين في أغلب الأوقات، و بقي على حاله إلى أن توفي في السنة الأخيرة من القرن الحادي عشر الميلادي. (أنظر: ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص31).

Charles -André Julien : **OP.CIT**, p84 ؛ Rafael Ballester : **Histoire De L'Espagne**, Payot, 1928, p66 -67.

5- دوزي، **المرجع السابق**، ج3، ص138.

6- مجهول، **الحلل الموشية**، ص67 ؛ دوزي، **المرجع السابق**، ج3، ص138.

كما أن المعتمد بن عباد لمّا ضاق ذرعاً من اعتداءات النصارى المتكررة على ممتلكاته عَبَرَ البحر إلى العدوة للقاء الأمير يوسف، فلقيه بمحاذاة وادي سبو[1]، فشكا إليه ما كان يقوم به النصارى المتحصنين بحصن لييط من غارات و نَهْبٍ لممتلكات المسلمين[2]. و يذكر صاحب الحلل الموشية أن الأمير يوسف قابله بوجه طلق، و صدر رحب، و قال له:" ما السبب الذي دعاك إلى الجواز إلينا، و هلاّ كتبت بحاجتك"، فقال له: "جئتك احتساباً و جهاداً، و انتصاراً للدين، و قد أجرى الله الخير على يديك، و حَظَّكَ مما جئت به الحظّ الأوفر، و قد اشتد ضرر النصارى المستولين على حصن لييط، و عظم أذاهم بالمسلمين، ولا جهاد أعظم منه أجراً، ولا أثقل في الميزان وزناً [3]". و عندما سمع أمير المسلمين كلام المعتمد عَظُمَ عليه الأمر، فوعده بالجواز و الوصل إليه[4].

2- أحداث المعركة:

عبر الأمير يوسف بن تاشفين إلى بلاد الأندلس، و استقر بالجزيرة الخضراء في شهر ربيع الأول سنة 481هـــ/ 1088م[5]، واستقبله المعتمد بن عباد هناك بالهدايا والمؤن الوفيرة[6]، و بعث أمير المسلمين بكتبه إلى أمراء الطوائف يستنفرهم لجهاد العدو في حصن لييط[7]، وكان الأمير يوسف يريد بعد الاستيلاء على هذا الحصن، أن يعمل من أجل القضاء على سلطان السيد في منطقة بلنسية.

وقد لبّى الأمراء نداء يوسف، و لحقوا به إلى لييط للاشتراك في المعركة، ومن بين هؤلاء

1- هو نهرٌ عظيم يصب من نواحي جبل القلعة لابن توالة، و يحاذي مدينة فاس من جهة شرقيها، وعلى ستة أميال منها. (أنظر: الإدريسي، **المصدر السابق**، ص148).

2- ابن بلكين، **التبيان**، ص108 ؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص249.

3- مجهول، **الحلل الموشية**، ص68.

4- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص152 ؛ السلاوي، **الإستقصا**، ج2، ص47.

5- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص152 ؛ السلاوي، **المصدر السابق**، ج2، ص47 ؛ أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص95.

6- جلب المعتمد ألف دابة تحمل الميرة والضيافة. (أنظر: ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص152).

7- ابن بلكين، **التبيان**، ص108.

عبد الله بن بلكين صاحب غرناطة، و أخوه تميم صاحب مالقة، و المعتصم بن صمادح صاحب المرية، و ابن رشيق صاحب مرسية (Murcia)، و أصحاب شقورة، و بسطة و جيان[1] (Jaen)، فلم يتخلف غير ابن الأفطس صاحب بطليوس[2].

اتجه أمير المسلمين عَبْرَ طريق مالقة صوب شرق الأندلس، ثم سار نحو المرية، ومنها دخل لورقة، حيث لحقت به قوات المعتمد بن عباد و اتجهت جموع القوى المتحدة صوب حصن لييط ، الذي يقع على مسيرة نصف يوم من مدينة لورقة[3]، و شرعوا في قِتَالِهِ و التضييق عليه، حيث ضربوا على حاميته الضخمة التي تضم ثلاثة عشر ألف مقاتلاً حصاراً من كل ناحية، و شنّوا عليه الحرب ليلاً نهاراً [4] ؛ و كان كل أمير يهاجم بدوره، و يقاتل حسب مجهوده وما تبلغ استطاعته وحيلته[5]، كما قطعوا الأقوات على المُحَاصَرِينَ، و أذاقوهم البأس والشدة، و استمروا في الحصار مدة أربعة أشهر[6]، استبسل فيها المعتصمون بالحصن استبسالاً منقطع النظير، وعاني المسلمون خسائر فادحة من انقضاض المُحَاصَرِينَ عليهم بين آونة وأخرى[7].

و الشيء الذي زاد الأمر تعقيداً هو انشغال أمراء الطوائف بمصالحهم الذاتية، و كان معسكرهم مركزاً للمكائد، و الخلاف و الوقيعة[8]، فكان تميم صاحب مالقة، و أخوه عبد الله صاحب غرناطة يشكوا كلٌ منهما الآخر للأمير يوسف، وكان ابن عباد و ابن صمادح يَكِيدُ كلٌ منهما بأخيه لدى أمير المسلمين[9]، و أعظم هذه الخصومات التي بين المعتمد بن عباد وابن رشيق، فقد شكا ابن عباد ابن رشيق لأمير المسلمين، و اتهمه باغتصاب الولاية منه على مرسية،

1- مجهول، **الحلل الموشية**، ص68- 69 ؛ دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ج3، ص139.

2- حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص293.

3- مجهول، **الحلل الموشية**، ص67.

4- مجهول، **الحلل الموشية**، ص69.

5- ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص108.

6- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص153 ؛ السلاوي، **المصدر السابق**، ص47.

7- أشباخ، **المرجع السابق**، ص96.

8- دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ص139.

9- عنان، **دول الطوائف**، ص336.

و أنه متفاهم مع ملك قشتالة سِراً، و يعاون حامية الحصن في الخفاء. و لم يجد الأمير يوسف بُداً من استفتاء الفقهـــاء، فأفتوا بإدانة ابن رشيق، فأمر بتسليمه لابن عبـــاد على شرط أن يبقي على حياته[1]، و كان لهذا الحادث أسوأ الأثر في المعسكر المحاصر، حيث قام قادة مرسية و معظمهم من أقارب ابن رشيق ورجاله، بمغادرة المعسكر في جندهم غاضبين، و قطعوا المؤن التي كانت ترسل إلى المُحَاصِرِينَ من مرسية و أحوازها، فأدّى ذلك إلى اختلال أمر المعسكر الإسلامي، حيث لحق به الضيق والغلاء[2]، و علم أمير المسلمين من جهة أخرى أن ملك قشتالة يسير في قوة كبيرة لإنجاد الحصن، فآثر الانسحاب و عدم الاشتباك مع القشتاليين في معركة غير مجدية[3].

و قَدِمَ ألفونسو إلى الحصن، فلم يجد بداخله من المدافعين عنه سوى مئة فارس و ألف رَاجِلٍ[4]، ولما رأى أنه لا فائدة من الاحتفاظ به، و أنه يقتضي لذلك حامية كبيرة، قرر إخلاءه وتقويض أسواره و أبراجه، و عاد أدراجه إلى طليطلة[5]، و استرجع ابن عباد الحصن بعد أن تركه النصارى أطلالاً[6].

و لم يجد الأمير يوسف أمامه خياراً أخر غير الرجوع إلى بلاد المغرب، تاركاً جيشاً مرابطياً من أربعة آلاف فارس تحت إمرة داود بن عائشة لصد غارات النصارى على منطقة مرسية، و بَعَثَ لنفس الغرض جيشاً آخر إلى مدينة بلنسية بقيادة محمد بن تاشفين[7].

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص153 ؛ مجهول، **الحلل الموشية**، ص69- 70. (و يقول ابن بلكين في مُذكراته أن ابن عباد دَبَّرَ الأمر مع الفُقهاء، و اصطنع لذلك القاضي القُليعي الذي شكى ابن رشيق عند الأمير يوسف، و رأى هذا الأخير أنه لا ينبغي عليه مُفاسدة ابن عباد من أجل ابن رشيق، و الأوكد له في هذا الوقت هو استمالة ابن عباد لكي يُساعده في مقارعة النصارى). (أنظر: ابن بلكين، **التبيان**، ص110).

2- مجهول،**الحلل الموشية**، ص70 ؛ أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص96.

3- عنان، **المرجع السابق**، ص336.

4- أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص96.

5- Don Rafael Altamira Y Crevea : **Histoire D' Espagne**, libraire Armand, Saint - Michel, Paris, 1931, p66.

6- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص153 ؛ السلاوي، **الإستقصا**، ص48.

7- مجهول، **الحلل الموشية**، ص70.

3- نتائـــج المعركـــة:

اختلف المؤرخون أيّما اختلاف في تحديد نتائج حصار حصن لييط، حيث صوّر بعضهم الانسحاب على أنه هزيمة للمرابطين و حلفائهم الأندلسيين، و نَصْرٌ للجبهة النصرانية، و صوّره البعض الآخر على أنه فَوْزٌ و ظَفرٌ للمسلمين. فالذين يقولون إن المسلمين انهزموا في المعركة يُرجعون ذلك إلى عدم تمكن قوات المسلمين من فتح الحصن و اخضاعه بالقوة، رغم طول مدة الحصار التي بلغت حوالي أربعة أشهر، و لاستبسال النصارى في الدفاع عليه، وإلحاقهم الأذى في بعض الأحيان بقوات المسلمين، وكذلك لانسحاب قواتهم عند مجيء ألفونسو السادس بجيشه لتخليص الحصن، حيث ساد الارتباك والظنون في معسكرهم. و يُصَوِرُ عبد الله بن بلكين في مذكراته ذلك بقوله" لمّا ورد الخبر بقدوم ألفونسو إلى الحصن، ساءت الظنون من أجل ذلك، و رأى أمير المسلمين أن الرجوع عنها و الانصراف أوْلى لطول مُكث الناس و فشلهم[1]. و أهم الأمور التي تُبين انهزام القوات المرابطية و الأندلسية المتحالفة هو ذلك التراع و الشقاق الذي ظهر بين أمراء الطوائف، حيث عصفت رياح الفُرقة بينهم، بالخصوص بين المعتمد بن عباد وابن رشيق صاحب مرسية، هذا الأخير الذي أُتُّهِمَ بموالاة النصارى والتحالف معهم سراً، فأدى ذلك إلى نكبته من قبل المعتمد بن عباد، فخلّف ذلك إضطراباً كبيراً بتمرد أهل ابن رشيق على القوات المتحالفة[2].كما ظهرت منازعات بين المعتمد والمعتصم صاحب المرية، و بين ابن بلكين صاحب غرناطة و أخيه تميم صاحب مالقة[3]، بالإضافة إلى سخط الرعية على أمرائهم الذين أثقلوا عليهم بطلب المزيد من المؤن والأقوات لإعطائها للقوات المُحَاصِرَة للحصن، و يُصَوِرُ لنا عبد الله بن بلكين هذه الأوضاع المزرية و التي أدت إلى فشل المسلمين في إحداث النصر أصدق تصوير، حيث يقول" وطالت تلك المحّلَةِ الملعونة، و أبان الطيب من الخبيث، وكُشفت العورات، فلم يزدد الرؤساء إلا توحشاً، ولا الرعية إلا تسلطـــاً،

1- ابن بلكين، **التبيان**، ص113.

2- مجهول، **الحلل الموشية**، ص70.

3- و كان كل أمير من الأمراء يحاول أن يُوّقع بالأمير الأخر عند يوسف بن تاشفين، و يشتكي له ما لحقه من ضَـــرَرٍ و ظُلْمٍ، فجلب ذلك للأمير يوسف قلق كبير و حيرة، هل يقوم بفك خصومات أمراء الطوائف، أو يهتم بجهاد العدّو. (أنظر: ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص110 وما بعدها).

ولا الداخلون على مِثل هذه النِصْبَةِ إلا طَمَعاً، و حُقَّ لهم، مع اختلاف كلمة الرؤساء"[1].

أما الذين يرون أن المسلمين حققوا في معركة حصن لييط نصراً، ولو كان نسبياً، فهم يُرجعون ذلك إلى استيلائهم على الحصن في نهاية المطاف، رغم أنه كان مُخرباً و أصبح أطلالاً، و يَتَحَجَجُونَ أيضاً بذكر بعض الرسائل المتبادلة بين المعتمد بن عباد والمعتصم بن صمادح، التي تصف هذا الفوز و تُشيد به، كما أن ابن حمديس الصقلي وهو شاعر معاصر هنأ المعتمد بهذا الفتح، و أنشد بين يديه قصيدة تُصَوِرُ هذا الظفر الذي حققه المسلمون[2]، بالإضافة إلى ذلك إلحاق ضرر كبير في صفوف مقاتلي الحصن، حيث تم القضاء على جُل النصارى المتحصنين هناك، فمن بين ثلاثة عشر ألف مقاتل لم ينج منهم سوى نفر قليل، حوالي مئة فارس و ألف رَاجِلٍ[3].

و إن النتيجة المهمة التي انبثقت عن معركة حصن لييط، بِغَّضِ النظر عن من المنهزم ومن المنتصر، هي إدراك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين باستحالة توحيد أمراء الطوائف الغارقين في نزاعاتهم اللاّمتناهية، فبقي عليه ألا يعتمد على هؤلاء الأمراء في مواجهة العدّو بل عليه أن يعتمد على نفسه إذا أراد مواصلة إيقاف زحف النصارى على بلاد الأندلس، ولن يتحقق له ذلك إلا بعد القضاء على نفوذ و سلطة هؤلاء الأمراء.

وخلاصة القول أن أهل الأندلس سارعوا للاستنجاد بالمرابطين في بلاد المغرب، عندما تأكدوا أنهم غير قادرين على إيقاف زحف النصارى لوحدهم، وعلّقوا على هؤلاء المرابطين الآمال لتخليصهم من غطرسة النصارى و عدوانهم الذي اشتد أكثر فأكثر بعد سقوط مدينة طليطلة، والذي كان نذيراً بسقوط كافة بلاد الأندلس، و لم يُخيب أمير المرابطين يوسف بن تاشفين آمال أهل الأندلس، فسارع بدوره لتلبية نداء الاستغاثة الذي جاءه من الفقهاء والأمراء على السواء، وعبر إلى بلاد الأندلس، وأعد العُدة والعتاد لملاقاة العدّو للفتك به، وكان له ذلك حين التقى مع جيوش ألفونســـو في سهل الزّلاقة قرب بطليوس، و حدثت هناك معركة طاحنة

1- ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص110.

2- حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص293- 294.

3- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص153.

أبلى فيها الأمير يوسف البلاء الحسن و أسفرت عن انتصار باهر للمسلمين، استبشر به أهل جزيرة الأندلس خيراً، لاندحار خطر النصارى عليهم، كما استبشر بهذا النصر أيضاً المسلمون في سائر الأرجاء والبقاع، و رفع الناس من قَدْرِ الأمير يوسف بن تاشفين لكونه صانع هذه الملحمة المظفرة، و اعتبروه حامي عُرى الدين في ذلك الزمان.

و لأجل ذلك أعاد أهل جزيرة الأندلس استدعاءه لنصرتهم مرة ثانية، حينما تجددت اعتداءات النصارى عليهم جهة شرق الأندلس، حيث يتواجد حصن لييط المدجج بالجنود القشتاليين الذين كانوا يعتدون على مناطق مرسية، و لورقة، و بلنسية، وألحقوا أضراراً بليغة على أهل هذه الجهات وكعادته هبّ الأمير يوسف بن تاشفين بعد أن جاءه المعتمد بن عباد بنفسه، وكذلك جماعة من الفقهاء يستنصرونه، و عبر إلى الأندلس و شكل تحالفاً مع القوى الأندلسية، و قاموا بحصار حصن لييط لمدة أربعة أشهر لمحاولة فتحه، و لكنهم لم يقدروا عليه لاستبسال جنود النصارى في الدفاع عنه، و كذلك لظهور الفُرقة، والخلافات العميقة بين أمراء الطوائف، و تعاون أحدهم مع النصارى ضد المسلمين. و إثر تأزم الوضع فضل الأمير يوسف الانسحاب بدل خوض معركة غير مجدية مع جيوش ألفونسو القادمة لنجدة الحصن، وعاد أدراجه إلى بلاد المغرب وقد تغيرت نفسه على أمراء الطوائف كثيراً، و أدرك أنه لا يمكن الاعتماد عليهم مُستقبلاً.

الفصل الثالث
الأندلس ولاية مرابطية

I- العبور الثالث و ضم الأندلس للدولة المرابطية

II- العبور الرابع و تنظيم شؤون الأندلس

عاد الأمير يوسف بن تاشفين إلى بلاد المغرب، بعد أن انتهى من حصار حصن لييط، و قد تغيرت نفسه على أمراء الطوائف، الذين شغلوا وقتهم في التنازع و التباغض، وانصرفوا عن الجهاد، و ردّ العدوان على بلادهم.

و أدرك الأمير يوسف استحالة اصلاح هؤلاء الأمراء المتخاذلين، و تبيّن له أن الاستمرار في إيقاف زحف النصارى على بلاد الأندلس لا يتحقق إلا بالتخلص من هؤلاء الأمراء، الذين ثَبَتّت خيانتهم للمسلمين، و موالاتهم لأهل الكفر. و لم يتخذ الأمير يوسف هذه الخطوة الجريئة بين عشية و ضحاها بل تمت بعد تفكير طويل، و لم يكن القرار انفراديا بل تم بعد مشاورة أهل الحل و العقد في دولته، و كذلك بعد صدور فتاوى فقهاء و علماء الدين في بلاد المغرب والمشرق الإسلاميين.

و يتناول هذا الفصل العبور الثالث للأمير يوسف إلى بلاد الأندلس، و كيف قام بخلع أمراء الطوائف الواحد تلوى الآخر، و المعارك التي قام بها في جميع أقطار الأندلس ضد هؤلاء الأمراء من جهة، و ضد النصارى من جهة أخرى. ثم يتطرق إلى العبور الرابع و الأخير إلى الأندلس، و الأعمـال التي أنجزهـا الأمير المرابطي خلال هذه الفترة، كتنظيم شؤون الإدارة، و العهد لولده علي للحكم بعده، و وصيته له بمواصلة مقارعة النصارى على الثغور.

I- العبور الثالث وضم الأندلس للدولة المرابطية.

1- أسباب العبور الثالث:

في أوائل سنة 483هـ/1090م عبر الأمير يوسف بن تاشفين البحر إلى الأندلس للمرة الثالثة برسم الجهاد[1] ، و لم يكن عبوره هذه المرة تلبية لدعوة أو استغاثة من أمراء الأندلس

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص153 ؛ السلاوي، **الإستقصا**، ج2، ص48.

كما حدث في المرتين السابقتين، و إنما لتلبية دعوة فقهاء الأندلس الذين طالبوا بإنقاذهم من ملوكهم العاجزين على محاربة النصارى، والمنغمسين في حياة الترف واللهو، و كذا التراع والشقاق بين بعضهم البعض[1].

و لّما أدرك الأمير يوسف أن أمراء الطوائف غير مخلصين في جهادهم، قرر العبور للأندلس لأجل خلع هؤلاء الأمراء، و لإنقاذ الأندلس من خطر النصارى[2]. و قد شجع الأميرَ يوسف صُدُورُ فتاوى من فقهاء الأندلس والمغرب والمشرق، تحثه على مشروعية خلع ملوك الطوائف و التخلي عن نصرتهم، و تحضه على العدل والتمسك بالخير[3]. إلى جانب عوامل أخرى أهمها استمرار الخلاف والشقاق بين ملوك الطوائف بعد معركة الزّلاقة، وأثناء حصار حصن لييط، الأمر الذي صرفهم عن مواجهة النصارى المتربصين بهم. وكثرة شكاوى السكان من الضرائب و تمسكهم بيوسف بن تاشفين كي يخلّصهم من أمرائهم الجائرين[4].

حاول ملوك الطوائف الغدر بالأمير يوسف، فقطعوا الإمدادات على قواته، و تعاون بعضهم مع العدّو و قَدَّمُوا له الهدايا والأموال، لكي يكون نصيرهم ضد التدخل المرابطي في بلادهم[5].

استأنف ألفونسو الســـادس غاراته على أراضي المسلمين لّما تفككت الجبهة الإسلامية،

1- حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين**، ص300 ؛ نجيب زبيب، **المرجع السابق**، ج2، ص286-287.

2- عنان، **دول الطوائف**، ص337.

3- من بين الفُقهاء الذين أفتوا بشرعية القضاء على أمراء الطوائف، فقهاء المشرق أبو بكر الطرطوشي، و أبو حامد الغزالي، هذا الأخير قيل عنه أنه أثنى على الأمير يوسف ثناءاً كبيراً، و وجه له رسالة تحثه على الجهاد في سبيل الله، ونشر العدل والخير. (أنظر: ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص250 ؛ محمد بن عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس – العصر الثالث- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس- القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1411هـ / 1990م، ص41 وما بعدها). عن نص الرسالة. (أنظر: **الملحق رقم 8**، ص144).

4- محمد سهيل طقوش، **المرجع السابق**، ص498 .

5- من بين الأُمراء الذين رضخوا لتهديداتِ ملك قشتالة، و أمدوه بالهدايا والأموال الأمير عبد الله بن بلكين صاحب غرناطة الذي أقّر بذلك في مُذكراته حيث قال "فاجتمع رأينا على إرضائه باليسير، مع مُعَاقَدَتِهِ ألا يَقْرَبَ لنا بلداً. (أنظر: ابن بلكين ، **التبيان**، ص123).

و عاد أمراء الطوائف إلى سابق عهدهم من التنازع والتخاصم بعد أن غادر يوسف إلى المغرب، فراح الملك القشتـــالي يهاجمهم منفردين، و أرسل قائده البرهانس إلى عبد الله بن بلكين يهدّد و يتوعد و يطالب بالجزية المتأخرة[1]، كما عاثت قواته في أراضي المعتمد بن عباد، و راحت تهدد إشبيلية[2].

و هناك من المؤرخين من يرى بأن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كان يهدف من وراء خلع أمراء الطوائف الاستيلاء على بلاد الأندلس، لِمَا تَنْعَمُ به من ثراء، و كان ممّن تَبَنَى هذا الرأي صاحب المعجب حيث قال "و بلغني أن الأمير يوسف لمّا عاد إلى مراكش إثر عبوره الأول قال لبعض ثِقاته من وجوه أصحابه كنت أظن أنّي قد ملكت شيئاً، فلمّا رأيت تلك البلاد، صَغُرت في عيني مملكتي، فكيف الحيلة في تحصيلها ؟ "[3]. غير أن المراكشي يناقض نفسه في هذا الشأن حينما نقل عن الأمير يوسف كلاما آخر يبين فيه أن هدفه من القدوم إلى بلاد الأندلس هو تخليصها من أيدي الروم بعد غفلة ملوكهم وإهمالهم للغزو[4].

و أسرف بعض المؤرخين المستشرقين في لوم الأمير يوسف و اتهامه بالغدر والخيانة، و أَخْذِ أمراء الطوائف على غرة منهم، بعد أن آووه و أعانوه في جهاده و وقفوا بجانبه في نضاله ضد ألفونسو السادس، و من بين هؤلاء المؤرخ دوزي الذي انتقد المرابطين وأميرهم يوسف بن تاشفين فَوَصَفَهُ بالجهل والتعصب[5]. كما شكّك المؤرخ أشباخ في نوايا الأمير المرابطي فيما يخص خلعه لأمـــراء الطوائف، و عبـــوره الثـــالث لبلاد الأندلس حيث قـــال: و عبر يوسف

1- طالب رسول ألفونسو جزية ثلاثة أعوام قدرها ثلاثون ألفاً، لا ينقص منها شيئاً. (أنظر: ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص125).

2- حسن أحمد محمود ، **المرجع السابق**، ص298.

3- المراكشي، **المعجب**، ص98.

4- وممّا جاء في كلام الأمير يوسف قوله "إنّما كان غرضنا من ملك هذه الجزيرة أن نستنقذها من أيدي الرُّوم لمّا رأينا استيلاءهم على أكثرها وغفلة ملوكهم، و إهمالهم للغزو وتواكلهم، و تخاذلهم، و إيثارهم الراحة ولئن عِشتُ لأعيدنّ جميع البلاد التي ملكها الرُّوم في طول هذه الفتنة إلى المسلمين". (أنظر: المراكشي، **المصدر السابق**، ص114- 115) .

5- حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص297.

إلى إسبانيا دون أن يقف على نيته أحد متظاهراً بأنه يعتزم محاربة النصارى بكل ما وسع[1].

في حين نجد المراجع المعاصرة تشيد بموقف يوسف من ملوك الطوائف و ترى أن إقدامه على خلعهم والتخلص منهم عمل فريد يُسجل له بالحمد والثناء، و أن نيته كانت سليمة، و كان غرضه الأساسي هو مقارعة النصارى ومحاربتهم[2].

2- حصار المرابطين طليطلة:

كان الأمير يوسف بن تاشفين خلال عبوره الثالث لبلاد الأندلس يدرك تمام الإدراك أنه يجب عليه خوض معركتين عنيفتين، الأولى ضد ملوك الطوائف، والثانية ضد القوات النصرانية[3] لعزلها عن الصراع الذي سوف يخوضه ضد أمراء الطوائف المتهالكين، وأيضاً لأجل القضاء على سطوتها و زحفها المتواصل على بلاد المسلمين في الأندلس.

و لهذا لم يبدأ الأمير المرابطي بالإطباق فور عبوره إلى الأندلس على أمراء الطوائف، خشية أن يتعرض لهجوم نصراني من الخلف بالاتفاق مع هؤلاء الأمراء، خاصة بعد أن وصلته أخبار عن الاتفاقيات السرية التي كان يعقدها المعتمد بن عباد، والمتوكل بن الأفطس، و عبد الله بن بلكين مع ألفونسو السادس ملك قشتالة، للتعاون من أجل رد المرابطين[4]. ورأى يوسف أنه من الضروري الإسراع في السير نحو عاصمة القشتالين طليطلة لحصارها واجتياحها، عَلّهُ يسترد المدينة ليشفي جرح الأندلس الدامي، فيزداد تعلق أهـــل الأندلس به[5]. وبالفعل حاصرها

1- أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص97.

2- عنان، **دول الطوائف**، ص337 و ما بعدها ؛ شعيرة، **المرجع السابق**، ص 133.

3- محمد سهيل طقوش، **المرجع السابق**، ص499.

4- غير أن ابن بلكين في مذكراته يذكر أن الأمور صُوِّرت عند الأمير يوسف على غير حقائقها، و يتهم القاضي القلعي، و القاضي أبو بكر بن مُسكن بسعيهما عند الأمير يوسف و اتهامه بمصانعة النصارى. (أنظر: ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص127- 128).

5- عنان، **دول الطوائف**، ص339.

حصاراً شديداً، وعاث المرابطون في أحوازهـــا، وشنوا الغارات بأطرافها، و خربوا ضيـــاعها، و انتسفوا زروعها[1]. و وصلت قوات الأمير يوسف في تقدمها إلى شمال طليطلة، و حاصرت قلعة رباح التي تسيطر على الطريق المؤدي إلى مملكة قشتالة، و لم يجرؤ ألفونسو و حليفه سانشو راميرز المتحصنين في طليطلة على التصدي لها[2]. بَيْدَ أن المرابطين أيقنوا بعد أن شهدوا أسوارها العالية و حصانتها الفائقة، بعدم جدوى المحاولة، فتركوا الحصار و ارتد يوسف بقواته إلى الجنوب، كل ذلك و لم يتقدم أحد من أمراء الأندلس لمساعدته ضد عدوهم اللدود ألفونسو السادس[3]، بل راحوا يُراقبون تحركاته عن كثب، جزعين أشد الجزع على سلامتهم[4].

3- معارك المرابطين جنوب وغرب الأندلس.

أ- الاستيلاء على غرناطة و مالقة:

لم يتمكن الأمير يوسف بن تاشفين من استرجاع مدينة طليطلة، و لكنه تَمَّكن من إدخال الرعب في قلوب النصارى، و مَلكهم ألفونسو السادس، و بَيَّنَ لهم أنه مازال مُهْتَماً بحربهم، وبصد عدوانهم على بلاد الأندلس، كما بَيَّنَ لأمراء الطوائف المتعاونين مع النصارى أن مصيرهم الهلاك والبوار إنْ استمروا في خذلانهم وخيانتهم. و لكن هؤلاء الأمراء واصلوا خيـــانتهم ، فقرر أمير المسلمين يوسف القضـــاء عليهم، بعد أن شاور في الأمر الفقهاء و أهل

1- السلاوي، **الإستقصا**، ج2، ص48.

2- عنان، **دول الطوائف**، ص340.

3- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص153 ؛ السلاوي، **المصدر السابق**، ج2، ص48.

4- أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص97.

الرأي، و كسب تأييد الشرع[1]. فارتد من طليطية صَوْبَ الجنوب، و عرّج إلى فحص غرناطة التي يحكمها عبد الله بن بلكين الزيري الصنهاجي، و كان هذا الأمير قد فاق غيره من أمراء الأندلس في الخيانة والتآمر، و الاتصال بالعدو، و قد وردت أنباء خيانته إلى الأمير يوسف عن طريق بعض الفقهاء و بعض مواليه، و لاسيما مؤمل مولى جده باديس، الذي اتهمه بعقد معاهدات سرية مع ألفونسو[2]، وقد اعترف الأمير عبد الله في مذكراته بهذا الأمر، و لكنه يذكر بأنها لم تكن سوى إلتزام منه بدفع الجزية لألفونسو، و كان قد تعهد له هذا الأخير بأن لا يعترض له بلداً، ولا يغدر به، و أنه كان في حالة ضرورة لا سبيل إلى سواها [3].

قبل وصول الأمير يوسف إلى غرناطة، و هو في قرطبة أرسل إلى ابن بلكين كتاباً يقول فيه "أقبل إلينا، ولا تتأخر ساعة واحدة"، فاضطرب الأمير عبد الله من الأمر، و اعتذر إليه بتوجيه رسل، اعتقلهم يوسف و كبّلهم بالحديد، و قال لهم " و الله إني غزوته كما نغزو ألفونسو، و الذي يقدر عليه، فليصنع"؛ و أرسل إلى الكُوَرِ والحصون كتباً يدعوهم لعدم المقاومة[4]. و يذكر ابن الكردبوس أنه لمّا وصلت كُتب الأمير يوسف إلى الحصون والمعاقل أطاعه أهلها و سُرَّ القوم بذلك، و قد مالت نفوسهم إليه، لِمَا رأوا عنده من العدل والشهامة والإنصاف[5].

وعندما وصل أمير المسلمين إلى غرنـــاطة تحصن منه صاحبها عبد الله بن بلكين، وأغلق الأبواب في وجهه، و كان قد عَمَدَ إلى تشييّد الحصون و بنـــاء الأسوار، و ملأ بيوت السلاح،

1- ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص187.

Charles – André Julien, **op.cit**, p 86 .

2- مجهول، **الحلل الموشية**، ص71 ؛ عنان، **دول الطوائف**، ص314.

3- و يُضِيفُ الأمير عبد الله قائلاً أَنَهُ لو كان يُريد الاستعانة بالنصارى كما قِيلَ عنه، لم يصل المرابطون إلى سبتة، إلاَ و مدينة غرناطة مملوءة منهم. (أنظر: ابن بلكين، **التبيان**، ص123 و ما بعدها).

4- ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص147- 148.

5- ابن الكردبوس، **المصدر السابق**، ص96.

و جَدَّ في ضرب السهام استعداداً لحصار طويل الأجل[1]. و بالفعل حاصره يوسف مدة شهرين[2]، و قام عسكره بحراسة حصون غرناطة الخارجية، حتى لا يصله المدد من النصارى[3]، و لمّا طال الحصار أرسل ابن بلكين إلى أمير المسلمين أموالاً، و أعلمه أنه غير مخالف له، و أنه تحت طاعته، فأرسل الأمير يوسف الفقيه ابن سعدون يقول له " لا طاعة ولا صلح إلا بالخروج إليه، و أنه بأمان في النفس و الأهل دون المال"[4]، كما عَرَضَ عليه أن يختار بلداً آخر لإقامته غير غرناطة[5].

و كانت الأحوال قد ساءت كثيراً في المدينة المحصورة، و أدرك الأمير عبد الله أنه لا سبيل للمقاومة، ففتح أبواب غرناطة أمام الجيش المرابطي مستسلماً للأمير يوسف[6] ، في شهر رجب سنة 483 هـ /1090 م[7]، و حفظ يـــوسف عهده لابن بلكين، بحيث لم يتعرض له و لأهله بأي سوء، ثم أرسله إلى الجزيرة الخضراء و منها إلى سبتة، فمكناسة[8]، ثم أغمات التي استقر بها حتى تُوفي[9].

1- مجهول، **الحلل الموشية**، ص71 .

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص154 ؛ السلاوي، **الإستقصا**، ج2، ص48 .

3- عنان، **دول الطوائف**، ص341.

4- ابن بلكين، **التبيان**، ص149.

5- **نفسه.**

6- اختلفت الروايات في كيفية استيلاء المرابطين على غرناطة، فابن الأثير، و ابن خلكان، و المقري يقولون أنه كان بطريق الغدر والحيلة، و ابن خلدون يقول بأنهم استولوا عليها عُنْوَةً، و في روض القرطاس أن يوسف استولى عليها بالأمان بعد أن حاصرها شهرين، و في الحلل الموشية أن صاحب غرناطة هو الذي سلّمها من تِلْقَاءِ نفسه. (أنظر: أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص98).

7- الضبي، **بغية الملتمس**، ج1، ص64 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج3، ص380.

8- ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص160 وما بعدها .

9- مجهول، **الحلل الموشية**، ص71. (و يختلف كل من ابن الأثير و ابن أبي زرع مع صاحب الحلل الموشية في الموضع الذي استقر به الأمير عبد الله و أهله، حيث يذكرون أنه كان في مراكش). (أنظر: **الكامل**، مج10، ص155 ؛ **روض القرطاس**، ص154).

بعد أن فرغ الأمير يوسف من ضم غرناطة إلى دولته، وجه جيشه نحو مالقة، و فيها تميم ابن بلكين بن باديس شقيق الأمير عبد الله، فقبض عليه، و حُمِّل مكبلاً إلى العدوة، ثم أرسل إلى السوس، ومنها إلى أغمات التي استقر بها رفقة أخيه عبد الله وأهلهما، و يذكر الأمير عبد الله في مذاكراته أن الأمير يوسف عفا عن أخيه تميم، و بالغ في إكرامه، و كـــان معه في عافية و رغد من العيش[1].

و هكذا سقطت إمارة غرناطة في أيدي المرابطين، وتبعتها إمارة مالقة و كان سقوطهما نذير بسقوط جميع دول الطوائف بيد المرابطين.

ب- هزيمة البرهانس والاستيلاء على ممتلكات المعتمد بن عباد:

لّما تمكن الأمير يوسف من الاستيلاء على غرناطة و مالقة، قَدِمَ المعتمد بن عباد والمتوكل بن الأفطس لتهنئته بالنصر، و لكن أمير المسلمين أعرض عنهما و استقبلهما بجفاء[2]، فانصرفا إلى بلادهما خَائِبَيْنِ[3]. و أدرك كل منهما أن النهاية آتية لا ريب فيها، و أن مصيرهما سوف يكون مثل مصير الأمير عبد الله و أخيه تميم، و قال المعتمد لحليفه المتوكل بن الأفطس: " و الله لابد له أن يسقينا من الكأس التي سقى بها عبد الله بن بلكين"[4]. و كان هذا الأخير حسب ما ورد في مذكراته قد حذّر أمراء الطوائف لّمـــا رفضوا نجدته و مســـاعدته لمقـــاومة المـــرابطين

1- ابن بلكين، **التبيان**، ص163.

2- مجهول، **الحلل الموشية**، ص 71- 72 ؛ ابن عذارى، **البيان**، 143/4.

3- أدرك المعتمد بن عباد الندم على استدعاء المرابطين للأندلس، و كانت خيبة أمله كبيرة، حيث رفض الأمير يوسف إعطاءه غرناطة، و تنكر لوعوده التي قطعها معه إثر عبوره الثالث للأندلس، بأن يعطيه غرناطة عِوَضاً عن الجزيرة الخضراء. (أنظر: ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص164- 165 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، 118/2 ؛ دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ص148).

4- ابن عذارى، **المصدر السابق**، ص144.

بأن مصيرهم سوف يكون مثل مصيره، و خاطبهم قائلاً "هذا الأمر مُنجرٌّ إليكم، اليوم بي وغداً بكم"[1].

و لّما عاد المعتمد بن عباد إلى بلاده سارع في عقد تحالف مع ملك قشتالة ألفونسو السادس ضد الأمير يوسف[2]. فاستدعاه هذا الأخير للتشاور فامتنع المعتمد عن اللقاء خوفاً من غدر الأمير يوسف به[3]. و حثه أيضاً على تطبيق أحكام الشرع، و ألاّ يفرض الضرائب المخالفة لتعاليم الإسلام، و أن يرابط على الثغور للدفاع عن أراضي المسلمين[4]. فامتنع ابن عباد عن الإجابة لهذه المطالب، فازداد الأمير يوسف إصراراً على قتاله، خاصة أنه كسب تأييد الفقهاء في هذا الأمر[5].

و لكنه عاد إلى المغرب في شهر رمضان سنة 483هـ/1090م، واستقر بمراكش، و قَدَّمَ على الأندلس قائده سير بن أبي بكر اللمتوني وفَوَّضَ إليه جميع أموره[6]. و بدأ بالاستعداد لضم الأندلس كلها إلى مملكته، وكان يقول في كُلِ مجلس من مجالسه "إنما كان غرضنا من مُلْكِ هذه الجزيرة أن نستنقذها من أيدي الروم لّمـــا رأينا استيلائهم على أكثرهـــا، وغفلة ملوكهم،

1- ابن بلكين، **التبيان**، ص 166.

2- وقعت في يد يوسف بعض الُمراسلات السِرية الموجهة من ابن عباد إلى ملك قشتالة، و ورد ذلك في مذكرات ابن بلكين، حيث نقل عن الأمير يوسف قوله للمعتمد " ظَفِرتُ بِكتبك إلى الرُّومي و إرسالك عنه". (أنظر: ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص169).

3- لعب الوشاة دوراً كبيراً في توتير الأجواء بين الأمير يوسف و المعتمد بن عباد، و يذكر ذلك صاحب روض القرطاس قائلاً " فمشا بينهما الوشاة بالنمائم". (أنظر: ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص145).

4- ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص169. (يبدو لنا جلياً أن الأمير يوسف بن تاشفين لم يشغل بَالِهِ بمحاربة أمراء الطوائف المتعاونين مع العدّو فحسب، بل كان شُغله الشاغل، و هَمَهُ الأول والأخير هو محاربة النصارى و إيقاف زحفهم على بلاد الأندلس).

5- ابن بلكين، **نفس المصدر والصفحة** ؛ شكيب أرسلان: **خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة**، مطبعة المنار، مصر، ط2، 1925م، ص93.

6- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص154.

و إهمالهم للغزو، و تواكلهم، و تخاذلهم، و إيثارهم الراحة"[1].

و شرع أمير المسلمين في إرسال عسكره من سبتة إلى بلاد الأندلس، و سَيَّرَ أربعة فِرق من الجيوش كل واحدة تتوجه إلى مدينة من المدن لفتحها، فأرسل سير بن أبي بكر لمحاصرة ابن عباد في إشبيلية، و متى فتحها يتقدم إلى بلاد ابن الأفطس لفتح حاضرته بطليوس، و قَدَّمَ أبي عبد الله بن محمد بن الحاج على جيش آخر، وأمره بالتقدم نحو قرطبة حيث الفتح بن المعتمد الملقب بالمأمون، و قَدَّمَ أبي زكريا بن واسينو على عسكر ثالث و أمره بمهاجمة المعتصم بن صمادح صاحب المرية، و قَدَّمَ جؤدر الحشمي على عسكر رابع، و أمره بمنازلة يزيد الراضي بن المعتمد في رندة[2]، و أمرهم بالتقدم لتحقيق الأهداف، و بقي في سبتة يترقب نتائج أعمال جيوشه في شبه الجزيرة[3]. و واضح من هذه الخطة العسكرية أن يوسف بن تاشفين، كان يرى في مملكة إشبيلية واسطة عقد الأندلس، و في أميرها المعتمد بن عباد عميد الطوائف[4]، فإذا سقطت في يده إشبيلية كان له ملك الأندلس[5].

و بينما كان المعتمد منهمكاً في تحصين بلاده، ببناء الأسوار ومدّ القنطرة[6]، كان قائد المرابطين سير بن أبي بكر يضع خططه النهائية للانقضاض على قواعد مملكة إشبيلية، و قد بدأ بالاستيلاء على طريف أقصى ثغورهـــا الجنـــوبية ، و ذلك في شوال سنة 483 هــ/ ديسمبر

1- المراكشي، **المعجب**، ص114.

2- معقل حصين بالأندلس من أعمال تَاكُرْنَا، وهي مدينة قديمة على نهر جارٍ، و بها زرع واسع و ضرع سابغ. (أنظر: الحموي، **معجم البلدان**، مج3، ص73).

3- مجهول، **الحلل الموشية**، ص72 ؛ أشباخ، **المرجع السابق**، 99/1 .

4-كان المعتمد في ذلك الحين أعظم أمراء الطوائف شَوْكَةً، و أشهرهم نجدةً. (أنظر: ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص101).

5- عنان، **دول الطوائف**، ص343.

6- مجهول، **الحلل الموشية**، ص72.

1090م، و نادى فيها بدعوة أمير المسلمين[1]، ثم اتجه نحو الشمال قاصداً إشبيلية، التي تحصن بها المعتمد بن عباد[2]، فضرب عليها الحصار، و جرت الحرب بين الفريقين المرابطي و الاشبيلي، و كانت حرب حصار لا قتال، وكان المعتمد يريد من ذلك إنهاك قوى المرابطين بحرب الحصار حتى تأتيه نجدة النصارى فيتمكن من القضاء عليهم، إذ لا طاقة له على مواجهتهم وحده.

ولّما كانت قوات سير بن أبي بكر تحاصر إشبيلية، كانت بقية الجيوش المرابطية تخوض المعارك في جهات متعددة، حيث وصلت قوات جؤدر الحشمي إلى رندة و قامت بحصارها[3]، و كان يضطلع بالدفاع عنها يزيد الراضي، و اضطر القائد المرابطي أن يقنع بالحصار منتظراً سير الحوادث[4]. و أما جيان فقد زحف عليها جيش مرابطي بقيادة بطي بن إسماعيل و ضرب عليها الحصار، و هنا أورد ابن الخطيب أن جيشاً من القشتاليين قَدِمَ لإنجاد جيان تنفيذاً للحلف المعقود بين ابن عباد و ملك قشتالة، و أنه نشبت بين المرابطين و النصارى موقعة هُزم فيها المرابطين. غير أن ابن أبي زرع ذهب إلى عكس ذلك، فلم يتحدث عن معركة نشبت بين الفريقين، و إنما ذكر بأن قائد المرابطين دخل جيان ومَلكها صُلحاً[5]. و كتب القائد سير بن أبي بكر بالفتح إلى أمير المسلمين، و أمر القائد بطي بالسير بقواته إلى قرطبة لمساعدة ابن الحاج وقواته التي كانت تحاصرها، وبها حاكمها الفتح بن المعتمد الملقب بالمـــأمون الذي تحصن بها[6]،

1- ابن بلكين، **التبيان**، ص170 ؛ عنان، **دول الطوائف**، ص344.

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص154.

3- مجهول، **الحلل الموشية**، ص73.

4- عنان، **دول الطوائف**، ص344.

5- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص154.

6- و كان المعتمد حَذِراً على قرطبة، يرجوا بقاء حَالِهِ بثبوتها، و يُوصي ابنه بالصبر، و يقول له لا تجزع فالموت أهوّن من الذُّل، و ليس السُلطان إلا من القصر إلى القبر. (أنظر: ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص170).

و اتخذ كل الأهبات الدفاعية الممكنة و أرسل زوجته و أولاده و أمواله تَحَوُطاً إلى حصن المدور[1]، بعد أن شحنه بالعدة والعدد[2]، لكي تبقى زوجته بمأمن من الخطر و تلوذ عند الضرورة بحماية ملك قشتالة[3].

و الواقع أن قرطبة لم تصمد طويلاً رغم أن أميرها الفتح بن المعتمد أبلى البلاء الحسن في الدفاع عن نفسه و عن المدينة، فقد اضطربت الأحوال داخل المدينة، إذ تآمرت جماعة من العامة مع المرابطين على فتح أبوابها وفق خطة مُحْكَمة[4]. فدخلها المرابطون وقتلوا حاكمها المأمون خلال الهجوم، رفقة الوزيرين ابن زيدون، و ابن بكر[5]، و كان افتتاح المرابطين لقرطبة في الثالث من صفر سنة 484 هـ/26مارس سنة 1091م[6]. و أقام القائد بطي بن إسماعيل فيها وأحكم السيطرة على حصونها، وبعد أن اطمأن إلى أحوالها بعث إلى قلعة رباح قاصية بلاد الأندلس قائداً من لمتونة في ألف فارس فاستولى عليها[7]، و بذلك فُتحت أمامهم طريق قشتالة، وأخذت سرايــاهم تُهدد الأراضي النصرانية، و تابع المرابطون تقدمهم و فتحوا مدينتي بياسة [8]

1- يقع هذا الحصن (Almoduar) جنوب غرب قرطبة على ضفة نهر الوادي الكبير، منه إلى مدينة فرنجولش القربية من قرطبة اثنا عشر ميلاً. (أنظر: الإدريسي، **المصدر السابق**، ص302 ؛ عنان، **دول الطوائف**، ص345).

2- ابن خاقان، **قلائد العقيان**، ص22.

3- عنان، **دول الطوائف**، ص345.

4- ابن خاقان، **المصدر السابق**، ص22.

5- ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص170.

6- الضبي، **بغية الملتمس**، ج1، ص94 ؛ ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص154 ؛ السلاوي، **الإستقصا**، ج2،ص49.

7- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص155.

8- (Baeza) مدينة ذات أسوار، وأسواق ومتاجر مُطِلَة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة، تبعد عن مدينة أبدة في جهة الشرق بسبعة أميال. (أنظر: الإدريسي، **المصدر السابق**، ص296).

و أبدة [1]، و حصن البلاط و المدور، و الصخيرة و شقورة[2]، و تناثرت حصون ابن عباد و دخلها المرابطون ظافرين في أقل من شهر.

وهاجم القائد سير قرمونة (Carmona) واستولى عليها عنوةً يوم السبت 17 ربيع الأول 484هـ/ 10ماي 1091م[3]، وبذلك اقترب المرابطون من طليطلة وهددوها من جديد بعد أن أضحت على مرمى حجر منهم.

ثم تَفَرَغَ سير بن أبي بكر لمحاصرة إشبيلية بعد أن خضعت له أكثر حصون ابن عباد، فأطبق عليها بقوات ضخمة، و لكن المعتمد تأهب للدفاع عن ملكه و حاضرته بكل ما وسع، واستغاث بحليفه ألفونسو السادس ملك قشتالة[4]، و كان هذا الأخير قد اهتز لاجتياح المرابطين لمملكة إشبيلية بهذه السرعة الفائقة، وخاف أن تدور الدائرة على مملكته و يغزوها المرابطون. ولأجل ذلك بادر من فوره بإرسال حملة قوية بقيادة البرهانس أكبر قواده و أبرعهم، لإنجاد ابن عباد بقوات بلغت عشرين ألف فارس، و أربعين ألف رَاجِلٍ[5]. فلمّا علم القائد المرابطي سير بقدوم الروم نحوه جهز حملة من عشرة آلاف فارس بقيادة إبراهيم بن إسحاق اللمتوني، وأمرهم بالمسير لقتال الروم، والتقى الجمعان على مقربة من حصن المُدور، ونشبت بينهما معركة عنيفة، قتلت فيها جموع كبيرة من الفريقين وانتهت بنصر المرابطين و ارتداد القشتاليين[6]، و قد أثخن قائدهم البرهانس جرحاً، وانهار بذلك آخر أمل كان يعلقه ابن عباد على معاونة حلفائه القشتاليين، وقرر الاعتماد على سيفه، و دافع مع جنده عن حاضرتهم أقوى

1- (Ubeda) اسم مدينة بالأندلس من كورة جيان، تُعرف بأبدة العرب اختطها عبد الرحمان بن الحكم بن هشام الأمـــوي، و تمّمها ابنه، و هي مدينة صغيرة على مقربة من النهر الكبير، و لها مزارع، و غلات قمح وشعير كثيرة جداً. (أنظر: الإدريسي، **المصدر السابق**، ص296 ؛ الحموي، **معجم البلدان**، 64/1).

2- (Segura) مدينة من أعمال جيان بالأندلس. (أنظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص349).

3- السلاوي، **الإستقصا**، 49/2.

4- ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 128/7.

5- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص155.

6- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص155 ؛ السلاوي، **الإستقصا**، 49/2.

دفاع، مما أدهش القائد سير فقال "لو أني أقصد مدينة الشرك لم تمتنع هذا الامتناع"[1]، وصمدت المدينة لهجمات المرابطين زهـــاء أربعة أشهر، و قضى المعتمد على الثورة داخل المدينة التي افتعلها جماعة من خصومه[2]، كما استطاع أن يصد دخول المرابطين من فتحة السور عند باب الفرج[3]، لكن الأمل لم يطل كثيراً إذ تمكن المرابطون من إحراق الأسطول الراسي في الواد الكبير، فانهار بذلك خط الدفاع الأول عن المدينة و باتت قاب قوسين أو أدنى من السقوط.

و في تلك الأثناء كان سير بن أبي بكر يحشد قواته وينظم الضربة الأخيرة التي وقعت يوم الأحد 22 رجب 484 هــ/7سبتمبر 1091م[4]، وانتهى المرابطون بالاستيلاء على المدينة، وعلى القصور الملكية، و أسروا المعتمد و آله، وأصدر القائد سير أماناً للمعتمد في النفس و الأهل و الولد[5].

لكن المعارك لم تنته بسقوط العاصمة إشبيلية، و استمرت المقاومة بقيادة وَلَدَي المعتمد، الراضي في رندة و أبي بكر المعتد في مارتلة[6]. و لكنهما استسلما في الأخير بعد أن تعاهدا مع المرابطين بأن لا يتعرضوا لهم بأي مكروه، لكن القواد المرابطين تنكروا للعهود التي أعطوها للمعتمد بشـــأن ولديه، فقد قبض القـــائد جؤدر على الراضي وقتله غيلةً وأخفى جسده[7]، أما

1- ابن بلكين، **التبيان**، ص170.

2- المراكشي، **المعجب**، ص99.

3- و كان المُعتمد بن عباد هو من قام بنفسه للدفاع عن المدينة ولِسَدِ فتحةِ السُور عند بابِ الفرج، وقد أصَابَهُ أحد الفرسان بسهم استطاع أن ينجو منه، و أن يَقْتُلَ ذلك الفارس، ويهزم تِلْكَ الجُموع. (أنظر: المراكشي، **المصدر السابق**، ص99).

4- ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص170 ؛ ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص155. (غير أن ابن بسام في الذخيرة ذَكَرَ أن تاريخ سقوط إشبيلية كان في العشرين من شهر رجب سنة 484هـــ/1091م). (أنظر: ابن بسام، **الذخيرة**، ج2، ص31).

5- ابن الأثير، **الكامل**، مج10، ص190.

6- تقع على نهر بطليوس بجزيرة الأندلس، بينها وبين مدينة شلب مسيرة أربعة أيام. (أنظر: الإدريسي، **المصدر السابق**، ص267 ؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص521).

7- ابن خاقان، **قلائد العقيان**، ص23 ؛ المراكشي، **المصدر السابق**، ص101.

المعتد بالله فأبقى عليه حياً بعد مصادرة جميع أملاكه[1].

ثم قام المرابطون بأخذ المعتمد وأهله إلى المنفى، حيث نُقِلُوا على السفن التي سارت من إشبيلية في نهر الوادي الكبير في طريقها إلى العدوة[2]، فأقاموا في مراكش ثم أمر الأمير يوسف بنقلهم إلى أغمات، أين ألقى بهم في السجن[3]، و بقي المعتمد سجيناً في أغمات إلى أن وافته المنية في شهر ربيع الأول سنة 488هـ/1059م، و دفن بظاهر المدينة[4].

وهكذا سقطت دولة بني عباد واسطة عقود دويلات الطوائف، و انضوت تحت سيادة المرابطين.

ج- الاستيلاء على المرية و بطليوس:

عندما تمكن المرابطون من ضم مملكة بني عباد إلى دولتهم، قرر القائد سير بن أبي بكر الاستيلاء على المرية، التي كان يحكمها المعتصم بن صمادح[5]، فأرسل إليها جيشاً بقيادة أبي زكريا بن واسينو لمحاصرتها وافتتاحها[6]. فحاصر أبو زكريا المدينة فلم تصمد طويلاً، بالرغم من حصـــانتها فقد كان ينقصها الرجـــال المحاربون [7]. و دار القتـــال تحت شرفة القصر، فأصيب

1- ابن الأثير، **الكامل**، مج10، ص190.

2- و قد اجتمع الناس في جموع غفيرة على ضِفتي النهر، لوداع المعتمد بن عباد بالبُكاء والنُواح، حينما شَهِدُوا سيدهم بالأمس تُحيق به أغلال الاعتقال والذِّلة، و يغادر موطن سُلطانه وعزه إلى مصيره المجهول. (أنظر: عنان، **دول الطوائف**، ص356).

3- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص155 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج2، ص117.

4- ابن الأثير، **المصدر السابق**، 190/10 ؛ ابن بسام، **الذخيرة**، 31/2 ؛ المراكشي، **المصدر السابق**، ص102.

5- لم تدم حالة الصفاء بين الأمير يوسف و المعتصم بن صمادح طويلاً، حيث تغير أمير المسلمين عليه بعد تخلفه كسائر أمراء الطوائف أثناء حصار طليطلة، وبدا نِفَاقَهُ وَاضِحاً. (أنظر: ابن بلكين، **التبيان**، ص167).

6- مجهول، **الحلل الموشية**، ص72. (بينما يذكر ابن أبي زرع أن القائد محمد بن عائشة هو من حاصر المرية). (أنظر: ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص155).

7- ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج7، ص123.

المعتصم، وكان عليلاً يعاني مرض موته، و قال كلمته المأثورة "لا إله إلا الله نُغِصَ علينا كل شيء حتى الموت"[1]، ولمّا رأى المعتصم أن نهايته اقتربت أحضر ابنه مُعِز الدولة و أوصاه بأن يلجأ إلى بني حماد في بجاية إذا داهمته الخطوب[2]. و مات بعد ذلك عند طلوع شمس نهار الخميس 22 ربيع الأول 484 هـ/1091م[3]. وانشغل به أهله فسلموا المدينة للمرابطين. ولاَذَ ابنه معز الدولة بالفرار بماله وعياله إلى بجاية حسب وصية والده ولجأ إلى المنصور بن الناصر الحمادي الذي قَرَّبَه وأَحْسَنَ إليه[4]. ودخل المرابطون المرية على الأثر واحتلوها.

شعر المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس عقب استيلاء المرابطين على إشبيلية، أن الدائرة سوف تدور عليه، و تَمَلَكَهُ الخوف من ضياع مملكته، فسارع لإظهار الطاعة للقائد المرابطي سير، حيث كان يلبّي له جميع طلباته، و لكنه كان يتصل سراً بألفونسو السادس للاستعانة به إذا داهمه خطر المرابطين[5].

أخذ سير يتدخل في شؤون بطليوس، حيث بدأ المرابطون الإغارة على أحوازها تمهيداً لبسط سيادتهم عليها، عند ذلك جاهر المتوكل بمحالفة ألفونسو[6]، و هو بذلك يسلك نفس طريق سلفه ابن عباد من قبل، و بذل ابن الأفطس لألفونسو ثمناً لحلفه ومعاونته، حيث تنازل له عن ثلاث مدن مهمة هي أشبونة، شنترين (Santaren)، و شِنترة[7]. و كـــان لهذا التصرف

1- ابن خاقان، **قلائد العقيان**، ص54 ؛ ابن خلكان، **المصدر السابق**، ج5، ص44.

2- ابن بلكين، **التبيان**، ص167- 168.

3- ابن خلكان، **المصدر السابق**، ج5، ص44.

4- و يَذْكُر ابن بلكين أن المنصور الحمادي أكرم مُعز الدولة غاية الكرم، و أَمَنَهُ في ذخائره، و خَيَّرَهُ للسكن في أي منطقة يريد فاختار مدينة تدلس، لأنها على البحر، و ليغيب عن عين السُلطان، خوفاً من الطلب. (أنظر: ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص168 ؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج10، ص192- 193).

5- ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص172.

6- ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص187 ؛ عنان، **دول الطوائف**، ص368.

7- من مدائن أشبونة (Lisbon) بالأندلس، على مقربة من البحر بينهما قدر ميل، و لها حصنان في غاية المنعة، و يغشاها ضباب دائم لا ينقطع، و هي صحيحة الهواء. (أنظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص347).

وَقْعٌ سيءٌ لدى القـــائد المرابطي سير، الذي ازدادت رغبته في القضـــاء على ابن الأفطس، وجلب له هذا العمل أيضاً سخط الرعية التي أظهرت تضامناً مع المرابطين[1].

فأرسل سير بن أبي بكر جيشاً استولى على شلب[2] و يابرة[3]، و تابع سيره إلى العاصمة بطليوس، و اجتاز هذا الجيش أثناء زحفه مروج بطليوس حيث بطحاء الزّلاقة[4]، و استمر في المسير إلى أن وصل إلى بطليوس و ضرب عليها الحصار، و لم يتمكن ملك قشتالة من تقديم أية معونة لحليفه و اضطر ابن الأفطس أن يمتنع بقصبة بطليوس المنيعة، لكن المرابطين اقتحموها بمساعدة أهلها الناقمين على ملكهم، و دخلوها في صفر سنة 487 هـ/1094م[5]، و ألقوا القبض على المتوكل و ولديه الفضل والعباس، و استولوا على أموالهم، ثم أمر سير بإخراجهم من المدينة حيث أُعدموا جميعاً[6]، و حُمِلَ أولادُهُ الصغار إلى مراكش[7]، و لم ينج من الأَسر إلا ابنه المنصور الذي استطاع الهرب والتحق بالنصارى و صار في تعداد جيوشهم يهاجم بلاد الأندلس المسلمة انتقاماً لوالده و إخوته[8].

1- أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص105.

Abd Allah Laroui , **op.cit**, p155.

2- مدينة بِغَرْبَي الأندلس، و هي قـــاعدة ولاية أشكونية، بينها وبين باجة ثلاثة أيام، و شنترين بينهما خمسة أيام، وبينها وبين قرطبة عشرة أيام للفارس المجدّ. (أنظر: الحموي، **معجم البلدان**، 357/3).

3- (Evora) مدينة قديمة من كُوَرِ باجة (Beja) بالأندلس. (أنظر: الحميري، **المصدر السابق**، ص615).

4-كانت لا تزال غاصة بعظام النصارى الذين سقطوا قتلى فيها و لم يُدفنوا، ممّا أثار الحمـــاس في الجيش المرابطي الذاهب لإنقاذ المسلمين من خيانة ملكهم و غطرسة أعدائهم. (أنظر: أشباخ، **المرجع السابق**، ص105/1).

5- يذكر ابن بلكين أن أهـــل بطليـــوس اتفقـــوا مع الأمير المرابطي سير بن أبي بكر و فتحـــوا له أبواب المدينة ليـــلاً. (أنظر: **التبيان**، ص147).

6- ابن الأثير، **الكامل**، مج10، ص193 ؛ ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، 102 ؛ ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص187.

7- ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 123/7.

8- ابن بلكين، **المصدر السابق**، ص173.

و تابع سير تقدمه نحو ثغر أشبونة الذي سلمه المتوكل للنصارى، و كانت به حامية نصرانية بقيادة ريمون البرجوني صِهر ألفونسو السادس، و استطاع بعد قتال عنيف أن يسترد الثغر و يعيده إلى سيادة الإسلام و ذلك عام 487 هـ/1094م، و فتح كذلك شنترين[1].

و هكذا انتهت مملكة بطليوس بعد أن عاشت في ظل بني الأفطس خمسة و سبعين عاماً، و تمّ للمرابطين فتح غربي الأندلس كله[2].

4 - معارك شرق الأندلس.

أ- الاستيلاء على مرسية ودانية:

كان إقليم شرق الأندلس موضع الشدّ و الجذب بين المسلمين والمسيحيين، فقد وجد المرابطون صعوبات جمة إثر محاولتهم الاستيلاء عليه، مقارنة بسهولة استحواذهم على أقاليم غرب الأندلس[3]، إذ عادت الرغبة لدى النصارى في الاستيلاء على هذا الجزء المسلم من الجزيرة، حيث اشتدت هجماتهم على مدن و حصون و معاقل المسلمين خصوصا مدن مرسية، و دانية[4]، و بلنسية و سرقسطة.

و لم يقف الأمير يوسف بن تاشفين إزاء هذه الأوضاع موقف المتفرج، فتهيأ لمدافعة ولصد خطر النصـــارى من جهة، و منـــاجزة أمراء الطوائف المتخاذلين من جهة أخرى، فعيّن

1- سعدون نصر الله، **المرجع السابق**، ص284.

2- علي حسين الشطشاط: **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ص41.

3- و يرجع ذلك إلى شِدَة وطأة الضغط المسيحي على شرق الأندلس حيث لم يتوقف تحرش النصارى بالمسلمين على الدوام، و عان المسلمون هناك الأمرّين خاصة في مدن الثغور كسرقسطة و بلنسية. (أنظر: سعد زغلول عبد الحميد، **المرجع السابق**، ج4، ص351).

4- (Dania) مدينة على البحر عامرة حسنة، عليها سُور حصين، و لها قصبة مَنيعة جداً، و عِمارتها مُتصلة، و هي دار لصناعة السفن. (أنظر: الإدريسي، **المصدر السابق**، ص282).

لأجل ذلك ابنه محمداً والياً على شرق الأندلس[1]. فاتجه نحو مرسية والتقى بالنصارى وهزمهم و ذلك في شوال سنة 484 هـ/أكتوبر سنة 1091م[2]، و ملك المرابطون مدينة نبرة قبل ذلك في شهر شعبان سنة 484 هـ/ 1091م[3]، ثم استولوا في العام التالي على دانية وشاطبة[4].

ب- هزيمة السيد القمبيطور والاستيلاء على بلنسية:

لمّا تمكن محمد ابن عائشة من الاستيلاء على مدينة مرسية و أحوازها، أصبح المرابطون على مقربة من مدينة بلنسية، فاستغل الوضع قاضي بلنسية ابن جحاف[5] و أهل الحل والعقد من أعيان المدينة، و قاموا باستدعاء قائد المرابطين ابن عائشة لكي يُخلصهم من استبداد السيد القمبيطور و حليفه القادر بن ذي النون[6]، مقابل أن يُسَلِمَ له البلد سراً [7].

1- ابن الكردبوس، **المصدر السابق**، ص101.

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص155.

3- **نفسه**.

4- ابن الكردبوس، **المصدر السابق**، ص103. (شاطبة (Jativa) مدينة بالأندلس قريبة من جزيرة شَقَر، جليلةً، مُتقنة، حصينة، لها قصبتان مُمتنعتان، وهي كريمة البُقعة، طيبة الهواء. (أنظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص337).

5- هو أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن جحاف المعافري حَكم بلنسية ما يقرب من عامين، و كانت نهايته مأساوية حيث أمر السيد القمبيطور بإحرَاقِهِ بعد سنة من استيلائه على بلنسية سنة 487هـ/1094م. (أنظر: ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص126 ؛ ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص31 وما بعدها).

6- آلت بلنسية إلى القادر بن ذي النون تعويضاً له على استسلامه في طليطلة، و تخليه عنها لألفونسو السادس سنة 487هـ/1085م. كان القادر حليفاً لألفونسو، و السيد القمبيطور على السواء، وكان هذا الأخير يفرض عليه جزية عظيمة مقدارها 120 ألف دينار سنوياً مقابل حماية بلنسية. (أنظر: شكيب أرسلان، **الحلل السندسية**، ج3، ص56).

7- عنان، **دول الطوائف**، ص241.

فاستجاب ابن عائشة لدعوة القاضي ابن جحاف، و بعث سَرِيَةً من الجُند المرابطين تحت إمرة القائد أبي ناصر إلى بلنسية، فحاول ابن الفرج[1] القبض على القاضي ابن جحاف، ومنع المرابطين من دخول المدينة، ولكن العامة حالت دون ذلك و فتحت الأبواب للقوات المرابطية، التي تمكنت من القضاء على ابن الفرج، والقادر بن ذي النون يوم الجمعة السابع من رمضان سنة485هـ/12 أكتوبر1092م[2]. و استولى ابن جحاف على ذخائر وأموال عظيمة كان يحتفظ بها القادر في قصره[3]، وتولى الرئاسة بعد أن بايعه أهل بلنسية، وحاول أن يعيد سيرة القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد في إشبيلية، فكان يجلس مُحاطاً بالوزراء والفقهاء والزعماء، و يركب في موكب يتقدمه العبيد والجُند، فكأنه أمير جديد من أمراء الطوائف[4].

وعندما علم السيد القمبيطور بسقوط بلنسية في يد القاضي ابن جحاف و حلفائه المرابطين ثارت ثائرته، وزحف في الحال بقواته صوب بلنسية، وقبل وصوله إليها امتنعت عليه بلدة سيبولة (Cebolla)[5] ، فكتب إلى ابن جحاف يطلب منه أطعمته المختزنة عنده ببلنسية، وأقسم بأغلظ الأيمان أن لا يبرح بلنسية حتى يظفر به و يأخذ ثأر ابن ذي النون منه، وشرع في حصار المدينة بعد أن انضم إليه أنصار ابن ذي النون و وصلته الأقوات من سائر الحصون المجـاورة[6] ، و بعد أن أحرق ما حول بلنسية من الضِياع و المروج استولى على معظم الأنحـاء

1- هو أحد عُملاء السيد القمبيطور في مدينة بلنسية، يعتمد عليه السيد في ضبط أمور الحكم رُفقة القادر بن ذي النون. (أنظر: شكيب أرسلان، **الحلل السندسية** ، 57/3).

2- ابن عذارى، **البيان**، 31/4.

3- و كان مصير القادر القتل، و التنكيل بجثته، حيث حُمِّلَ رأسه على عصاً، و طِيفَ به في الشوارع والأسواق. (ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج4، ص32).

4- ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج4، ص32. (ويَذْكُرُ صاحب الذخيرة أن القاضي ابن جحاف كان لا يَفقه في الأمور السياسية الشيء الكثير، حيث قال " ودُفع ابن جحاف إلى النظر في أمور سُلطانية لم يتقدم قبل في غوامض حقائقها، وإلى ركوب أساليب سياسية لم يكن له عهد باقتحام مَضايقها). (أنظر: ابن بسام: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، مج1، القسم الثالث، دار الثقافة، بيروت، 1417 هـ/1997م، ص97).

5- شكيب أرسلان، **المرجع السابق**، ج3، ص58.

6- أَمَّدَ أهل الحصون للسيد القمبيطور بالأقوات اتقاءً لشره. (ابن عذارى، **المصدر السابق**، 32/4).

القريبة من المدينة[1].

و كان ابن جحاف إذ ذاك يُعِدُ العُدة لمقاومة حملات السيد القمبيطور على أحواز المدينة، حيث أنشأ فِرْقَةً من ثلاثة مئة فارس من المرابطين وغيرهم[2]، استطاعت صد هجوم النصارى و إكراههم على التراجع، و لكنهم عاودوا الهجوم و حاصروا المدينة[3].

وممّا زاد الأمور تعقيداً على القاضي ابن جحاف ظهور خلاف بينه وبين قائد المرابطين أبي ناصر، فاستغل السيد هذا الوضع و كتب إلى ابن جحاف يدعوه للتمرد على المرابطين، و يأمره بإخراجهم من بلنسية مُقابل أن يُعينه على تملكها، و أن يدافع عنه و يحميه من تطاول أعدائه[4]. فأظهر ابن جحاف الارتياح إلى ما عرضه السيد[5]، لكن عندما عظم البلاء على بلنسية سنة 486هـ/1093م و اشتد الحال على أهلها، استصرخ القاضي ابن جحاف أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لإيقاف زحف السيد عليها. و كعادته لبّى أمير المسلمين نداء الاستغاثة و أمر قواده و عماله في بلاد الأندلس بنصر أهل بلنسية، فتلاحقت جموع المسلمين بشاطبة و قاد هذه الجموع الأمير أبو بكر بن إبراهيم، و استبشر أهل بلنسية بقدوم هذه الجيوش لإنقاذهم، و لكن حدث ما لم يكن في الحسبان حيث تراجعت قوات المرابطين مطلع سنة 487هـ/ 1094م وامتنعت عن مواجهة العدو، فتحوّل أمل الفرج عند المُحَاصَرين وراء الأسوار إلى يأس[6].

1- ابن بسام، **المصدر السابق**، مج1، ص97 ؛ عنان، **دول الطوائف**، ص241.

2- ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص32.

3- ابن الكردبوس، **المصدر السابق**، ص103. (غير أن ابن عذارى يقول أن جيش النصارى أثخن في قُوات ابن جحاف، و أصاب منهم القتلى و الجرحى). (أنظر: ابن عذارى، **المصدر السابق**، 32/4).

4- ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج4، ص33.

5- شكيب أرسلان، **الحلل السندسية**، ج3، ص58.

6- ابن عذارى، **البيان**، 33/4. (خَلَّفَ تراجع قوات المرابطين بقيادة الأمير أبي بكر بن إبراهيم من بلنسية، و عدم مواجهتها لقوات العدّو بقيادة القمبيطور، استغراباً كبيراً لدى المؤرخين، فيرى الأستاذ سعد زغلول عبد الحميد أنه يرجع إلى ظهور مخاوف لدى القـــائد المرابطي في مواجهة جيوش العدّو المُنظمة، حيث قسم السيد القمبيطور جيشه إلى فرقتين حتى تسهّل =

و اشتدت بذلك شوكة العدّو، ونُكِّلَ بأهل المدينة المُحَاصَرَة شر تنكيلٍ، حيث هلك أكثر الناس جوعاً و اضطروا لأكل الجلود والدواب وغير ذلك، فلما انتهوا من الصبر إلى الغاية القصوى طلبوا الصلح مع السيد القمبيطور[1]، الذي قَبِلَهُ بشروط أهمها أن يغادر المرابطون المدينة آمنين، وأن يعطي ابن جحاف إلى السيد ثمن ما كان مودعاً بمخازنه من المؤن وقت مقتل القادر، وأن تُؤَدَّى له الجزية التي تمّ الاتفاق عليها سابقاً، وأن تبقى ضاحية الكدية بيد السيد، وأن يرابط جيشه في جبالة[2]، و هكذا عُقدت شروط التسليم، و عادت بلنسية بمقتضاها بلداً خاضعاً يؤدي الجزية مثلما كانت عليه أيام القادر بن ذي النون[3].

و لكن السيد سرعان ما نقض عُهوده، و أخذ يُغِيرُ مع جنده على أطراف المدينة، ويرهق ابن جحاف بمطالبه المالية، حيث طلب منه أن يسلم له كل موارد المدينة، وأن يقدم إليه ابنه كرهينة لضمان عدم تمرده، فرفض القاضي هذه المطالب واختار القتال حتى الموت وأغلق أبواب المدينة، و كتب إلى ابن عائشة قائد المرابطين يستغيث به، وكذلك إلى المستعين بن هود[4]، وحتى إلى ألفـــونسو السادس[5]. و لكن لم تصله أية مســـاعدة، حيث لم يتمكن الجيش

= المناورة. و أرى خِلاف ذلك، و يبدو أن سبب الانسحاب يعود إلى قلة الجيوش المجتمعة لدى القائد المرابطي، فرأى أن الظرف غير مناسب لقتال جيوش السيد القمبيطور الكثيرة العدد والعُدة، فتراجع لطلب المَدَدَ، و مَزِيدٌ من القوات، و سيرورة الأحداث بينت أن جيوش المرابطين كانت دائماً السباقة لقتال العدّو، حيث لم تتخلف عن الذهاب لنجدة بلنسية عندما اختار القاضي ابن جحاف مواجهة قوات السيد القمبيطور، غير أن هذه الجيوش لم تصل إلى أسوار المدينة لرداءة الطقس، وكثرة الأوحال في الطُرقات والمسالك. (أنظر: سعد زغلول عبد الحميد، **المرجع السابق**، ج4، ص357).

1- ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج4، ص34.

2- عنان، **دول الطوائف**، ص242.

3- **نفسه** .

4- يَذْكر ابن عذارى، وصاحب الحِلل السُندسية، أن أهل بلنسية أرغموا القاضي ابن جحاف على مفاوضة النصارى، فأرسل أحد الفقهاء إلى السيد القمبيطور، واتفق معه على أن يرسل أهل بلنسية رُسُلاً إلى ملك سرقسطة، وإلى قائد المرابطين يلتمسون منهم النجدة، فإذا لم تردهم نجدة في مدة خمسة عشر يوماً يُسَلِمُونَ المدينة للسيد مع بقاء ابن جحاف آمناً في نفسه وماله و جميع أهله، وألاّ يُقيم السيد بنفسه في البلدة. (أنظر: ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج4، ص39 ؛ شكيب أرسلان، **الحلل السندسية**، ج3، ص60-61).

5- عنان، **المرجع السابق**، ص243.

المرابطي من بلوغ أسوار المدينة لرداءة الطقس، و لِتَمَاطل ابن هود في تقديم يد العون؛ فَخَلَتْ بذلك الأجواء للسيد القمبيطور الذي شدّد الحصار على المدينة، فساءت أحوالها و اشتدت الأزمة داخلها[1]. و بعد حصار دام عشرين شهراً سُلمت المدينة للسيد في شهر جمادى الأولى سنة 487 هــ/1094م[2]، وأمر جنوده بعدم الاعتداء على المسلمين، و لكنه سرعان ما نقض ذلك حيث ألحق بهم ضرراً كبيراً، كما نقض وعده مع ابن جحاف واعتقله و صادر منه جميع ذخائر القادر بن ذي النون،ثم أمر بإعدامه حرقاً بالنار في جمادى الأولى سنة 488هــ / 1095م[3]، و ارتفع ابن جحاف رغم مساوئه إلى مرتبة الشهداء الأبرار[4].

و قد أثار سقوط بلنسية موجة عارمة من السخط قي بلاد المغرب و الأندلس، و عمّ الحزن سائر بلاد المسلمين، و عاد إلى الأذهان يوم سقوط طليطلة[5].

1- يُشير ابن عذارى في البيان إلى أن مدينة بلنسية في شهر جُمادى الأولى من سنة 487هــ/1094م، قبل أيامٍ من سُقوطها، عَمَّهَا الغلاء، و عَظُمَ فيها البلاء، حيث بلغ رطل القمح ثلاثة مثاقيل، و بيضة دجاجة بثمانية دراهم. (أنظر: ابن عذارى، **المصدر السابق**، 39/4).

2- ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص126 ؛ ابن الكردبوس، **المصدر السابق**، ص103 ؛ حسين مؤنس: **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين و سقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512هــ/118م، مع أربع وثائق جديدة**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1413هــ/ 1992م، ص6.

3- ابن الأبار، **الحلة السيراء**، 126/2. (يَذْكُر المؤرخون سبب إحراقه، بأن القاضي ابن جحاف أخفى بعض الدخائر التي كانت للقادر بن ذي النون، و كان قد أقسم أنها ليست عنده، و عندما وجدها السيد القمبيطور عنده انتقم منه بإحراقه. و كان يُرِيدُ إحراق أهلِهِ و أبنائه أيضاً، فضج لذلك المُسلمون والرُّوم معاً، وتَضَرَعُوا إليه بأن يتركهم إذْ لا ذَنْبَ لهم، فأسعفهم بعد جُهدٍ شَدِيدٍ. (أنظر: ابن بسام، **الذخيرة**، مج1، ص98 ؛ المقري، **المصدر السابق**، ج4، ص455).

4- حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص309. (عن عملية إحراق القاضي ابن جحاف، و مأساته المؤثرة). (أنظر: ابن بسام، **الذخيرة**، مج1، ص99 ؛ ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص126).

5- و في حال بلنسية الذي يبعث الحزن و الأسى يقول أبو إسحاق ابن خفاجة في ديوانه:

عَاثَتْ بِسَاحَتِكَ العِــــدَا يا دَارُ ومَحَا مَحَاسِنَكِ البَلَى والنّــارُ

فإذا تردَّدَ في جَنَابكِ نـَــاظِــرٌ طَالَ اعتِبَار فِيكِ واسْتِعْبَــارُ

أرضٌ تَقَــاذَفَت الخُطوبُ بأهلِهَا وتَمَخَضَتْ بِخَــرَابِهَا الأَقْدَارُ=

و كان الأمير يوسف بن تاشفين يراقب الأوضاع عن كثب، فلم يهنأ له بال حتى أنفذ جيشاً بقيادة ابن أخيه محمد بن تاشفين لاسترجاع بلنسية، و تخليصها من يد السيد القمبيطور، و اتجه هذا الجيـــش صوب مرسية التي وصلهـــا في شهر شعبـــان سنة 487 هـــ/ 1094م، و وصلت أنباء قدوم الجيش المرابطي إلى الرّوم، فشددوا الخناق على أهل بلنسية، وكانوا يهددونهم بالقتل إن وُجِدَ عند أحدهم آلات الحديد[1].

اقترب جيش المرابطين شيئاً فشيئاً من مدينة بلنسية، وفي شهر رمضان (أكتوبر) من نفس السنة انضم إلى جيش محمد بن تاشفين قوات أندلسية من لاردة[2] بقيادة صاحبها تأييد الدولة، ومن طرطوشة[3] بقيادة سيد الدولة، ومن شنتمرية[4] بقيادة حسام الدولة، ومن البونت بقيادة نظام الدولة[5]، كما انضمت قوات أخرى من باقي مناطق الأندلس، وشرعت هذه القوات في الهجوم على بلنسية و لكنها صمدت أمام ضرباتهم لشدة مناعتها، فضرب محمد بن تاشفين عليها الحصار، و لم تمض أيام حتى خرج السيد بقواته على حين غفلة و فاجأ المعسكر الإسلامي فأوقع فيه الاضطراب و الذعر و تمكن من نهب مَحلته و قتل عدد كبير من المسلمين،

= كَتَبَتْ يَدُ الحَدَثَانِ في عَرَصَـــاتِهَا لا أنتِ أنتِ ولا الدِيَارُ دِيـــَارُ

(أنظر: ابن بسام، **الذخيرة**، مج1، ص100 ؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص97 ؛ المقري، **نفح الطيب**، مج4، 455).

1- و يُشِيرُ ابن عِذارى إلى أن الناس تخلصت حتى من الإبر والمَسَامِيرُ، و وضَعُوهَا في بَابِ القصر، كي يَسْلَمُوا من بَطْشِ جُنود السيد القمبيطور، ولا يتهموا باستخدام هذه الأدوات في صُنْعِ الأسلحة. (أنظر: **البيان**، ج4، ص40).

2- (Larida) مَدِينَةٌ مشهورة بالأندلس، تَقَعُ شرق قرطبة، على نهر كبير، ولها أسوار منيعة، ينسب إلى كورتها عدة مدن وحصون. (أنظر: الحموي، **معجم البلدان**، مج5، ص7 ؛ الإدريسي، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**، ص278- 279).

3- بينها وبين بلنسية مسيرة أربعة أيام، وهي في سَفَحِ جَبَلٍ، ولها سُورٌ حصينٌ، و بها أسواق وعمارات وضِياع، بينها وبين البحر الشامي عِشرون ميلاً. (أنظر: الإدريسي، **المصدر السابق**، ص279 ؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص391).

4- (Santa Maria) مدينة في الأندلس من مدن اكشونبة، و مُعظمها على البحر الأعظم، وهي مدينة مُتوسطة القدر حسنة الترتيب، بها المراكب واردة، وصادرة، وهي كثيرة الأعناب والتين. (أنظر: الحميري، **المصدر السابق**، ص347).

5- يُعَلِّقُ ابن عذارى على هذه الألقاب التي اتخذها هؤلاء الأمراء قائلاً " و كانت أفعالهم ضد ألقابهم". (أنظر: **البيان**، ج4، ص40).

ثم عاد و تحصن داخل المدينة[1].

و استمر حصار المسلمين لبلنسية و تجددت المعارك بين المرابطين و القشتاليين في أحوازها، فَكُلَمَا انتهت معركة بدأت أخرى، وكان هذا دأبهم لمدة طويلة، و قد تلقى السيد ضربة موجعة إثر مقتل ابنه الوحيد دييغو[2](Diego) في معركة كنشرة (Consugra) سنة 490 هـ/1097م، و قد نشبت هذه المعركة بين الجيش المرابطي بقيادة محمد بن الحاج، وقوات ألفونسو السادس التي تلقت هزيمة قاسية ارتدت على إثرها إلى طليطلة التي حاصرها المرابطون أياماً عدة، ثم انصرفوا عنها، و سُرَ الأمير يوسف بهذا النصر[3].

كما هُزِمَ في نفس الوقت البرهانس عند أحواز كونكة[4]، و أوقع ابن عائشة بفرقة من جيش السيد القمبيطور عند جزيرة شقر[5]. فاستطاع المرابطون طوال هذه الفترة أن يحدوا من نشاطه في أحواز بلنسية، و استمرت أحوال بلنسية وشرق الأندلس على هذه الحال إلى غاية وفاة السيد القمبيطور عام 492 هـ/1099م[6]. فقـامت زوجته شيمان بالدفاع عن المدينة، و استطاعت أن تصمد فيها أمام هجمـات المرابطين زهاء عامين آخرين [7]. و لمّا عظم الخطب

1- ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص40.

2- ابن الكردبوس، **المصدر السابق**، ص108، هامش 1.

3- ابن الكردبوس، **نفس المصدر والصفحة** ؛ ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص187 ؛ أحمد مختار العبادي: **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، منشأة المعارف الإسكندرية، ط1، 2000م، ص110.

4- (Cuenca) من كُوَر تدمير بالأندلس، منها إلى وبذة خمسة وثلاثون مرحلة، و منها إلى جنجالة مسيرة يومين. (أنظر: الإدريسي، **المصدر السابق**، ص286-287).

5- تقع شرق الأندلس تبعد عن بلنسية ثمانية عشر ميلاً، و عن شاطبة اثنا عشر ميلاً، و هي على نهر شقر حَسَنَةُ البِقاع كثيرة الأشجار والثمار والأنهار. (أنظر: الإدريسي، **المصدر السابق**، ص281 ؛ الحموي، **معجم البلدان**، مج3، ص354).

6- أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص115.

7- عنان، **دول الطوائف**، ص248.

ببلنسية استنجد النصارى بألفونسو السادس، الذي جاء لنجدتهم و أقام في المدينة شهراً و أنصاره يُهَوِنُونَ عليه أمر قدوم المرابطين[1].

و كان الأمير يوسف بن تاشفين قد جهز جيشاً بقيادة الأمير مزدلي، و بعثه لاسترجاع بلنسية من أيدي النصارى[2]، فنزل القائد المرابطي قرب المدينة و أخذ يُعِدُ العُدة للهجوم عليها، وفي تلك الأثناء خرج ألفونسو السادس من بلنسية و اتجه نحو قلييرة[3] و عاث في أحوازها، فتجهز الأمير مزدلي لمواجهته، والتقى الجيشان و دارت بينهما معركة طاحنة، عامة النهار، و عند المغرب أخذ ألفونسو في الانسحاب نحو بلنسية، بعد أن رأى صرامة و قوة و عزم الجيش المرابطي على تحقيق النصر، و أدرك عدم جدوى المقاومة فقام بإخلاء المدينة من جميع الروم، وأضرم النار في الجامع و القصر و بعض الدُور[4]. و دخل الأمير مزدلي بلنسية في شهر رمضان سنة 495 هـــ/1102م[5]. و عاد بذلك الثغر العظيم إلى حظيرة الإسلام، و عاد السلم يُخَيِمُ على تلك الربوع، وانهار باختفاء السيد القمبيطور أكبر عامل في بث الروع و الاضطراب في شرق الأندلس[6].

و بالاستيلاء على بلنسية انتظم أمر الأندلس جميعاً و أصبح في يد المرابطين، و لم يبق خارج سلطة الأمير يوسف بن تاشفين غير إمارة سرقسطة التي يحكمها المستعين أحمد بن هود[7]. وقد سارع هذا الأخير للاتصـــال بالأمير يوسف لخطب وده وإعلان الهدنة معه، حيث

1- ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص42.

2- ابن بسام، **الذخيرة**، مج1، ص101.

3- مدينة تقع جنوب بلنسية، بها ميناء صغير. (أنظر: الإدريسي، **المصدر السابق**،ص286، هامش 209).

4- ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج4، ص42.

5- ابن بسام، **المصدر السابق**، 101/1. (لكن ابن عذارى يذكر أن استرداد المرابطون لبلنسية كان في شهر رجب سنة 495هـــ/1102م). (أنظر: **البيان**، 42/4).

6- عنان، **دول الطوائف**، ص248 .

7- مجهول، **الحلل الموشية**، ص73.

بعث إليه سفارة برئاسة ابنه عماد الدولة أبي مروان عبد الملك و وزيريه أبي الأصبع و أبي عامر، و لّما وصل الرُسل استقبلهم الأمير يوسف و أكرمهم غاية الإكرام، لأنهم أعلنوا ولاءهم للمرابطين و عداءهم للنصارى، و يظهر ذلك من خلال الكتاب الذي أرسله ابن هود للأمير يوسف حيث قال له"نحن بينكم و بين العدو سَدٌ لا يصل إليكم منه ضرر، منا عين تطرق، و قد قنعنا بمسالمتكم، فاقنعوا منا بها، إلى ما نُعينكم به من نفيس الذخائر" [1].

و من جهته رد الأمير يوسف برسالة إلى المستعين بن هود[2]، يعلن فيها موافقته على عقد السلم معه، و يحثه على التمسك بوحدة الصف لأجل رد عدوان النصارى و إيقاف زحفهم المتواصل على بلاد الأندلس. و قد أرسل الأمير يوسف سنة 495 هــ/1102م بعد وصول سفارة ابن هود القائد أبي محمد عبد الله بن فاطمة بجيش كثيف من ألف و خمسمائة فارس لحماية الثغور، و للقضاء على تحرشات النصارى[3].

II- العبور الرابع و تنظيم شؤون الأندلس.

1- أسباب العبور الرابع:

بعد أن تمكن المرابطون من القضاء على السيد القمبيطور و الاستيلاء على بلنسية وأحوازها، و إعلان صاحب سرقسطة المستعين بن هود انضمامه إلى كَنَفِ الدولة المرابطية، أصبحت بلاد الأندلس بأسرها تحت لواء واحد هو لواء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين؛ هذا الأخير أدرك تمام الإدراك أن هذه البلاد الواسعة الأرجاء بحاجة إلى من يُدِيرُ شؤونها أحسن إدارة، لأنها مـــازالت في حـــالة غير مستقرة، حيث لم تندمل بعد مخلفـــات القضاء على أمراء

1- مجهول، **الحلل الموشية**، ص 74- 75.

2- عن نص الرسالة. (أنظر: **الملحق رقم9**، ص145).

3- ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص42.

الطـــوائف، و كذلك لتربص العدو النصراني بها. و لأجل ذلك قرر الأمير يوسف العبور إلى بلاد الأندلس للمرة الرابعة و الأخيرة سنة 496 هـــ/1103م[1]، كما أنه أراد بعبوره هذا أن يضع أُسُساً ثابتة لدولته الجديدة التي أَلَّفت بين المغرب و الأندلس[2].

و يذكر صاحب الحلل الموشية أن الأمير يوسف عبر إلى الأندلس بِرَسْمِ التجول فيها والنظر في مصالحها[3]، و قد اصطحب معه ابنيه الأميرين أبي طاهر تميم، وأبي الحسن علي[4]. و لمّا جال في بلادها و تطوّف في أقطـــــارها، شَبَهَهَا بِعُقَابٍ رأسه طليطلة و منقاره قلعة رباح وصدره جيان و مخالبه غرناطة و جناحه الأيمن بلاد الغرب و جناحه الأيسر بلاد الشرق[5].

و بعد أن وقف الأمير يوسف على حسن سير الإدارة في الولايات، و شكر القادة و الولاة على حرصهم في تنفيذ أوامره[6]، قصد إلى قرطبة لينجز المهمة التي قدم في الواقع من أجلها إلى الأندلس، و هي أَخْذُ البيعة لِوَلَدِهِ أبي الحسن علي[7].

1- مجهول، **الحلل الموشية**، ص77. (يتفق ابن أبي زرع مع صاحب الحلل الموشية في أن عبور الأمير يوسف إلى بلاد الأندلس للمرة الرابعة كان سنة 496هــ/1103م، إلاّ أن ابن خلدون يخالفهما في ذلك، و يقول بأن جوازه الرابع كان سنة 497هــ/1104م. و نرى أن الرأي الأول هو الأقرب إلى الحقيقة، و هذا بالنظر إلى سيرورة الأحداث أثناء تلك الفترة، حيث تذكر أغلب المصادر أن يوسف أخذ البيعة لولده علي في قرطبة سنة 496هــ/1103م. (أنظر: ابن أبي زرع، **الروض القرطاس**، ص156 ؛ ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص188).

2- حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين**، ص321.

3- مجهول، **الحلل الموشة**، ص77.

4- **نفسه.**

5- مجهول، **الحلل الموشية**، ص78. (عن حدود دولة المرابطين في الأندلس. أنظر: **خريطة رقم 3**، ص150).

6- أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص117.

7- يَذْكُرُ صاحب الحلل الموشية أن أبا الحسن علي كان أصغر إخوته سِناً، إلا أن أباه الأمير يوسف آثره بولاية عهده، و هذا لأنـــه يتقد ذكـــاءً و نُبْـــلاً. و قد قـــال فيه أحد الشُـــعراء الأندلسيين كلامـــاً نبه فيه عن مجـــده و شرفـــه =

2- مبايعة علي بالإمارة:

جمع الأمير يوسف جميع أمراء لمتونة، و أشياخ البلاد و فقهاءها، و رؤساء الأندلس[1] في مدينة قرطبة[2]، و أخذ البيعة منهم جميعاً لولده علي، و ذلك في شهر ذي الحجة سنة 496هـ/1103م[3]. و أمر كل هؤلاء المجتمعين بأن يؤدوا إليه يمين الولاء و الطاعة باعتباره أميرهم مستقبلاً [4].

و كان يوسف قد آثر ولده علياً بولاية العهد، لِمَا آنسه فيه من الورع والنباهة والحزم[5]، و لكونه أكثر أهلية للاضطلاع بجليل الأمور و خطيرها[6]. و لكن ألزمه من أجـل تقديمه لولاية

= و إنْ كانَ في الأَسْنَانِ يُحْسَبُ ثانياً علــيٌّ فَفِــي العَلْيــَاءِ يُحْسَبُ أولاَ

كَذَلِــكُمُ الأَيْــدِي سَوَاء بَنَانِهَــا و تختصُ فِيــهِنَ الخَنــَاصِرُ بالحُــلاَ

(أنظر: **الحلل الموشية**، ص77- 78).

1- وقد حضر البيعة من بين أمراء الأندلس عبد الملك بن المستعين بن هود صاحب سرقسطة، و أحضر معه هديةً جليلةً أرسلها والده للأمير يوسف. (أنظر: ابن عذارى، **البيان**، 43/4) .

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص156 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج2، ص521. (غير أن ابن عذارى يذكر بأن اجتماع الأمير يوسف و هؤلاء المشايخ و الرؤساء لِعَهْدِ البيعة لولده علي كان بمدينة غرناطة). (أنظر: **البيان**، ج4، ص42- 43). (ويبدوا أن الرأي الأول الذي يقول بأن الاجتماع كان بقرطبة، هو الأقرب للحقيقة، لكونها عاصمة الخلافة القديمة، و لها قُدسية واحترام في نفوس المسلمين، لذلك فضلها الأمير يوسف على غيرها من مدن الأندلس لعقد هذا الأمر الهام).

3- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص156. (يذكر صاحب الحلل الموشية أن نص ولاية العهد كتبه الوزير الفقيه أبو محمد عبد الغفور، غير أن ابن الخطيب في الإحاطة يقول أن من كتب نص ولاية العهد هو الوزير أبو بكر بن القصيرة). (أنظر: مجهول، **الحلل الموشية**، ص78- 79 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج2، ص518).

4- يذكر ابن الخطيب في الإحاطة، أن كل الحاضرين لعَقْدِ البيعة بايعوا الأمير علي بالسَمْعِ، و الطاعة، و بذل النصيحة جُهد الاستطاعة، و بمحاربة من يُحاربه، و مُناصفة من يناصفه. (أنظر: ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج2، ص520).

5- عنان، **دول الطوائف**، ص372.

6- أشباخ، **المرجع السابق**، ج1، ص118. (ويُشير المراكشي أن الأمير علي، جرى على سُنَنِ أبيه يوسف في إيثار الجِهاد، و إخافة العدّو و حماية البلاد). (أنظر: **المعجب**، ص121).

العهد مجموعة من الشروط من أهمها ترتيب سبعة عشر ألف فارس موزعة على قواعد الأندلس، يكون منها بإشبيلية سبعة آلاف فارس، و بقرطبة ألف فارس، و بغرناطة ألف فارس، و أربعة آلاف فارس في شرق الأندلس، و باقي العدد يوزع على ثغور المسلمين للمرابطة في الحصون المجاورة للعدّو[1].

كما أنفذ الأمير يوسف وصية لولده علي قُبَيْلَ وفاته، بها ثلاثة بنود، الأول أن لا يُهَيّجَ أهل جبل درن و من وراءه من المصامدة و أهل القبلة[2]، والثاني أن يُهَادِنَ بني هود أمراء سرقسطة و أن يتركهم حائلاً بينه و بين النصارى[3]، و الثـــالث أن يَقْبَلْ من مُحسن أهل قرطبة و يتجاوز عن مُسيئهم[4] .

و أصدر الأمير يوسف أوامره بأن يُنقش اسم ولي عهده إلى جانب اسمه على السِكة. فصدرت النقود تحمل في إحدى وجهيها "لا إله إلا الله، الأمير علي بن الأمير يوسف بن تاشفين"، و ظل اسمه يُكتب على السِكة إلى جانب اسم أبيه من سنة 497هـــ/1104م إلى سنة 500هـــ/1106م[5]، و كذلك أمر بالدعوة له على المنابر في خطب الجمعة[6].

1- مجهول، **الحلل الموشية**، ص80. (و يظهر جلياً أن الأمير يوسف بن تاشفين كان مُهْتَمـــاً كثيراً بحماية الثُغـــور، وجهاد العدّو النصراني، و إيقاف زحفه على بلاد الأندلس، لهذا أنفذ هذا الشرط الهام لولده علي المتمثل في إعداد جيش ضخم بالأندلس و توزيعه للمرابطة على الثغور في جميع أنحاء الأندلس).

2- أَهْلُ القِبْلَة أي أهل جنوب الغرب، و هو اصطلاح شامي جُلب إلى المغرب و طُبِقَ فيه، ذلك أن قِبْلَةُ أهل الشام إلى الجنوب. (أنظر: مجهول، **الحلل الموشية**، ص83، هامش 72).

3- يُشير ابن الأثير إلى أن أمير المسلمين يوسف قال لولده علي بشأن بني هود " أتركهم بينك وبين العدّو، فإنهم شُجعان". (أنظر: ابن الأثير، **الكامل**، مج 10، ص119).

4- مجهول، **الحلل المؤشية**، ص82- 83. (ويقول أشباخ في هذا الشأن أن الأمير يوسف أوصى ولده علي بمعاملة أهل قرطبة باللّين و الرِفْقِ، لكونهم معروفين بالكِبَر و حُب الشغب). (أشباخ، **المرجع السابق**، 119/1).

5- حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 346-347.

6- إبراهيم حركات، **النظام السياسي و الحربي في عهد المرابطين**، ص81.

3- معارك العبور الرابع:

عَبَرَ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى الأندلس من أجل تنظيم أمور الحكم، و تفقد أحوال البلاد و العباد، و عقد البيعة لولده علي[1]. ولكنه لم ينس المهمة السامية التي كان دائماً يحرص على القيام بها، ألا و هي حرب العدو النصراني و إيقاف تهديده لبلاد المسلمين، فاتخذ جوازه هذه المرة أيضاً طابع الجهاد[2]، فكان حريصاً أشد الحرص على تجهيز الجيوش للمرابطة على الثغور مع العدو[3]، و مطاردة فُلُولِهِ المرتدة إلى معاقلها و حصونها في طليطلة و أحوازها.

فقد جَهَّزَ الأمير يوسف بعد ضم بلنسية جيشاً اتجه نحو الحصون الواقعة في شرق الأندلس، فاستولوا على مُرِبيطَر[4]، و المنارة، و السهلة، و سقطت البونت[5] في أيديهم عام 496 هـ/1103م[6].

و تَابَعَ المرابطون تقدمهم نحو الشمال واستولوا على مدينة شنتمرية في الثامن من رجب سنة 497 هـ/أفريل1104م، إثر وفـاة أميرها عبد الملك بن رزين[7]، الذي أعلن قُبَيْلَ وفاته

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص156 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، مج2، ص518.

2- عنان، **دول الطوائف**، ص371.

3- أشرنا سابقاً إلى أن الأمير يوسف اشترط على ولده علي ترتيب جيش قوامه سبعة عشر ألف فارس، و توزيعه على مختلف مناطق و أقطار بلاد الأندلس لحراسة الثغور. (أنظر: مجهول، **الحلل الموشية**، ص80).

4- مدينة بالأندلس قريبة من طرطوشة (Tortosa)، لها حصن على جبل، بينها و بين بلنسية 21 كيلومترا إلى الشمال. (أنظر: الحموي، **معجم البلدان**، مج5، ص99 ؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص540).

5- هي قرية من أعمال بلنسية، على مقربة من شنتمرية الشرق (Santa Maria de Albarracin)، و إلى الجنوب الشرقي منها، تقع في وسط الطريق بين قسطلونة و قونقة (Ceuenca). (أنظر: الحميري، **المصدر السابق**، ص115).

6- عنان، **دول الطوائف**، ص 262 .

7- هو عبد الملك بن هذيل بن خلف بن لب بن رزين، بربري الأصل، ذو الرياستين حسام الدولة، خلف أباه في حكم شنتمرية يوم وفاته سنة 436 هـ/1044 م، و طالت أيامه، استمر في إمارته إلى أن توفي سنة 497 هـ/1104م. (أنظر: ابن عذارى، **البيان**، ج4، ص43 ؛ الزركلي، **الأعلام**، مج4، ج4، ص165- 166).

طاعته للأمير يوسف، و لكن المرابطين خلعوا ابنه يحيى الذي خلفه في الحكم و ضموا شنتمرية لملكهم[1].

كما بعث الأمير يوسف سنة497 هــ/1104م أيضاً واليه في غرناطة القائد علي بن الحاج على رأس جيش إلى شرق الأندلس، فوصل الجيش في شهر صفر و أقام هناك يحرص ثغور المدينة و حصونها، إلى غاية شهر رمضان حين سمع بخبر إغارة ألفونسو السادس على مدينة سالم[2]، فتوجه إليها بجيش كثيف و في طريقه التقى بقلعة أيوب[3] القائد الأعلى أبي محمد عبد الله بن فاطمة، فقرر القائدين مُتابعة العدو نحو طليطلة لاستئصال شوكته، وفي الطريق حدثت مناوشات كثيرة بين الجيشين المرابطي و القشتالي خاصة في مدينة طلبيرة، انتهت إحدى هذه المناوشات بين الفريقين بوفاة قائد غرناطة الأمير علي بن الحاج[4]، فانفض اللقاء بين الفريقين وعاد جيش المرابطين إلى معاقله[5]، و قد استطاع رغم وفاة قائده من تهديد طليطلة و نَشْرِ الرُعب في صفوف النصارى.

و في أواخر عام 498هـــ/1104م انتشر خبر مرض أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في كامل بلاد الأندلس، فانتهز ألفونسو السادس الفرصة للزحف من جديد على بلاد الأندلس[6]، حيث جَهَّزَ جيشاً في زَهَاءِ ثلاثة آلاف و خمسمائة فارس ، فتوغلوا في منطقة إشبيلية

1- ابن عذارى، **البيان**، 43/4.

2- (Medinaceli) مدينة جليلة، كبيرة القُطر، كثيرة العمارات و البساتين و الجَنات، منها إلى مدينة وادي الحجارة شرقاً خمسون ميلاً، تبعد عن شنتمرية بأربع مراحل. (أنظر: الإدريسي، **المصدر السابق**، ص277).

3- (Calatayub) مدينة قلعة أيوب، مدينة رائقة البُقعة، حصينة شديدة المِنعة، بهية الأقطار، كثيرة الأشجار و الثمار، منها إلى مدينة سالم خمسون ميلاً شرقاً. (أنظر: الإدريسي، **المصدر السابق**، ص277).

4- يذكر ابن عذارى أن الأمير علي بن الحاج وُجِدَ ميتاً بكامل سِلاحه و دِرعه، لا أثر فيه لضربة واحدة، و قد دُفِنَ في تطيلة مدينة الثغر الأعلى. (أنظر: **البيان**، ج4، ص44).

5- ابن عذارى، **المصدر السابق**، 44/4 ؛ سعد زغلول عبد الحميد، **المرجع السابق**، ج4، ص368 .

6- يُشير ابن عذارى إلى أن ألفونسو السادس كان يعتقد أثناء مرض الأمير يوسف بأن بِلاد المسلمين قد اضطربت أحوالها و خَلت من الرجال، ومن الحُماة، وذوي النجدة. (أنظر: **البيان**، ج4، ص44).

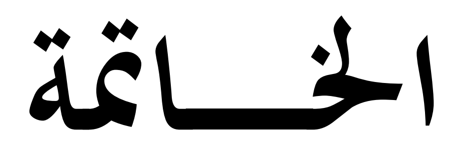
حتى وصلوا إلى موضع يعرف بمَقَاطِع، فغنموا من تلك القرى الغنائم الموفورة و الأسلاب الكثيرة. و لكن الأمير سير بن أبي بكر كان يراقب الأوضاع عن كثب، حيث تحصن في أحد الحصون هناك حتى وصلته الإمدادات من غرناطة بقيادة أبي عبد الله بن الحاج، فخاض جنوده معركة مع جيش ألفونسو السادس، و ألحقوا به هزيمة نكراء، و كادوا يستأصلون جميع جيشه، حيث قُتل منهم ألفاً و خمسمائة فارس، و عاد البقية مَهْزُومِينَ إلى بلادهم[1].

و في الأخير نقول أن الأمير يوسف بن تاشفين استطاع خلال عبوره الثالث لبلاد الأندلس أن يقوم بمهمتين رئسيتين، الأولى تتمثل في القضاء على أمراء الطوائف الذين ثبتت خيانتهم للعيان، و الثانية تتمثل في محاربة القوى النصرانية التي مازالت تهدد بلاد الأندلس بالسقوط مُستغلةً الشقاق الذي وقع بين أمراء الطوائف و المرابطين، فكانت تشن الغارات على أراضي المسلمين من حين إلى آخر، و قد تصدى الأمير يوسف لهذه الغارات و حدثت بين المرابطين و النصارى معارك عديدة انتهت أغلبها بانهزام النصارى و تراجع قواتها إلى الوراء.

و في جوازه الرابع إلى بلاد الأندلس و التي أصبحت جُزْءاً من دولته، قام الأمير يوسف بأعمال جليلة لا تقل أهمية عن الأعمال التي قام بها خلال عبوره الثالث، حيث قام بتفقد أحوال الإدارة و بتنظيم شُؤونها، كما قام بعقد البيعة لولده أبي الحسن علي و هذا لأجل الحفاظ على استقرار أمور الحكم بعد وفاته.

و عَمِلَ الأمير يوسف في هذه الفترة على تحصين الثغور، و جهز لذلك جيشاً كبيراً، و قد خاض هذا الجيش معارك عديدة مع العدو النصراني، استطاع فيها صده و إيقاف زحفه على بلاد الأندلس.

1- ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج4، ص44- 45 .



تمكن المرابطون في مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي) من إقامة دولة وحدت كافة قبائل صنهاجة في جنوب بلاد المغرب الأقصى، و قد نشأت هذه الدولة بفضل دعوة دينية حملت لواء الجهاد في سبيل الله و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و قد انتشرت هذه الدعوة بفضل رجال كَرَّسُوا حياهم في سبيل خدمة الدين و محاربة البدع و الضلال، من بينهم الفقيه عبد الله بن ياسين الذي أنشأ لهذا الغرض رباطاً قام فيه بإعداد رجال حَمَلُوا المشعل بعده، منهم الأميرين أبا بكر بن عمر و يوسف بن تاشفين.

وقد كان لهذا الأخير دور فعّال في إقامة صرح الدولة المرابطية، حيث أتمّ فتح المغرب الأقصى بعد أن قضى على قبائل زناتة، و برغواطة، و سائر قبائل المصامدة، و فتح الجزء الغربي من المغرب الأوسط و استولى على معظم مدنه: تلمسان و وهران والشلف، و وصلت حدود مملكته جنوباً إلى أطراف مملكة غانة.

وكان الأمير يوسف قبل استكماله الفتوحات قد أنشأ عاصمة لدولته، حيث بنىّ مدينة مراكش و جعلها قاعدةً تنطلق منها فتوحاته و غزواته. و خَتَمَ أَعْمَالِهِ الجليلة بإعلانه الولاء للخلافة العباسية ببغداد، و تَلَقُبِهِ بأمير المسلمين وناصرُ الدين، و أعطى بذلك الصبغة الشرعية لحكمه، حيث أذعن له الجميع بالطاعة و الولاء و ذاع صيته في كافة أرجاء العالم الإسلامي.

وقد وصلت أخبار الأمير يوسف بن تاشفين إلى بلاد الأندلس التي كانت تعاني الانقسام والاضطراب والضعف زمن أمراء الطوائف، الذين انشغلوا بالترف واللهو و الصراع بين بعضهم البعض. فسهّل على النصارى التكالب عليهم، والاستيلاء على بعض حصونهم وقلاعهم و مدنهم القريبة من الثغور. و حدث أن استولوا سنة 478هـ/1085م على إحدى أعظم مدن الأندلس ألا وهي مدينة طليطلة، فدقّ المسلمون ناقوس الخطر، و عَظُمَ الخَطْبُ عليهم، و أصبحت شبه الجزيرة الأندلسية قاب قوسين أو أدنى من السقوط، فأسرع أهلها إلى طلب النجدة من الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين، و قد سارع هذا الأمير بدون تردد لنجدة إخوانه بالأندلس.

و عَبَرَ أمير المسلمين يوسف إلى بلاد الأندلس جاعلاً هدفه الأسمى محاربة النصارى، و قد استنفر لذلك كافة جيوشه في سائر أنحاء دولته، و قام بضمها إلى سائر قوات أمراء الطوائف بالأندلس، و قاد هذه القوات جميعاً لإحراز نصر باهر على ملك النصارى ألفونسو السادس في

معركة الزّلاقة سنة 479هـ/1086م. فتنفس أهل الأندلس الصُعداء، و كان هذا النصر بالنسبة للأمير يوسف بمثابة التصدي الأول لزحف النصارى على بلاد الأندلس.

وعاد الأمير يوسف لصد زحف النصارى مرة أخرى في شرق الأندلس، في عبوره الثاني سنة 481هـ/ 1088م حيث قام بحصار حصن لييط و استرجعه من أيدي النصارى و خلّص أهل شرق الأندلس من عدوانهم.

و كان عبور الأمير يوسف الثالث إلى الأندلس سنة 483هـ/1090م ، و قام هذه المرة بالقضاء على أمراء الطوائف الذين ثبتت خيانتهم للمسلمين و تعاونهم مع النصارى، فضمّ دُولهم إلى دولته، و تصدى مرة أخرى للصليبيين في العديد من المعارك جنوب و غرب وشرق الأندلس، و خرج في أغلبها منتصراً، و أعظم انتصار حققه في تلك الفترة هو استرجاع مدينة بلنسية للمسلمين سنة 495هـ/1102م، و إلحاق الهزيمة بالسيد القمبيطور الذي كان يهدد مدن شرق الأندلس.

كما تطرقت الدراسة للعبور الرابع و الأخير لأمير المسلمين يوسف إلى الأندلس سنة 496 هـ/ 1103م، و مختلف الأعمال التي قام بها، كتنظيم أمور الحكم، و مبايعة ابنه علي بالإمارة بعده، و وصيته له بجعل الجيوش على الثغور مع النصارى لإيقاف زحفهم على الأندلس. و قام الأمير يوسف خلال هذا العبور كعادته بالتصدي للنصارى فخاض معارك عديدة أرغم خلالها القوى النصرانية بالتراجع إلى معاقلها و حصونها، و التحصن بمدنها.

لقد توّصلت هذه الرسالة في الأخير إلى حقيقة يُقِّرُ بها العدو قبل الصديق، تتمثل في أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قام بدور كبير من أجل التصدي للعدوان النصراني و إيقاف زحفه على بلاد الأندلس، بتحقيق انتصارات متتالية عليه جعلته يَعُودُ أدراجه إلى بلاده خائباً، وقد استمرت خيبة الجيوش النصرانية رُفقة قادتهم كألفونسو السادس و السيد القمبيطور والبرهانس و غيرهم، طيلة تواجد الأمير يوسف بن تاشفين في بلاد الأندلس، الذي استطاع أن يؤخر سقوطها في أيدي النصارى مدة أربعة قرون أخرى. حيث اقتفى أثره من جاء بعده في محاربة النصارى، و قد سلك ولده علي الذي خلفه في الحكم نفس المسلك و انتهج نفس المنهج.

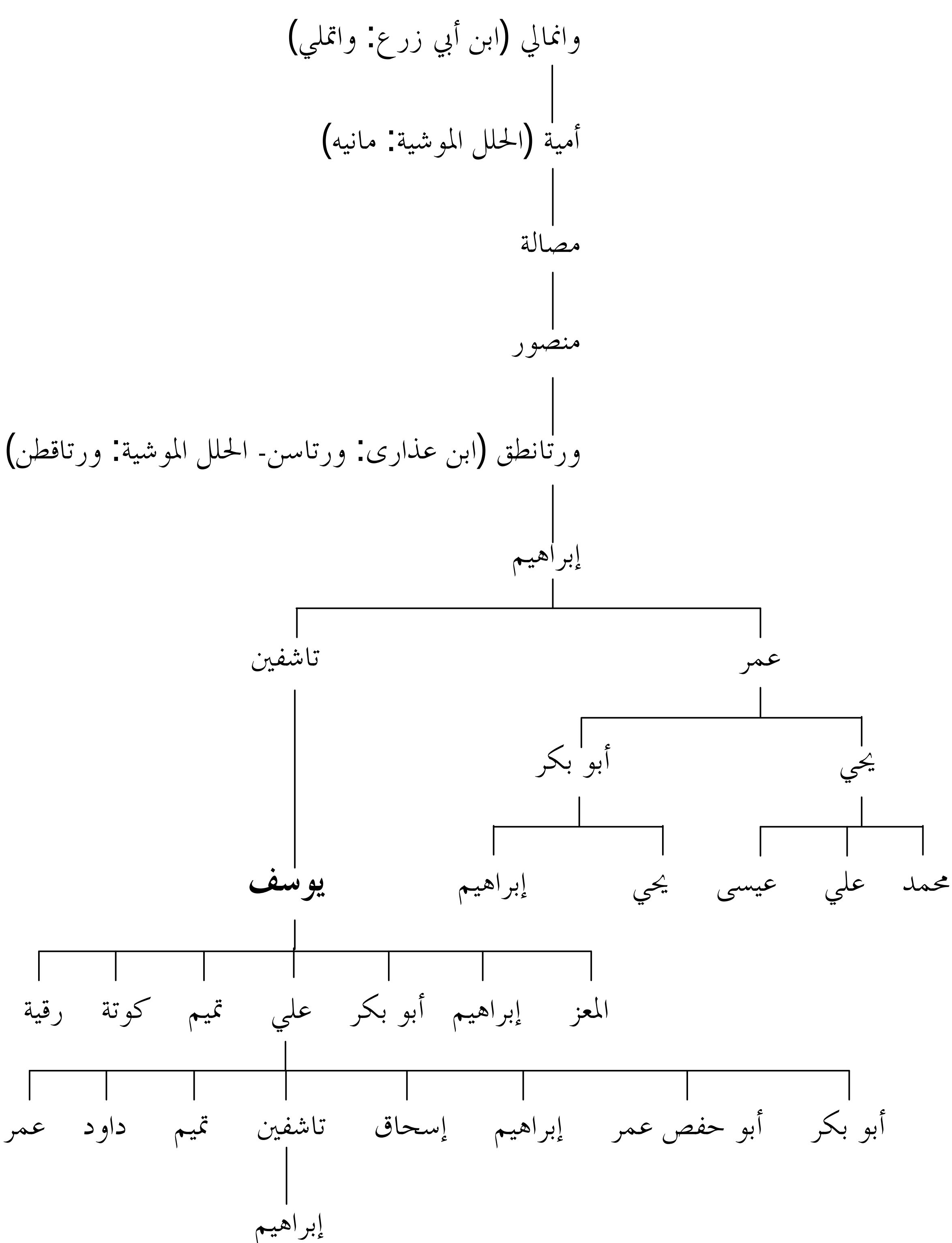
و نستنتج أيضاً من خلال هذا البحث أن إتحاد المسلمين يُعطيهم قوة، و تصارعهم يُضعفهم، و يُمَكِّنَ عدوهم منهم. فالتحالف الذي حدث بين العُدْوَتَينِ المغرب و الأندلس، وجمع دويلات الطوائف مع المرابطين بقيادة الأمير يوسف بن تاشفين، حقق بفضله المسلمون انتصارات باهرة على أعدائهم، مثل نصر الزّلاقة، و استرجاع حصن لييط. و تَشَتُتُ وحدة المسلمين، يُؤدي بالضرورة إلى ضُعْفِ قِوَاهُم، و بالتالي تقع بلادهم فريسة في أيدي أعدائهم، وقد عاشت بلاد الأندلس هذا الوضع بعد أن شغل أمراء الطوائف أنفسهم بحرب بعضهم البعض، فَسَهَّلَ على النصارى الاستيلاء على مدنهم و أراضيهم، و خير دليل على ذلك سقوط مدينة طليطلة، و لولا تدارك المرابطين بقيادة الأمير يوسف بن تاشفين للوضع، لأدّى إلى ضياع كافة بلاد الأندلس بعد مدة زمنية يسيرة من سقوط هذه المدينة.

و من الأمور التي تؤدي إلى سقوط بلاد المسلمين في أيدي الأعداء أيضاً، ظهور تعاون بعض المسلمين مع أعدائهم، وحدث ذلك في عهد أمراء الطوائف بالأندلس، الذين ثَبَتَ خيانة بعضهم للعيان، فَتَمَكَنَ النصارى إثر ذلك من الاستيلاء على الكثير من أراضيهم ومدنهم، و لحسن الحظ أن الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين كان بالمرصاد و تصدى لهؤلاء الأمراء المتخاذلين، و للنصارى، وتَمَكَنَ من استرجاع الكثير من المدن مثل مدينة بلنسية لملك المسلمين.

الملاحـــق

الملحق رقم 1:

شجرة نسب بيت تاشفين



ابن أبي زرع، **الروض القرطاس**، ص136 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج4، ص17- 18؛ مجهول، **الحلل الموشية**، ص24.

الملحق رقم 2 :

رسالة المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس للأمير يوسف يصور له محنة الأندلس و يستنصره:

لمّا كان نور الهدى- أيدك الله- دليلك، و سبيل الخير سبيلك، و وضحت في الصلاح معالمك، و وقفت على الجهاد عزائمك، و صح العلم بأنك لدولة الإسلام أعز ناصر، و على غزو الشرك أقدر قادر، وجب أن تُستدعى، لمّا أعضل الداء، و تُستغاث فيما أحاط بالجزيرة من البلاء.

فقد كانت طوائف العدّو تَطِيفُ بها عند إفراط تسلطها و اعتدائها، و شدة ظُلمها و استشرائها، تلاطف بالاحتيال، و تستنزل بالأموال، و يخرج لها من كل ذخيرة، و تسترضى بكل خطيرة.

و لم يزل دأبها التشطط و العناد، و دأبها الإذعان و الانقياد، حتى نفذ الطارف و التلاد، وأتى على الظاهر و الباطن النفاذ، و أيقنوا الآن بضعف المنن، و قويت أطماعهم في افتتاح المدن، و أضرمت في كل جهة نارهم، ورويت من دماء المسلمين أسنتهم و شفارهم، و من أخطأه القتل منهم، فإنّما هُمْ في أيديهم أسارى و سبايا يمتحنونهم بأنواع المحن و البلايا، و قد هموا بما أرادوه من التوثب، و أشرفوا على ما أملوه من التغلب، فيا لله، و يا للمسلمين، أيسطوا هكذا بالحق الإفك، و يغلب التوحيد الشرك، و يظهر على الإيمان الكفر، و لا يكشف هذه البلية إلا النصر.

ألا ناصراً لهذا الدّين المهتضم، ألا حامياً لِمَا أستبيح من حمى الحرم ؟ و إنّا لله على ما لحق عبيد، من ثَكَلٍ، و عزه من ذل، فإنها الرزية التي ليس فيها عزاء، و البلية التي ليس مثلها بلاء.

و من قبل هذا ما كنت خاطبتك، أعزك الله بالنازلة في مدينة قورية، أعادها الله للإسلام، و أنها مؤذنة للجزيرة بالخلاء، و لمن فيها من المسلمين بالجلاء، ثم مازال ذلك التخاذل و التدابر يتزايد، حتى تخلطت القضية، و ضاعفت البلية، و تحصلت بيد العدّو مدينة سرية، وعليها قلعة تجاوزت حد القلاع في التحصن و الامتناع، و هي من المدينة كنقطة الدائرة،

تدركها من جميع الجهات، دائرة بنواحيها، و يستوي في فئ الأرض بها قاصيها و دانيها، و ما هو إلا نفس خافق، و رمق زاهق، استولى عليه عدّو مشترك، و طاغية منافق، إن لم تُدركوها بجماعتكم عِجَالاً، و تبادروا رُكْبَاناً و رِجَالاً، و تنفروا نحوها خِفافاً و ثِقالاً، و ما أحضكم على الجهاد بما في كتاب الله، فإنكم له أتلى، و لا بما في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنكم إلى معرفته أهدى، و في كتابي هذا (الذي يحمله إليكم) الشيخ الفقيه الواعظ (مسائل مجملة) يفصلها و يشرحها، و مشتمل على نكت هو يبينها لكم و يوضحها، فإنه- لمّا توجه نحوك احتساباً، و تكلف المشقة إليك طالباً ثواباً- عولت على بيانه، و وثقت بفصاحة لسانه، و السلام.

مجهول، **الحلل الموشية**، ص33 و ما بعدها.

الملحق رقم3 :

خطـــاب الأذفنش إلى المعتمد بن عباد يطلب منه تسليم أعمـــاله إلى رُسله و عُماله:

من القمبيطور ذي المِلّتَيْنِ، المَلك المفضل، الأذفنش بن شانجة، إلى المعتمد بالله سدد الله آراءه، و بَصَّرَهُ مقاصد الرشاد: سلام عليك، من مُشيّد مُلْكٍ شرفته القنا، و نبتت في ربعه المنى، فاعتز اعتزاز الرمح بعامله، و السيف بساعد حامله، و قد أبصرتم ما نزل بطليطلة و أقطارها، و ما صار بأهلها حين حصارها، فأسلمتم إخوانكم، و عطّلتم بالدِّعَةِ زمانكم، و الحذر مَن أيقظ باله، قبل الوقوع في الحبالة، و لولا عهد سلف بيننا نحفظ ذِمامه، و نسعى بنور الوفاء أمامه، لنهض بنا نحوكم ناهض العزم و رائده، و وصل رسول الغزو و وارده، لكن الإنذار يقطع الأعذار، و لا يعجل إلا من يخاف الفَوْتَ فيما يرومه، أو يخشى الغلبة على ما يسومه، و قد حملنا الرسالة إليكم القرمط ألبرهانس، و عنده من التسديد الذي يلقى به أمثالك، و العقل الذي يُدبر به بلادك و رجالك، ممّا أوجب استنابته فيما يدق و يجل، و فيما يصلح لا فيما يخل و أنت عندما تأتيه من آرائك، و النظر بعد هذا من ورائك، و السلام عليك، يسعى بيمينك و بين يديك.

مجهول، **الحلل الموشية**، ص38-39.

الملحق رقم 4:

رد المعتمد بن عباد عن رسالة الأذفنش بن فرديناند بن شانجة:

من الملك المنصور بفضل الله، المعتمد على الله محمد بن المعتضد بالله، أبي عمرو بن عباد، إلى الطاغية الباغية أذفنش بن شانجة، الذي لقب نفسه بملك الملوك، و سماها بذي المِلَّتَيْنِ قطع الله دعواه.

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإنه أول ما نبدأ به من دعواه، أنه ((ذُو المِلَّتَيْنِ)) والمسلمون أحق بهذا الاسم، لأن الذي تملكوه من أمصار البلاد، و عظيم الاستعداد، و مجبى المملكة، لا تملكه قدرتكم، و لا تعرفه مِلّتكم، و إنما كانت سنة سعد أيقظ منها مناديك، و أغفل عن النظر السديد جميل مباديك، فركبنا مركب عجز نسخه الكيّس، و عاطيناك كؤوس دعة، قلت في أثنائها : ليس، و لا تستحي أن تأمر بتسليم البلاد لرجالك، و إنا لنعجب من استعمالك برأي لم تحكم أنحاؤه، ولا حسن انتحاؤه، و إعجابك بصنع وافقتك فيه الأقدار، واغترت بنفسك أسوأ الاغترار، أما تعلم أنا في العدد و العديد، والنظر السديد، ولدينا من كماة الفرسان، و جيل الإنسان، وحُماة الشُجعان، يوم يلتقي الجمعان، رجال تدرعوا الصبر، و كرهوا الكِبَر، تسيل نفوسهم على حد الشفار، وتنعاهم الهمام في القفار، يديرون رحى المنون بحركات العزائم، و يشفون من خبط الجنون بخواتم العزائم، قد أعدوا لك و لقومك جلاداً، رتبه الاتفاق، و شفاراً حداداً شحذها الاصفاق، و قد يأتي المحبوب من المكروه، و الندم من عجلة الشروه، نبهت من غفلة طال زمانها، و أيقضت من نومة تجدد أمانها، و متى كانت لأسلافك الأقدمين مع أسلافنا الأكرمين يد صاعدة، أو وقفة متساعدة، إلا ذل تعلم مقداره، وتتحقق مثاره، و الذي جرأك على طلب مالا تدركه قوم كالحمر: ((لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ))[1]، ظنوا المعاقل تعقل، والدول لا تنتقل، و كان بيننا و بينك من المسالمة، ما أوجب القعود عن نصرهم، و تدبير أمرهم، و نسأل الله سبحانه المغفرة فيما أتيناه في أنفسنا و فيهم، من ترك الحزم، وإسلامهم لأعاديهم، و الحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيخك و تقريعك، بما الموت

دونه، و بالله نستعين عليك، و لا نستبطئ في مسيرتنا إليك، والله ينصر دينه الكريم: ((وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ))[2]، و السلام على من علم الحق فاتبعه، و اجتنب الباطل و خدعه.

1-سورة **الحشر**، الآية 14.

2- سورة **التوبة**، الآية32.

مجهول، **الحلل الموشية**، ص 39 و ما بعدها.

الملحق رقم5 :

رسالة الأذفنش للأمير يوسف يتوعده بالهزيمة في حالة عبوره لنجدة إخوانه بالأندلس:

من أمير المِلَّتَيْنِ أذفنش بن فرديناند إلى الأمير يوسف بن تاشفين.

أما بعد فلا خفاء على ذي عينين أنك أمير المِلَّة المسلمة، كما أنا أمير الملَّة النصرانية. و لم يخف عليكم ما عليه رؤساؤكم بالأندلس من التَّخاذل، و التواكل، و إهمال الرعية، و الإخلاد إلى الراحة، و أنا أسومهم سوء الخسْف، و أضرب الدّيار، و أهتك الأستار، و أقتل الشبان، و أسبى الولدان، و لا عذر لك في التَّخلّف عن نُصرهم، إن أمكنتك قُدرة. هذا و أنتم تعتقدون، أن الله تبارك و تعالى، فرض على كل منكم، قتال عشرة منا، ثم خفَّف عنكم فجعل على كل واحد منكم، قتال اثنين منا، فإن قتلاكم في الجنة، و قتلانا في النار، و نحن نعتقد أن الله أظهرنا بكم، و أعاننا عليكم، إذ لا تقدرون دِفَاعاً، و لا تستطيعون امتناعاً. و بلغنا عنك أنك في الاحتفال على نيَّة الإقبال، فلا أدري أن كان الحين يبطئ بك من المراكب لأجوز إليك، و أُناجزك في أحب البِقاع، فإن غلبتني، فتلك غنيمة جاءت إليك، و نعمة مَثَلَتْ بين يديك. و إن غلبتك، كانت لي اليدُ العُليا، واستكملتُ الإمارة. و الله يتمُّ الإرادة.

ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج4، ص351.

الملحق رقم 6 :

خطاب المعتمد بن عباد للأمير يوسف يطلب منه العبور للأندلس لنجدته من عدوان الأذفنش:

بسم الله الرحمان الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه و سلم تسليماً.

إلى حضرة الإمام، أمير المسلمين، و ناصرُ الدين، مُحي دعوة الخليفة، الإمام أمير المسلمين، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين.

من القائم بعظيم إكبارها، الشاكر لإجلالها، المُعظم لِمَا عظم الله من كريم مِقدارها، اللائذ بحرمها، المنقطع إلى سمو مجدها، المستجير بالله، و بطولها محمد بن عباد.

سلام الله الكريم يخص الحضرة العلية، المعظمة السامية، و رحمة الله و بركاته.

و كتب المنقطع إلى كريم سلطانها من إشبيلية غرة جمادى الأولى سنة تسع و سبعين و أربعمائة، و أنه أيد الله أمير المسلمين، و نصر به الدين، إنا نحن العرب في هذه الأندلس، قد تلفت قبائلنا، و تفرق جمعنا، و تغيرت أنسابنا، بقطع المادة عنا من مُعيننا، فصرنا شعوباً لا قبائل، و أشتاتاً لا قرابة و لا عشائر، فَقَلَّ ناصرنا، و كثر شامتنا، و تولى علينا هذا العدّو المجرم اللّعين أذفنش، و أناخ علينا بِكَلْكَلِهِ، و وطئنا بقدمه، و أسر المسلمين، و أخذ البلاد و القلاع و الحصون، و نحن أهل هذه الأندلس ليس لأحدنا طاقة على نصرة جاره، و لا أخيه، و لو شاءوا لفعلوا، إلا أن الهوان منعهم من ذلك، و قد ساءت الأحوال، و انقطعت الآمال، و أنت أيدك الله، ملك المغرب أبيضه و أسوده، و سيد حِمْيَرَ، و مَليكها الأكبر، و أميرها و زعيمها، و نزعت بهمتي إليك، و استنصرت بالله ثم بك، و استغثت بحرمك، لتجوزوا لجهاد هذا العدّو الكافر، وتحيوا شريعة الإسلام، و تذبوا عن دين محمد عليه الصلاة و السلام، و لكم عند الله الثواب الكريم، و الأجر الجسيم، و لا حول و لا قوة إلا بالله العليُّ العظيم، و السلام الكريم على حضرتكم السامية، ورحمة الله تعالى و بركاته.

مجهول، **الحلل الموشية**، ص45- 46.

الملحق رقم 7 :

رسالة الأمير يوسف للمعتمد يطلب منه أن يعطيه الجزيرة الخضراء ليجعل فيها أثقاله و أجناده:

بسم الله الرحمان الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما.

من أمير المسلمين، و ناصر الدين، مُحيي دعوة أمير المؤمنين.

إلى الأمير الأكرم المؤيد بنصر الله، المعتمد على الله، أبي القاسم بن عباد، أدام الله كرامته بتقواه، و وفقه لما يرضاه.

سلام عليكم و رحمة الله و بركاته، أما بعد:

فإنه وصل خطابكم المكرم، فوقفنا على ما تضمنه من استدعائنا لنصرتك، وما ذكرته من كَرْبَتِكَ، وما كان من قلة حماية جيرانك، فنحن يمين لشمالك، و مبادرون لنصرتك و حمايتك، و واجب علينا ذلك من الشرع، و كتاب الله تعالى، و أنه لا يمكننا الجواز إلاّ أن تُسلم لنا الجزيرة الخضراء، تكون لنا، لكي يكون جوازنا إليك على أيدينا متى شئنا، ونحن في أثر خِطابك، إن شاء الله، و السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته.

مجهول، **الحلل الموشية**، ص50.

الملحق رقم 8:

قسم من رسالة الإمام الغزالي إلى الأمير يوسف تفتيه بشرعية جهاده في الأندلس:

الأمير جامع كلمة المسلمين، و ناصرُ الدين، أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بن تاشفين، الداعي لأيامه بالخير، محمد بن محمد بن محمد الغزالي. بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وسائر النبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

((.... ورد الشيخ الفقيه الوجيه أبو محمد عبد الله بن عمر بن العربي الأندلسي، حرس الله توفيقه .... فإنه لّما وصل إلى مدينة السلام (العراق)، و حضرة الخلافة، لم يزل يطنب في ذكر ما كان عليه المسلمون في جزيرة الأندلس من الذل و الصَغَار.... و استصرخ المسلمون عند ذلك بالأمير ناصر الدين، و جامع كلمة المسلمين.... عن مداراة المشركين، فلبى دعوتهم، و أسرع نصرتهم، و أجاز البحر بنفسه و رِجَالِهِ و مَالِهِ، و جاهد بالله حق جهاده، و منحه الله تعالى استئصال شأفة المشركين، و الإفراج عن حوزة المسلمين، جزاه الله تعالى أفضل جزاء المحسنين، و أمده بالنصر و التمكين، وذكر متابعته العُدوة إلى جهة أخرى بعد ثلاثة أعوام من هذه الغزوة المشهورة، و قتل كل من ظهر من النصارى بالجزيرة المذكورة، من الخارجين لإمداد ملوكها على عادتهم، أو من سراياهم في أي جهة يمموا من جهات المسلمين، وقذف الله الرُعْبَ في قلوب المشركين.... ثم ذكر مع ذلك توقف طائفة من الثوار الباقين في شرق الأندلس، عن مُشايعة الأمير ناصر الدين، و متابعته، و أنهم حالفوا النصارى، و استنجدوا بهم فأعلن المسلمون بالدُعاء عليهم، و التبري منهم، ليتوب عليهم أو ليقطع شأفتهم. و كتب هذا الشيخ سؤالاً على سبيل الاستفتاء، وافيته فيه بما اقتضاه الحق، و أوجبه الدّين، و أعجلني المسير إلى سفر الحجاز، و تركته مشمراً عن ساق الجدّ، في طلب خطاب شريف من حضرة الخلافة يتضمن شكر صنيع الأمير ناصر الدين في حماية الثغور، و يشتمل على تسليم جميع بلاد المغرب إليه، ليكون رئيسهم، و رؤسهم تحت طاعته، و أن من خالف أمره، فقد خالف أمر أمير المؤمنين، ابن سيد المرسلين، و يتعين جهاده على كافة المسلمين)).

عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين و الموحدين**، ص530 وما بعدها.

الملحق رقم9 :

رسالة الأمير يوسف إلى المستعين بن هود صاحب سرقسطة يحثه على التمسك بوحدة الصف لرد عدوان النصارى:

من أمير المسلمين، وناصر الدين يوسف بن تاشفين، إلى المستعين بالله أحمد بن هود، أدام الله تأييده، من حضرة مراكش، حيث تتلى آيات شرفك، و مآثر سلفك، و نحن نحمد الله بجميع المحامد، و نستهديه أحسن الموارد، و نسأله أتم الفوائد، و أنجح المقاصد، و نصلي على سيدنا و مولانا محمد صلى الله عليه و سلم صفوة أوليائه، و خاتم أنبيائه، و أما الذي عندنا- أيدك الله- لجانبك الكريم، و بَحْرَكَ الطامي، و مجدك الصميم، و محلك المعلوم فود صريح، و عقد - في ذات الله تعالى- صحيح، و وردنا نشأة السيادة و النبل و النباهة و الفضل، أبو مروان عبد الملك، ابنك ولادة و نسباً، و ابننا وداداً و تقرباً، زاد الله به عينك قرة، و نفسك مسرة، و معه خاصتك الوزيران أبو الأصبع، و أبو عامر، أكرمهما الله بتقواه، و كُلاًّ وفيناه حق نصابه، و أتيناه بره من بابه، و أديا إلينا كتابك الجليل الخطير المقبول المبرور، فوقفنا منه على وجه شخوصهما، و أصغينا في تفصيل جملته إلى تخليصهما، فألقينا إليهما مراجعة في ذلك ما لقنوه، وسفرنا لهما عن وجه قصدنا فيه حتى استبانوه، و جملة الوفاق، و جماعة الانتظام في سلك ما يرضي الله تعالى و الاتساق، إن شاء الله تعالى، و السلام.

مجهول، **الحلل الموشية**، ص75.

الملحق رقم 10:

أرجوزة شعرية تُلخص دور الأمير يوسف في الأندلس:

و إذْ أرادَ اللهُ نَصْــَـر الدّيــنِ	استصرخَ النّاسُ ابنَ تــاشفينِ
فجاءهُم كالصُّبحِ في إثر غسق	مُستدركاً لِمــَا تبقْى من رَمَقْ
وافى أبـــو يعقوبَ كالعُقــابِ	فجـــرَّدَ السيفَ من القِـــراب
و واصــلَ السّيرَ إلى الزّلاقَــه	و ســـاقَهُ لِيومِها ما ســــاقَه
لله دَرُّ مثـــلهـــا مِـــن وَقعَـــهْ	قامَتْ بنصرِ الدّينِ يومَ الجُمعة
و ثُلَّ للشركِ هنـــاكَ عَرشُـــهُ	لم يُغنِ عنـــه يومَـــه أذفنشُهُ
فوجَبَ الخـــلعُ لذي الخلاعَة	وصَرَّحوا ليـــوسفِ بالطاعة
و اتصَلَ الأمـــرُ على نِظـــامِ	وامتـــدَّ ظلُّ اللهِ للإســـلامِ
وانصرفَتْ على العَـــدوّ الكرّةْ	و رَجعَ الجَمْعُ كأوَلى مَـــرّة
فتلـــكَ خيلُ اللهَ في العَـــدُوّ	تَعيثُ في الرواحِ و الغُـــدوّ
ثـــمَّ ولى عليٌّ بنُ يـــوسفِ	مُهتديـــاً حُكْمِ أبيـــهِ يَقتَفي

ابن بسام، **الذخيرة**،ج1، ص593- 594.

الخـــرائط

خريطة رقم 01 :

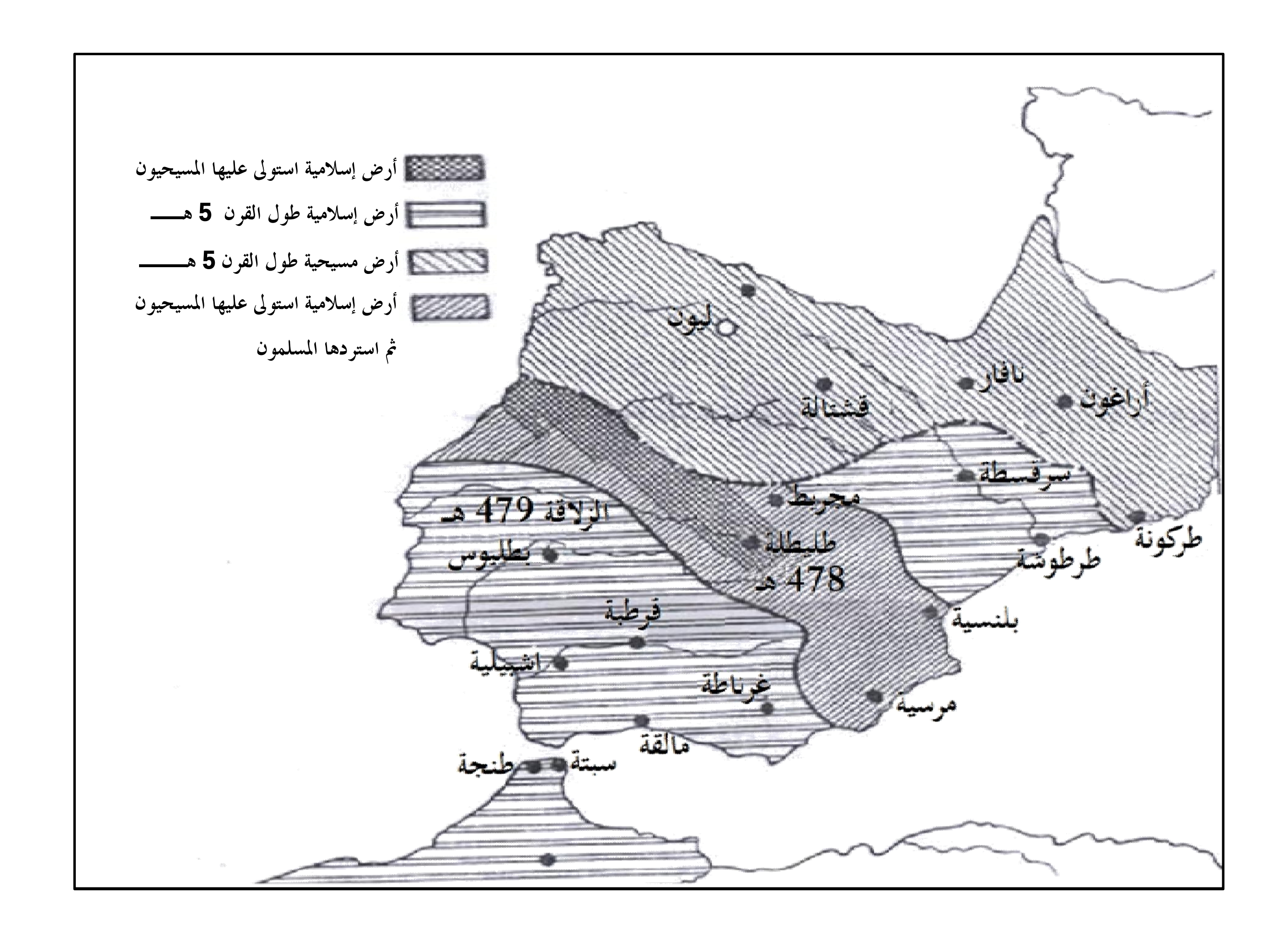
موقع معركة الزلاقة بالأندلس

La partie de l'image avec l'ID de relation rId15 n'a pas été trouvé dans le fichier.

مأخوذة من كتاب : بسام العسلي، **المعتمد و ابن تاشفين**، ص 12 .

خريطة رقم 02 :

أراضي الممالك النصرانية والإمارات الإسلامية أواخر القرن الخامس الهجري بالأندلس.



مأخوذة من كتاب: شريفة محمد عمر دحماني، **العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية و البربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف القرن 5 هـ /11 م**، ص 343

خريطة رقم 03:

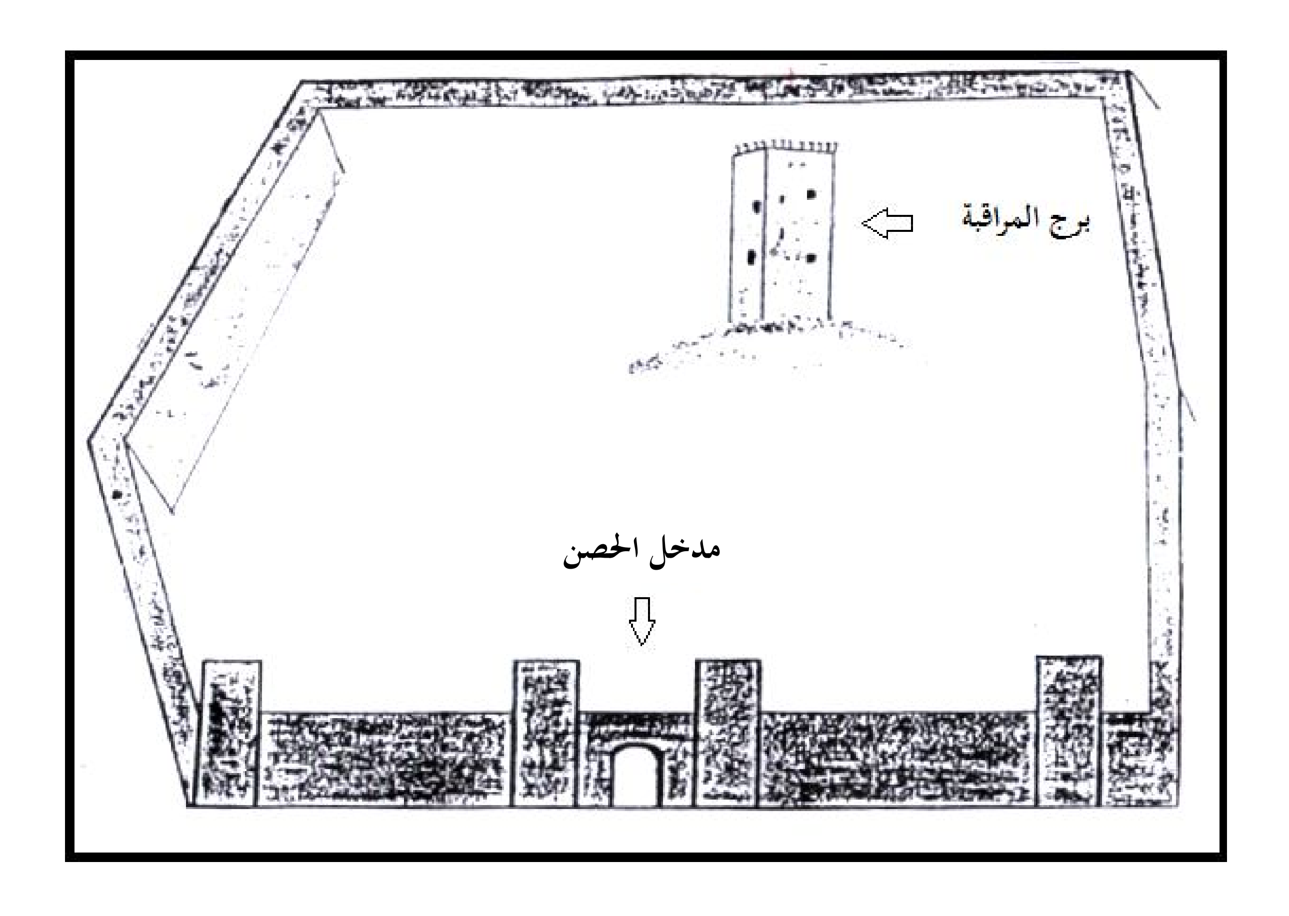
دولة المرابطين بالأندلس في عصر يوسف بن تاشفين



مأخوذة من كتاب: حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين**، ص1.

شكل رقم 01 :

تصميم حصن ليبط



مأخوذة من كتاب : مريم قاسم طويل، **مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر**، ص 215 .

المصادر و المراجع

1- المصادر العربية:

- القرآن الكريم.

1- ابن الأبــار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ/ 1260م): **الحُلة السيراء**، ج2، حققه و علق حواشيه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م.

2- ______**كتاب التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق الفريد بل، و ابن أبي شنب، المطبعة الشرقية، الجزائر، 1919م.

3- ______ **إعتاب الكتاب**، تحقيق و تعليق و تقديم صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط1، 1380هـ/1961م.

4- ______ **المقتضب من كتاب تحفة القادم**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1989م.

5- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت630هـ/ 1232م): **الكامل في التاريخ**، مج10، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، 1966م.

6- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت256هـ/869م): **صحيح البخاري**، مج2، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

7- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت542هـ/1147م): **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**،(ج2،ج4)، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/ 1998م.

8- ______ **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، مج1، القسم الثالث، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1417هـ/1997م.

9- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/1183م): **كتاب الصلة**، مج11، ج1، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1989م.

10- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر (ت279هـ/892م): **فتوح البلدان**، تحقيق عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.

11- ابن بلكين، عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس الزيري الصنهاجي (ت بعد 483هـ/1090م): **مذكرات الأمير عبد الله** - أو - **كتاب التبيان**، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1988م.

12- البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت أواخر القرن السادس الهجري): **أخبار المهدي بن تومرت**، تقديم و تحقيق و تعليق عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1986م.

13- الجزنائي، أبو الحسن علي (من أهل القرن الثامن الهجري): **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1411هـ/1991م.

14- أبو حامد الغرناطي، محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن أبي الربيع بن محمد (ت565هـ/1169م): **تحفة الألباب و نخبة الإعجاب**، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

15- ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت456هـ/ 1063م): **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، مصر، د. ت.

16- الحُميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتُّوح الحُمَيْدي (ت488هـ/1095م): **جَذْوَةُ المقتبس في ذكر ولاة الأندلس و أسماء رواة الحديث و أهل الفقه و الأدب و ذوي النّباهة والشِّعر**، تحقيق وتقديم صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1425هـ/ 2004م.

17- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله الإشبيلي (ت529هـ/ 1134م): **قلائد العقيان في محاسن الأعيان**، قدم له و وضع فهارسه محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.

18- ابن خاقان، **مطمح الأنفس و المسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، مطبعة الجوائب، قسنطينة، ط1، 1302هـ/1884م.

19- ابن الخراط الإشبيلي (ت581هـ/1186م): **الأندلس في اختصار اقتباس الأنوار**، تحقيق إيميليو مولينا، و خاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990م.

20- الخشني، أبو عبد الله محمد بن الحارث (ت361هـ/ 971م)، قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1989م.

21- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد السليماني (ت776هـ/ 1374م): **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق و تعليق أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م.

22- ـــــــــ **الإحاطة في أخبار غرناطة**، مج2، مج4، حقق نصه و وضع مقدمته و حواشيه محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1394هـ/ 1974م.

23- ـــــــــ **رقم الحلل في نظم الدول**، المطبعة العموية بحاضرة تونس المحمية، 1316هـ/ 1898م.

24- ـــــــــ **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تحقيق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت.

25- ـــــــــ **معيار الاختيار في ذكر المعاهد و الديار**، دراسة و ترجمة اسبانية للنص العربي، محمد كمال شبانة، المعهد الجامعي للبحث العلمي، المغرب، 1977م.

26- ـــــــــ **ديوان الصيب و الجهام و الماضي الكهام**، تحقيق محمد الشريف قاهر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 1973م.

27- ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد (ت808هـ/ 1406م): **العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج6، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971م.

28- ابن خلدون، **المقدمة**، تحقيق خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م.

29- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ/ 1282م): **وَفياتُ الأعيانِ و أنباءُ أبناءِ الزمانِ**، (مج5، مج7)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1414هـ/ 1994م.

30- ابن خليل غلبون الطرابلسي: **تاريخ طرابلس و ما كان بها من الأخبار**، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي الطارابلسي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1930م.

31- الدباغ، عبد الرحمان بن محمد الأنصاري (ت696هـ/ 1296م): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ج3، تحقيق و تعليق محمد ناضور، المكتبة العتيقة، تونس، مكتبة الخازنجي، مصر، 1978م.

32- ابن أبي دينار، محمد بن القاسم الرعيني القيرواني: **المؤنس في أخبار افريقية و تونس**، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، ط1، 1869م.

33- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/ 1348م): **تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1994م.

34- ــــــــ **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ج18، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1986م.

35- ــــــــ **العبر في خبر من غبر**، تحقيق و ضبط أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

36- أبو راس الناصر، محمد بن أحمد المعسكري (ت1238هـ/ 1824م): **الحلل السندسية في شأن وهران و الجزيرة الأندلسية- أو- الخبر المعرب عن الأمر المغرب الحال بالأندلس وثغور المغرب**، تحقيق و تقديم سليمة بنعمر، دار صنين للطباعة و النشر، ليبيا، ط1، 2002م.

37- ــــــــ **عجائب الأسفار و لطائف الأخبار**، ج1، تقديم و تحقيق محمد غالم، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005م.

38- الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت بعد سنة 425هـ/ 1033م): **قطعة من تاريخ إفريقية و المغرب**، تحقيق عبد الله العلي الزيدان، عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م.

39- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت726هـ/1325م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972م.

40- ابن زيدان، مولاي عبد الرحمان (ت1365هـ/1946م): **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، ج1، تقديم عبد الهادي التازي، مطابع إديال، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1410هـ/1990م.

41- السبتي، محمد بن القاسم الأنصاري (من أهل القرن الثامن الهجري): **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنيّ الأثار**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، ط2، 1403هـ/ 1983م.

42- ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد اليحصبي (ت658هـ/1286م): **المُغْرِب في حُلَى المغرب**، تحقيق و تعليق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1964م.

43- السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت1315هـ/ 1897م): **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولتان المرابطية و الموحدية**، ج2، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954م.

44- الضبي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن عميرة (ت599هـ/ 1203م): **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**،ج1، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1989م.

45- ابن أبي الضياف أحمد (ت 1291هـ/ 1874م): **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان**، ج1، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية و الأخبار، الدار التونسية للنشر، 1396هـ/1976م.

46- ابن عبد الحكم، عبد الرحمان بن عبد الله (ت257هـ/871م): **فتوح إفريقيا والأندلس**، حققه و قدم له عبد الله أنيس الطبّاع، مكتبة المدرسة، و دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر، بيروت، 1964م.

47- ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري المراكشي (ت793هـ/1390م): **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، السفر8، قسم1، تقديم و تحقيق و تعليق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م.

48- ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي (القرن السادس الهجري): **رسالة في أداب الحسبة والمحتسب**، نشرت ضمن ثلاث رسائل أندلسية، مج2، تحقيق إ. ليقي بروقنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

49- ابن عذارى المراكشي (كان حياً سنة 712هـ/ 1312م): **البيان المُغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، ج3، تحقيق إ. ليقي بروقنسال، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

50- ــــــــــ **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،ج4، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط5، 1418هـ/1998م.

51- ــــــــــ **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين**، ج5، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،ط2، 1985م.

52- ابن عسكر، محمد بن علي الغساني (ت636هـ/ 1238م) و ابن خميس، أبو بكر محمد بن محمد بن علي (ت688هـ/ 1289م): **أعلام مالقة**، تحقيق عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الأمان، الرباط، ط1، 1999م.

53- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت1089هـ/ 1678م): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، مج2، ج3، تحقيق أوفست كونرو غرافير، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.

54- عياض القاضي، أبو الفضل عياض بن موسى ابن عياض اليحصبي السبتي (ت544هـ/ 1149م): **ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ج2، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

55- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت732هـ/ 1331م): **المُختصر في أخبار البشر**، ج2، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، د.ت.

56- ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني (ت750هـ/ 1349م): **كتاب الوفيات**، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1403 هـ/ 1983م.

57- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عبد العزيز القرطبي (ت367هـ/ 977م): **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق و تعليق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

58- الكتبي، محمد بن شاكر بن أجمد بن عبد الرحمان (ت764هـ/ 1362م): **فوات الوفيات و الذيل عليها**، تحقيق إحسان عباس، مج3، دار صادر، بيروت،1974م.

59- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ/ 1372م): **البداية و النهاية**، ج6، إعتنى بها و خرج أحاديثها محمود بن الجميل أبو عبد الله، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 1427هـ/2006م.

60- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك (كان حياً أواخر القرن السادس الهجري): **تاريخ الأندلس و وصفه لإبن الشّباط**، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م.

61- مجهول (لمؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري): **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1399هـ/1979م.

62- مجهول (مؤلف أندلسي عاش في القرن الرابع الهجري): **كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها رحمهم الله و الحروب الواقعة بها**، تحقيق و تعليق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

63- مجهول (من أهل القرن العاشر الهجري): **تاريخ الأندلس**، دراسة و تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2077م.

64- مجهول (من أهل القرن الثامن الهجري): **ذكر بلاد الأندلس**،ج1، تحقيق و ترجمة لويس مولينا، مدريد، 1983م.

65- مجهول : **فتح الأندلس في عهد موسى بن نصير**، تحقيق حساني مختار، منشورات دحلب، الجزائر، د.ت.

66- مجهول(عاش في القرن الثامن الهجري): **مفاخر البربر**، دراسة و تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة و النشر، الرباط، ط1، 2005م.

67- محمود بن سعيد مقديش (ت1228هـ/ 1813م): **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار**، مج1، تحقيق علي الزاوي، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م.

68- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت647هـ/ 1249م): **المُعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/ 1998م.

69- المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ/ 1631م): **نفحُ الطّيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م.

70- النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي (ت بعد سنة 793هـ/ 1390م): **تاريخ قضاة الأندلس- أو- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا**، تحقيق مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1955م.

71- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ/ 1348م): **تاريخ ابن الوردي – أو- تتمة المختصر في أخبار البشر**، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م.

2- المصادر الجغرافية:

1- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني (ت560هـ/ 1064م): **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، (مج1، مج2)، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409هـ/1989م.

2- ـــــــ **القارة الافريقية و جزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق**، تحقيق وتقديم و تعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

3- الأصطخري، ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت في النصف الأول من القرن الرابع الهجري): **المسالك و الممالك**، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، 1381هـ/ 1961م.

4- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت779هـ/ 1377م): **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظّار في غرائب الأمصار**، شرحه و كتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

5- البكــري، أبو عُبيد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/ 1094م): **كتاب المسالك و الممالك**، ج2، حققه و قدم له أدريان فان ليوفن و أندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م.

6- ـــــــ **جغرافية الأندلس و أوروبا من كتاب المسالك و الممالك**، تحقيق عبد الرحمان علي الحجي، دار الأرشاد للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1387هـ/ 1968م.

7- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت614هـ/ 1217م): **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، د.ت.

8- الحسن الوزان، الحسن بن محمد الوزان الفاسي(ليون الإفريقي)، (ت بعد عام 957هـ/ 1550م): **وصف إفريقيا**، (ج1، ج2)، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م.

9- الحمــوي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت626هـ/ 1828م): **مُعجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1399هـ/1979م.

10-ــــــــ **المُشتركُ وضعاً المفترقُ صقعاً**، عالم الكنب، بيروت، ط2، 1406هـ/ 1986م.

11- الحميــري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت في منتصف القرن الثامن الهجري): **الروضُ المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.

12- ـــــــ **صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إ. ليقي بروقنسال، دار الجيل، بيروت، ط2، 1988م.

13- ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت أواخر القرن الرابع الهجري): **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

14- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت300هـ/ 912م): **المسالك والممالك**، وضع مقدمته و هوامشه و فهارسه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.

15- الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت في أواسط القرن السادس الهجري): **كتاب الجغرافية**، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافية الدينية، مصر، د.ت.

16- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت640هـ/ 1243م): **كتاب الجغرافيا** ، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1970م.

17- شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي: **كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1419هـ/1998م.

18- ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت739هـ/ 1338م): **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، و هو **مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي**، ج1، تحقيق و تعليق علي محمد البجاوي، دار إحياء التراث العربي عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1373هـ/1777م.

19- الغزال، أحمد بن المهدي (ت1191هـ/ 1777م): **نتيجة الاجتهاد في المهادنة و الجهاد (رحلة الغزال و سفارته إلى الأندلس)**، تحقيق و تقديم إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.

20- ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني: **مختصر كتاب البلدان**، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ/ 1988م.

21- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت732هـ/1331م): **تقويم البلدان**، اعتنى بتصحيحه و طبعه رينود و البارون ماك كوكين دسيلان، دار صادر، بيروت، 1840م.

22- القزويني، زكرياء بن محمد بن محمود (ت682هـ/ 1283م): **آثار البلاد و أخبار العباد**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1404هـ/1984م.

23- مجهول(لمؤلف مراكشي من أهل القرن السادس الهجري): **الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة و مصر و بلاد المغرب**، نشر و تعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة أفاق عربية، بغداد، د.ت.

24- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346هـ/ 957م): **مُروج الذهب و معادن الجَوهَر**، ج1، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1408هـ/ 1988م.

25- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري المقدسي (ت380هـ/990م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، وضع مقدمته و هوامشه و فهارسه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ/ 1987م.

26- المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت845هـ/1441م): **جنى الأزهار من الروض المعطار**، تقديم و تحقيقو تعليق محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1426هـ/ 2006م.

27- اليعقــوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت284هـ/897م): **كتاب البُلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1408هـ/ 1988م.

28- ـــــــ **وصف إفريقيا الشمالية** مأخوذة من **كتاب البلدان لليعقوبي**، اعتنى بتصحيحه و نشره هنري بيرس، الجزائر، 1380هـ/1960م.

3- المعاجم اللغوية:

1- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت538هـ/ 1143م): **أساس البلاغة**، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

2- مرتضى الزبيدي، محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي (ت1205هـ/1790م): **تاج العروس من جواهر القاموس**، مج10، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1414هـ/1994م.

3- ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم الأنصاري (ت711هـ/ 1311م): **لسان العرب**، ج4، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م.

4- المراجع العربية:

1- أدهم علي: **المعتمد بن عباد**، دار القدس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.

2- إسماعيل العربي: **دولة بني زيري ملوك غرناطة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

3- ــــــــــ: **المدن المغربية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

4- البتنوني محمد لبيب: **رحلة الأندلس**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت.

5- بحوش عمار: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م.

6- براهيمي عبد الحميد: **المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية**، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1996م.

7- البستاني بطرس: **معارك العرب في الأندلس**، منشورات دار المكشوف، بيروت، ط1، 1950م.

8- بشتاوي عادل سعيد: **الأمة الأندلسية الشهيدة (تاريخ 100 عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة)**، دار صبح للطباعة، بيروت، ط1، 2000م.

9- بلغيث محمد الأمين: **دراسات في تارخ الغرب الإسلامي**، دار التنوير للنشر والتوزيع، 2006م.

10- ــــــــــ: **فصول التاريخ و العمران بالغرب الإسلامي**، منشورات أنتر سيتي، الجزائر، ط1، 2007م.

11- ــــــــــ: **النظرية السياسية عند المرادي و أثرها في المغرب و الأندلس**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

12- بنعبد الله عبد العزيز: **الجيش المغربي عبر العصور**، سلسلة قسم الدراسات الدبلوماسية والقنصلية، الرباط، 1986م.

13- بورويبة رشيد وآخرون: **الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني**، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1994م.

14- بوعزيز يحي: **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية مع مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**، دار هومة، الجزائر، 2001م.

15- ـــــــــ: **مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، ط2، 2004م.

16- ـــــــــ: **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة و الوسيطة**، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

17- بونار رابح: **المغرب العربي تاريخه و ثقافته**، الشركة الوطنية للنشرو التوزيع، الجزائر، ط2، 1981م.

18- بيضون إبراهيم: **الدولة العربية في إسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة (92-422هـ/711- 1031م)**، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1986م.

19- التازي عبد الهادي: **جامع القرويين المسجد و الجامعة بمدينة فاس، موسوعة التاريخ المعماري و الفكري**، مج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1972م.

20- تيطراوي عبد الحميد: **أهم محطات تاريخ الجزائر القديم و الوسيط**، دار الخلدونية، الجزائر، 2003م.

21- الجراري عبد الله: **دروس التاريخ المغربي في ملخص الدولتين اللمتونية و الموحدية**،ج2، المطبعة الاقتصادية، الرباط، ط1، 1936م.

22- الجمل شوقي عطاء الله: **المغرب العربي الكبير (من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر) ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب الأقصى(مراكش)**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، ط2، 1997م.

23- الجمل شوقي عطاء الله، إبراهيم عبد الرزاق: **تاريخ المسلمين في أفريقيا و مشكلاتهم**، دار الثقافة، القاهرة، 1996م.

24- الجيلالي عبد الرحمان: **تاريخ الجزائر العام**، ج1، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1980م.

25- الجيوسي سلمى الخضراء: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999م.

26- حاجيات عبد الحميد و آخرون: **كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م، 2007م.

27- حبيبة علي: **مع المسلمين في الأندلس**، مكتبة الشباب، مطابع سجل العرب، مصر، 1972م.

28- الحجي عبد الرحمان علي: **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897)هـ (711- 1492)م**، دار القلم، دمشق، بيروت، دار القلم، الكويت، الرياض، ط1، 1976م.

29- حركات إبراهيم: **المغرب عبر التاريخ من عصر ماقبل التاريخ إلى نهاية دولة الموحدين**، ج1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط2، 1984م.

30- ________: **النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين**، منشورات مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، د.ت.

31- حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي، العصر العباسي الثاني في المشرق و مصر و المغرب و الأندلس 447- 656هـ/ 1055-1258م**، ج4، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، 1996م.

32- حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

33- حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس، عصر المرابطين والموحدين**، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م.

34- حمدي عبد المنعم محمد حسين: **التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، 2008م.

35- حمدي عبد المنعم محمد حسين: **دراسات في التاريخ الأندلسي" دولة بني برزال في قرمونة" 404- 459هـ/1013- 1067م**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1990م.

36- حموش عبد الحق: **ابن تاشفين** ، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ت.

37- أبو خليل شوقي: **عوامل النصر و الهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي**، دار الفكر، دمشق، 1981م.

38- دحماني شريفة محمد عمر: **العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية و البربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف القرن 5هـ- 11م**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2006م.

39- دندش عصمت عبد اللطيف: **أضواء جديدة على المرابطين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991م.

40- ـــــــــــــــــــ: **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430-515هـ/1038-1121م مع نشر و تحقيق رسائل أبي بكر بن العربي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1969م.

41- بن الذيب عيسى: **الحواظر و المراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر1954م، مطابع دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.

42- رجب محمد عبد الحليم: **دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى (125-455)هـ/(743- 1063)م**، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، د.ت.

43- ـــــــــــــــــــ: **العلاقات بين الأندلس الإسلامية و اسبانيا النصرانية في عصر بني أمية و ملوك الطوائف**، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.

44- زيدان جرجي: **فتح الأندلس- أو- طارق بن زياد**، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

45- زغلول سعد عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي المرابطون صنهاجة الصحراء الملثمون في المغرب و السودان و الأندلس**، ج4، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1995م.

46- السامرائي خليل إبراهيم و آخرون: **تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس**، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط$_1$، 2000م.

47- ـــــــــــــــــــــــ: **تاريخ المغرب العربي**، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط$_1$، 2004م.

48- سعدون عباس نصر الله: **دولة المرابطين في المغرب و الأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين**، دار النهضة العربية، بيروت، ط$_1$، 1985م.

49- سعدون نصر الله: **تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة (20- 798هـ)/ (640- 1492م)**، دار النهضة العربية، بيروت، ط$_1$، 2003م.

50- ـــــــــــــــ: **تاريخ العرب السياسي في الأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط$_1$، 1998م.

51- السعيد محمد مجيد: **الشعر في ظلّ بني عباد**، مطبعة النعمان، العراق، ط$_1$، 1972م.

52- السملالي العباس بن إبراهيم: **الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام**، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، ج$_8$، المطبعة الملكية، الرباط، ط$_2$، 2002م.

53- سوادي عبد محمد، صالح عمّار الحاج: **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات/ القاهرة، ط$_1$، 2004م.

54- السيد عبد العزيز سالم: **المغرب الكبير، العصر الإسلامي**، ج$_2$، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

55- السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، البحرية الإسلامية في المغرب و الأندلس**، ج$_2$، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993م.

56- السيد عبد العزيز سالم سحر: **من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.

57- السيد محمود: **تاريخ دولتي المرابطين و الموحدين**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004م.

58- السيد محمود : **تاريخ دول المغرب العربي ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب- موريتانيا**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م.

59- ________: **تاريخ إفريقيا القديم و الحديث**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006م.

60- شاكر محمود: **التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية**، ج$_{1}$، المكتب الإسلامي، بيروت، ط$_{5}$، 1991م.

61- شاوش الحاج محمد بن رمضان: **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

62- شريط عبد الله محمد مبارك الميلي: **مختصر تاريخ الجزائر السياسي و الثقافي والاجتماعي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

63- الشطشاط علي حسين: **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2001م.

64- شعيرة محمد عبد الهادي: **المُرابطون تاريخهم السياسي (430- 529)هـ**، مكتبة القاهرة الحديثة، ط$_{1}$، 1969م.

65- شلبي أحمد: **التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية، الأندلس الإسلامية، المغرب، الجزائر، تونس، و ليبيا من مطلع الإسلام إلى العهد الحاضر**، ج$_{4}$، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط$_{3}$، 1969م.

66- شكيب أرسلان: **الحلل السندسية في الأخبار و الأثار الأندلسية**، مج$_{3}$، ج$_{3}$، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

67- ________: **خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة**، مطبعة المنار، مصر، ط$_{2}$، 1925م.

68- شيت خطاب محمود: **قادة فتح الأندلس**، مج$_{1}$، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، منار للنشر و التوزيع، دمشق، ط$_{1}$، 2003م.

69- ________: **المغرب العربي**، دار الفكر، ط$_{1}$، 1966م.

70- الصحراوي عبد القادر: **جولات في تاريخ المغرب**، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط1، 1961م.

71- الصلابي علي محمد: **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، مكتبة الصحابة، الإمارات، مكتب التابعين، القاهرة، ط1، 2001م.

72- طقوش محمد سهيل: تاريخ المسلمين في الأندلس 91- 898هـ/ 710- 1492م، دار النفائس، بيروت، 2008م.

73- الطمار محمد بن عمرو: **تلمسان عبر العصور دورها في سياسة و حضارة الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

74- طه جمال أحمد: **مدينة فاس في عصري المرابطين و الموحدين 448هـ/1056م إلى 668هـ/ 1269م دراسة سياسية و حضارية**، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2002م.

75- طويل مريم قاسم: **مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر 403- 483هـ/ 1012- 1090م**، دار الكتب العلمية، بيروت، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، ط1، 1994م.

76- ________: **مملكة المرية في عصر المعتصم بن صمادح (443- 484هـ/ 1051- 1091م**، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م.

77- ضيف الله محمد الأخضر: **محاضرات في النظم الإسلامية و الحضارة العربية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م.

78- ضيف شوقي: **تاريخ الأدب العربي عصر الدول و الإمارات، الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان**، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1995م.

79- ________ : **عصر الدول و الإمارات، الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان**، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1995م.

80- عاشور سعيد عبد الفتاح: **أوروبا العصور الوسطى، التاريخ السياسي**، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، 1975م.

81- العبادي أحمد المختار: **في تاريخ المغرب و الأندلس**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2005م.

82- ـــــــــــــــ: **في التاريخ العباسي و الأندلسي**، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

83- ـــــــــــــــ: **صور من حياة الحرب و الجهاد قي الأندلس**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 2000م.

84- العروي عبد الله: **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م.

85- العسلي بسام: **المعتمد و ابن تاشفين**، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط4، 1992م.

86- عنان محمد عبد الله: **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م.

87- ـــــــــــــــ: **دولة الإسلام في الأندلس- العصر الثالث- عصر المرابطين والموحدين في المغرب – القسم الأول عصر المرابطين و بداية الدولة الموحدية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1411هـ -1990م.

88- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: **دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999م.

89- بن قرية صالح و آخرون: **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.

90- الكاتب سيف الدين: **أعلام من المغرب و الأندلس**، مؤسسة عز الدين للطباعة و النشر، بيروت، 1982م.

91- كنون عبد الله: **مشاهير رجال المغاربة، عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين**، مطابع دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1994م.

92- ـــــــــــــــ: **يوسف بن تاشفين**، منتدى ابن تاشفين المجتمع و المال، المحمدية،ط2، 2004م.

93- الكيالي سامي: **في الربوع الأندلسية**، مكتبة الشرق، حلب، سوريا، 1963م.

94- مؤنس حسين : **تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، دول المرابطين و الموحدين و الحفصيين**، مج2، ج2، العصر الحديث للنصر و التوزيع، بيروت، ط1، 1992م.

95- ـــــــــــــ: **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين و سقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512هـ/1118م، مع أربع وثائق جديدة**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1413هـ/ 1992م.

96- ـــــــــــــ: **فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711- 756)م**، الدار السعودية، جدة، ط2، 1985م.

97- ـــــــــــــ: **معـالم تـاريخ المغرب و الأندلس**، دار الرشـاد، القاهرة، 2004م.

98- مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث**، تقديم و تصحيح محمد الميلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976م.

99- مخزوم الفيتوري عطية: **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء (مرحلة إنتشار الإسلام)**، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1، 1998م.

100- مرعشلي نديم: **المعتمد بن عباد بطل جسد مأساة الأندلس، و شاعر عنّى مجدها المفقود**، دار الكتاب اللبناني، مطبعة الاجتهاد، د.ت.

101- أبو مصطفى كمال: **محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي و حضارته (المغرب والأندلس)**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2007م.

102- مصباح الأحمر محمد: **تاريخ العلاقات العربية الأفريقية**، دار الملتقى للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 2001م.

103- المطوي محمد العمروسي: **الحروب الصليبية في المشرق و المغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م.

104- المعموري الطاهر: **الغزالي و علماء المغرب**، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.

105- ملحس ثريا عبد الفتاح: **المرابطون اللمتونيون بين القرنين الخامس و السادس للهجرة أصلهم، نشأتهم، دولتهم، أخبارهم**، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1988م.

106- النشار محمد محمود أحمد: **علاقة مملكتي قشتالة و أراجون بسلطة المماليك (1260-1341م/ 658- 741هـ)**، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، مصر، ط1، 1997م.

107- نعنعي عبد الحميد: **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، التاريخ السياسي**، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

108- الهدفي سلامة محمد سلطان: **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين**، دراسة سياسية و حضارية، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1985م.

109- وهبة مصطفى: **موجز تاريخ الحروب الصليبية**، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط1، 1997م.

5- المراجع المعربة:

1- أشباخ يوسف: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين**، ترجمة و تعليق محمد عبد الله عنان، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1996م.

2- بروفنسال ليفي: **الإسلام في المغرب و الأندلس**، ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح حلمي، مراجعة لطفي عبد البديع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1995م.

3- بروفنسال ليڤي: **حضارة العرب في الأندلس**، ترجمة ذوقان قرقوط، مطبعة النجوى، بيروت، د.ت.

4- بروكلمان كارل: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1998م.

5- بروي ادوارد و آخرون: **تاريخ الحضارات العام القرون الوسطى**، نقله إلى العربية يوسف أسعد داغر، فريد م. داغر، مج3، عويدات للنشر و الطباعة، بيروت، 2003م.

6- دوزي رينهرت: **المسلمون في الأندلس**، ترجمة و تقديم حسن حبشي، ج3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995م.

7- ــــــــــــ: **ملوك الطوائف**، ترجمة كامل كيلاني، مكتبة و مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه، القاهرة، ط1، 1933م.

8- ريسلر جاك: **الحضارة العربية**، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1993م.

9- سيد أمير علي: **مختصر تاريخ العرب**، ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1967م.

10- قايد مولود: **البربر عبر التاريخ في اسبانيا الإسلامية ابتداء من عام 711م**، ترجمة إبراهيم سعدي، دار النشر ميموني، الجزائر، 2007م.

11- كاربخال مارمول: **افريقيا**، ج1، ترجمة محمد حجي و آخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984م.

12- كولان. ج. س: **الأندلس**، ترجمة لجنة دائرة المعارف الإسلامية إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1980م.

13- مارسيه جورج: **بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة الانتصار، الإسكندرية، مصر، 1991م.

14- مونتغمري وات: **في تاريخ اسبانيا الإسلامية (مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيا)**، ترجمة محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للنشر و التوزيع، ط2، 1998م.

6- المعاجم و القواميس و الموسوعات:

1- أبو عمران الشيخ و آخرون: **معجم مشاهير المغاربة**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995م.

2- جمال الدين عبد الله: **تاريخ المسلمين في الأندلس (93- 897) هـ**، منشور ضمن **موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي**، شركة سفير، القاهرة، د.ت.

3- رجب محمد عبد الحليم: **تاريخ المسلمين في إفريقيا جنوب الصحراء، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي**، شركة سفير، القاهرة، د.ت.

4- زبيب نجيب: **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الأندلس**، تقديم أحمد بن سودة، ج2، دار الأمير للثقافة و العلوم، بيروت، ط1، 1995م.

5- الزركلي: **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1986م.

6- السرجاني راغب: **الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي**، ج1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط1، 2005م.

7- الغنيمي مقلد عبد الفتاح: **موسوعة تاريخ المغرب العربي، المغرب العربي بين الفاطميين والمرابطين و الموحدين 296- 668هـ/ 910- 1970م**، مج2، ج3، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1994م.

8- مؤنس حسين: **موسوعة تاريخ الأندلس تاريخ- و فكر و حضارة و تراث**، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1416هـ- 1996م.

9- المختار ولد حامد : **موسوعة حياة موريتانيا، التاريخ السياسي**، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000م.

10- يوسف عيد، يوسف فرحات: **معجم الحضارة الأندلسية**، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 2000م.

11- يوسف فرحات: **موسوعة الحضارة العربية العصر الأندلسي (الحضارة الأندلسية)**، مج6، دار كلمات للنشر، 1995م.

7- المقالات:

1- السيد أبو مصطفى كمال: **تاريخ مدينة طرطوشة الإسلامية و حضارتها في عصر دويلات الطوائف في القرن 5هـ/ 11م**، منشور ضمن كتاب **السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات و العطاءات، القسم الأول، التاريخ و الفلسفة**، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط1، 1996م.

2- العبادي أحمد المختار: **دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي**، منشور ضمن كتاب **بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ الدكتور أحمد فكري 16-20 أكتوبر 1976م**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م.

3- الدباغ عبد الوهاب: **التحدي الصليبي للوجود الإسلامي في اسبانيا**، منشور ضمن كتاب **الوحدة و التنوع في تاريخ المسلمين بحوث في التاريخ و الحضارة الإسلامية**، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2002م.

8- الدوريات و المجلات:

1- حاجيات عبد الحميد: **المرابطون و دورهم في تاريخ المغرب و حضارته**، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1976م.

2- شرقي محمد: **طليطلة في الذكرى الألفية لسقوط أعظم حضارة أندلسية**، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، قصر الثقافة، الجزائر ، 1986م.

3- صلاح عبد الهادي مصطفى: **إسهام المرابطين في نشر الإسلام في الشمال الإفريقي والسودان الغربي خلال القرن 5هـ/ 11م**، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب، بغداد، السنة 13، العدد 31، 1987.

4- علي أحمد: **ظهور حركة الإسترداد بالأندلس و تطورها حتى نهاية القرن التاسع الهجري و دور المغاربة في كبح جماحها**، مجلة الدراسات التاريخية، لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق، السنة 6، العددان 97- 98، 2007م.

5- ــــــــ: **اليهود في الأندلس و المغرب خلال العصور الوسطى**، مجلة دراسات تاريخية، لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق، السنة 17، العددان 57- 58، 1996م.

6- بن عميرة لطيفة: **تلمسان من نشأتها إلى قيام دولة بني عبد الواد**، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد6، 1992م.

7- بن عميرة محمد: **تعليقات حول آراء J. Devisse الخاصة بسكان أو دغست في القرون 3- 4- 5هـ/ 9- 10-11م**، مجلة حولية المؤرخ، إتحاد المؤرخين الجزائريين، دار الكرامة للطباعة و النشر، العدد6، 2005م.

8- بن معمر محمد: **مركز تلمسان الثقافي من أجادير الإدريسية إلى تاجرارت المرابطية**، مجلة حولية المؤرخ، إتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، العددان 3-4، 2003م.

9- و. يوفيل: **العهد الذهبي لتجارة المسلمين في شمال إفريقيا و غربها**، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، السنة7، العددان 58- 59، 1978م.

9- الرسائل الجامعية:

1- بان علي محمد البياتي: **النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (3-5)هـ/(9-11)م**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة بغداد، قسم التاريخ، 2004م.

2- بلغيث محمد الأمين: **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، مج1، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2003م.

3- ـــــــــــــــــ: **الربط بالمغرب الإسلامي و دورها في عصري المرابطين و الموحدين**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 1987م.

4- خالدي عبد الحميد: **العلاقات الثقافية بين المشرق و المغرب الأوسط من الفتح إلى نهاية الموحدين 50هـ/670م- 646هـ/1266م**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2008م.

5- بن الذيب عيسى: **المغرب و الأندلس في عصر المرابطين، دراسة اجتماعية و اقتصادية (448- 540)هـ/ (1056- 1145)م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2009م.

6- شارف أحمد: **السلطة و المجتمع بالأندلس في عصر المرابطين 479هـ-539هـ/ 1085م-1144م**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2008م.

7- شعباني نور الدين: **علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي و أثارها الحضارية بين القرنين الرابع و التاسع الهجري/ 10 و 15م**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2006م.

8- فراد محمد أرزقي: **القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف (القرن الخامس الهجري الموافق الحادي عشر الميلادي)**، رسالة لنيل ديبلوم الدراسات المعمقة، دائرة الدراسات التاريخية و الأثرية، جامعة الجزائر، 1982م.

9- فلنتيا سليمان عفانة: **مملكة اشبيلية زمن بني عباد و علاقاتها الداخلية و الخارجية (414- 484)هـ/ (1023- 1069)م**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003م.

10- مليابي زينب: **التصوف بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين و الموحدين**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2007م.

11- بن موسى جميلة: **تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي و السودان الغربي من القرن 3 إلى 5هـ (9- 11)م**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2001م.

12- هارون فاطيمة: **السلطة العلمية بالأندلس في عصر المرابطين (445هـ- 541هـ/1056م- 1147م)- ابن رشد الجد أنموذجا (520هـ/1126م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2009م.

10- المراجع باللغة الأجنبية:

1- Akram .B .Ellyas :**A la Rencontre du Maghreb**, Institut du Monde Arabe, Paris, 2001.

2- Altamira Don Rafael Y Crevea: **Histoire D'Espagne**, libraire Armand, Saint- Michel, Paris, 1931.

3- André Julien Charles: **L'Afrique du nord Tunisie-Algérie-Maroc de la Conquête Arabe à 1830**, Sosiété National, Alger, 1975.

4- Ballester Rafael: **Histoire de l'Espagne**, Payot, 1928.

5- Bosworth C.E. et autres: **Encyclopédie de L'islam**, tome 7, nouvelle éditions, Pays -Bas, 1986.

6- Bringnon Jean est autre: **Histoire de Maroc**, librairie Nationale, Casablanca, 1967.

7-Clôt André: **l'Espagne musulmane**, Perrin, Paris, 1999.

8- Conrad Philippe : **Histoire de la Reconquista**, ISBN, 2em édition, 1999.

9- Dhina Amar: **Cites musulmanes d'orient et d'occident**, entreprise nationale du livre, Alger, 1986.

10- ____________: **Grand tournants de L'histoire de L'islam (de la bataille de badar à l'attaque d'Alger par charles-quint),** Société Nationale d'édition et de diffusion, Alger, 1978.

11- L'Encyclopédie Coloniale et maritime**: Maroc,** éditions de l'empire Français, Paris, 1948.

12- Gaid Mouloud : **Les Berbers dans l’histoire les Mourabitines d’hier et les Marabouts d’aujourd’hui**, tome 7, édition Mimouni.

13- ________________ **: Les Berbers dans l’histoire de la Kahina à l’occupation Turque,** tome 2, Editions Mimouni, 2009.

14- Laroui Abd Allah : **L’histoire du Maghreb un essai de Synthèse**, librairie françois Maspero, Paris,1970**.**

15- Provençal lévi : **Islam D’occident,** librairie orientale et Américaine, Paris, 1948.

الفهارس

فهرس الأعلام:

إبراهيم بن أبي بكر: 28.

إبراهيم بن إسحاق: 109.

إبراهيم بن يوسف: 37.

ابن الأثير: 42- 57.

إسماعيل بن عبد الرحمان بن ذي النون: 57.

أشباخ: 81- 99.

أبي الأصبع: 123.

ابن أياس: 89.

باديس بن حبوس بن ماكسن: 61- 102.

البرهانس: 78- 104- 109- 121- 132.

بطي بن إسماعيل: 107- 108.

ابن بكر: 108.

أبو بكر بن إبراهيم: 117.

أبو بكر بن عمر: 14- 21- 25- 26- 27- 28- 31- 32- 33- 34- 35- 36- 45- 52- 131.

أبو بكر بن القصيرة: 81.

أبو بكر بن يوسف: 37- 87.

أبو بكر محمد بن عبد العزيز العامري: 59.

أبي بكر المعتد بن المعتمد: 110- 111.

تأييد الدولة: 120.

تميم بن بلكين: 77- 93- 104.

تميم بن معنصر: 47.

تميم بن يوسف: 36- 124.

تين يزامارن: 17.

جؤدر الحشمي: 107- 110.

ابن جحاف القاضي: 115- 116- 117- 118- 119.

الحاجب سكوت البرغواطي: 49.

أبو حامد الغزالي: 43- 86.

حبوس بن ماكسن: 60.

أبي الحزم بن جهور: 55- 65.

حسام الدولة: 120.

حسن أحمد محمود: 20.

ابن حمديس الصقلي: 94.

ابن خلكان: 81.

داود بن عائشة: 82- 92.

دوزي: 99.

دييغو بن السيد القمبيطور: 121.

الرشيد أبو الحسن بن المعتمد: 73- 84.

ابن رشيق: 88- 91- 92- 93.

ابن رشيق القيرواني: 56.

رقية: 37.

ريموند برنجار الأول: 64- 78.

زاوي بن زيري: 60.

ابن أبي زرع: 107.

أبو زكريا بن واسينو: 106- 111.

ابن زيدون: 74- 108.

زينب النفزاوية: 32- 33- 34- 36.

سانشو راميريز : 78- 101.

سانشو الكبير: 63.

السلاوي: 17.

سيد الدولة: 120.

السيد القمبيطور: 89- 115- 116- 117- 118- 119- 120- 121- 132.

سير بن أبي بكر: 45- 83- 105- 106- 107- 109- 110- 111- 112- 113- 114- 129.

شيمان: 121.

صالح بن عمران: 49.

صفية: 27.

ضياء الدولة الحاجب بن سكوت: 49.

عائشة: 37.

أبي عامر: 123.

العباس بن المتوكل بن الأفطس: 113.

عبد شمس بن وائل بن حمير: 37.

عبد العزيز بن عبد الرحمان شنجول: 59.

عبد الله بن بلكين: 61- 74- 77- 86- 91- 93- 99- 102- 103- 104.

عبد الله بن الفرج اليحصبي: 70.

أبو عبد الله بن محمد بن الحاج: 106- 107- 121- 129.

عبد الله بن محمد بن مسلمة: 59.

عبد الله العباسي: 42.

عبد الله بن ياسين: 14- 16- 17- 18- 19- 20- 21- 22- 23- 24- 25- 26- 27- 28- 29- 36- 51- 131.

عبد الملك بن رزين: 127.

عبد الملك بن عبد العزيز: 59.

عبيد الله بن أدهم: 74.

ابن عذارى: 28- 33.

علي بن الحاج: 128.

علي بن يوسف: 36- 40- 41- 44- 97- 124- 125- 126- 127- 129- 132- 133.

عمر بن تلاكاكين بن ورتانطق: 27.

عمر بن سليمان المسوفي: 45.

أبو عمران الفاسي: 15.

فاطمة: 37.

الفتح بن المعتمد: 106- 107- 108.

ابن الفرج: 116.

فرديناند الأول: 63- 64.

الفضل بن المتوكل بن الأفطس: 68- 113.

ألفونسو السادس: 65- 66- 67- 68- 69- 70- 71- 72- 73- 74- 78- 79- 80- 81- 83- 84- 87- 88- 92- 93- 94- 95- 98- 99- 100- 101- 102- 105- 109- 112- 114- 118- 121- 122- 128- 129- 132.

القادر بن ذي النون: 58- 66- 67- 69- 89- 115- 116- 118- 119.

قمر: 36.

ابن الكردبوس: 102.

كونة: 37.

لقوط بن يوسف المغراوي: 26.

مؤمل مولى باديس بن حبوس: 102.

المتوكل بالله: 55.

المتوكل بن الأفطس: 60- 67- 68- 71- 78- 100- 104- 106- 112- 113- 114.

مجاهد العامري: 59.

محمد بن إسماعيل بن عباد: 57- 116.

محمد بن تاشفين: 92- 120.

محمد بن تميم الجدالي: 45.

محمد بن عائشة: 37- 115- 116- 121.

محمد المظفر: 60.

أبي محمد عبد الله بن فاطمة: 123- 128.

المراكشي عبد الواحد: 85- 99.

أبي مروان عبد الملك بن المستعين: 123.

مزدلي التلكاتي: 45- 50- 122.

المستعين أحمد بن هود: 58- 59- 118- 119- 122- 123.

المستعين بالله: 55.

مسعود بن وانودين: 24.

المعتصم بن صمادح: 77- 91- 93.

المعتضد بالله: 55-56.

المعز بن يوسف: 37- 49.

معز الدولة بن المعتصم: 112.

معنصر المغراوي: 46- 47.

المقتدر بن المستعين بن هود: 58.

المعتمد بالله: 55- 56.

المعتمد بن عباد: 57- 58- 60- 61- 66- 68- 71- 72- 73- 74- 75- 77- 79- 81- 82- 84- 88- 89- 90- 91- 92- 93- 94- 95- 99- 100- 104- 105- 106- 107- 109- 110- 111- 112.

المنصور بن المتوكل بن الأفطس: 113.

المنصور بن الناصر الحمادي: 112.

مهدي بن توالى: 46.

مهدي الكزنائي: 46- 47.

موسى بن أبي العافية: 47.

أبي ناصر: 116- 117.

نظام الدولة: 120.

هشام بن محمد المعتد بالله: 55.

وجاج بن زلو اللمطي: 16- 17- 20.

أبو الوليد محمد: 57.

ياسين بن مكوك: 17.

يحيى بن إبراهيم الجدالي: 15- 18- 19- 21- 37

يحي بن إسماعيل: 58- 59.

يحي بن عائشة: 28.

يحي بن عبد الملك بن رزين: 128.

يحي بن عمر: 21- 22- 23- 24- 25- 28- 29- 37.

يزيد بن محمد الراضي: 75- 88- 106- 107- 110.

يعلى بن يوسف: 47.

يوسف بن تاشفين: 14- 31- 32- 33- 34- 35- 36- 37- 38- 39- 40- 41- 42- 43- 44- 45- 46- 47- 48- 49- 50- 51- 52- 54- 71- 72- 73 - 74- 75- 76- 77- 78- 79- 80- 81- 82- 83- 84- 85- 86- 87- 88- 89- 90- 91- 92- 94- 95- 96- 98- 99- 100- 101- 102- 103- 104- 105- 106- 111- 114- 117- 120- 121- 122- 123- 124- 125- 126- 127- 128- 129- 131- 132- 133.

فهرس القبائل و الشعوب:

بني أمية: 55.

الأندلسيين: 82- 85- 93.

البربر: 60.

برغواطة: 26- 29- 36- 51- 131.

التجبيين: 58.

جدالة: 18- 19- 21- 22- 25- 27- 28- 31- 31- 52.

جزولة: 17- 25- 30.

بني حماد: 52.

بني خزر الزناتيين: 50.

الروم: 87- 99- 105- 109- 122.

زناتة: 30- 39- 40- 46- 47- 48- 49- 50- 52- 86- 131.

بني زيري: 52- 60.

صنهاجة: 15- 18- 22- 23- 27- 30- 33- 35- 37- 45- 51- 131.

القشتاليين: 83- 89- 92- 95- 100- 107- 109- 121.

لمتونة: 18- 19- 23- 25- 31- 32- 35- 37- 46- 52- 108- 125.

لمطة: 23- 25.

المرابطين: 13- 14- 17- 21- 22- 23- 25- 26- 27- 28- 29- 31- 33- 36- 40- 41- 47- 49- 51- 51- 53- 54- 59- 70- 73- 74- 76- 83- 85- 86- 87- 88- 93- 94- 101- 104- 105- 106- 107- 108- 109- 110- 112- 113- 114- 115- 116- 117- 118- 120- 121- 122- 123- 127- 128- 129- 131- 133.

بني مراس: 47.

مسوفة: 23.

المصامدة: 25- 29- 30- 36- 39- 40- 126- 131.

بني العباس: 41.

مغراوة: 45- 47.

الملثمين: 18.

الموحدين: 41.

الهلاليين: 74.

هوارة: 58.

بني وانودين: 24.

بني ورتانطق: 37.

بني يفرن: 30- 45- 47.

فهرس الأماكن و البلدان:

أبدة: 109.

أراغون: 65 - 78.

إسبانيا: 63 – 64 - 100.

الإسكندرية: 44.

أشبونة: 44 - 112.

إشبيلية:57 - 58 -61 - 64 – 66 – 68 -71 - 72- 73 - 77 – 82 – 99 -106 - 107 – 109 -110 -112 -116 -126 - 128.

أشتوريش: 63 - 78.

الأطلس الكبير: 40.

أغادير: 50.

أغمات: 26 – 29 – 30 – 31 – 33 - 34- 35 – 36 - 39- 40 – 52 - 103- 104 - 111.

إفراغة: 44.

افريقيا: 17- 60 - 74.

الأندلس: 14- 17- 42- 44 - 52 – 53 – 54 – 55 – 56 – 59 - 61 – 62 – 64 - 66 – 69 - 70 – 71 - 72- 73 - 74 - 75 - 76 – 77 – 78 – 81 – 84 – 85 - 88 – 89 - 90 – 91 – 94 – 95 – 96 – 97 - 98 - 99 - 100 – 101 - 102 - 105 - 106 - 113- 114 - 115 – 117 – 119 – 120- 121- 122 - 123 - 124 - 125 - 126 – 127 - 128- 129-131- 132- 133.

أودغست: 24.

أوروبا: 65 - 87.

باجة: 60.

بجاية: 112.

برشلونة: 64.

بسطة: 91.

بطليوس:59 - 64 - 66 - 67 - 68 - 71 - 74 - 77 - 78 - 79 – 82 – 91 – 94 – 106 – 111 – 112 – 113 - 114.

بلاد جدميوة: 26.

بلاد رجراجة: 26.

بلاد الريف: 47.

بلاد الزاب: 76.

بلنسية: 59 – 69 – 78 – 88 - 89- 90- 92- 95- 114- 115- 116-117- 118- 119- 120- 121- 122- 123- 127- 132.

بنبلونة: 78.

البونت: 120- 127.

بياسة: 108.

تادلا: 26- 32.

تارودانت: 25.

تازا: 48.

تاكرارت: 50.

تامسنا: 26- 29.

تلمسان: 50- 52- 131.

تمارون: 63.

تماماناوت: 17.

تنس: 51.

جبال البرتات: 78.

جبال بني مكود: 48.

جبالة: 118.

جبال الذهب: 44.

جبل درن: 25 – 126.

جبل علودان: 48.

جبل غياثة: 48.

جبل فازاز: 30.

جبل وانشريس:51.

جرسيف: 49.

الجزائر: 44- 51- 52.

الجزيرة الخضراء: 61- 75- 76-77- 88- 90- 103.

جزيرة شقر: 121.

جليقية: 63- 78.

جيان: 91- 107- 124.

حصن البلاط: 109.

حصن المدور: 108- 109.

حصن لبيط: 53- 54- 88- 89- 90- 93- 94- 95- 97- 98- 132- 133.

حصون وطاط: 48.

دانية: 114- 115.

درعة: 23- 24- 26- 28.

الدمنة: 48.

الرباط: 27.

رندة: 106- 107.

روما: 65.

الزّلاقة: 42- 53- 54- 75- 78-79- 80- 84- 85- 86- 87- 88 - 89 - 98 - 113- 132- 133.

سالم: 128.

سبتة: 48- 49- 52- 54- 76.

سجلماسة: 16- 23- 24- 29- 31- 33.

سرقسطة: 58- 59- 64- 66- 71- 78- 85- 114- 121- 123- 126.

السهلة: 127.

السودان الغربي:17- 22- 25- 28- 33- 35- 44- 54- 83.

السوس الأقصى: 17- 25- 26- 29- 31- 44- 104.

سيبولة: 116.

شاطبة: 59- 115- 117.

شبه الجزيرة الإيبيرية: 62- 64- 66- 105.

شقورة: 91- 109.

شلب: 113.

الشلف: 51- 131.

شنترين: 44- 112- 114.

شنتمرية: 120- 127- 128.

شِنترة: 112.

الصخيرة: 109.

صفروا: 46.

طرطوشة: 78- 85- 120.

طريف: 72.

طلبيرة: 128.

طليطلة: 57- 58- 59- 60- 64- 66- 67- 68- 69- 70- 72- 78- 84- 87- 92- 94- 100- 101- 109- 119- 121- 124- 127- 128- 131- 133.

طنجة: 44- 47- 48- 49- 50- 52.

غاليسيا: 65.

غانة: 17- 25- 131.

غرناطة: 60- 66- 74- 77- 91- 93- 101- 102- 103- 104- 124- 126- 128- 129.

غمارة: 46.

فاس: 30- 45- 46- 47- 49- 52.

فرنسا: 78.

القادسية: 86.

قرطبة: 56- 57- 71- 74- 106- 108- 125- 126.

قرمونة: 61- 109.

قشتالة: 63- 64- 67- 68- 69- 71- 78-80- 83- 85- 87- 92- 100- 101- 105- 107- 108- 109- 113.

قلعة أيوب: 128.

قلعة رباح: 71- 101- 108- 124.

قلعة فازاز: 46.

قليبيرة: 122.

قورية: 71- 84.

القيروان: 15.

كنشرة: 121.

كونكة: 121.

لاردة: 120.

لواتة: 30.

لورقة: 88- 89- 91- 95.

ليون: 63- 64- 65- 67- 78.

مارتلة: 110.

ماسة: 25.

مالقة: 61- 77- 91- 93- 101- 104.

مراكش: 13- 33- 34- 35- 39- 40- 43- 45- 46- 51- 52- 87- 99- 105- 111- 113.

مُرْبيطر: 127.

مرسية: 88- 91- 92- 93- 95- 114- 115- 120.

المرية: 59- 61- 77- 88- 91- 93- 106- 111- 112- 114.

مصر: 43.

المشرق: 43- 97- 98.

المغرب: 14- 28- 30- 31- 32- 33- 35- 42- 43- 44- 45- 47- 48- 49- 50- 51- 52- 76- 84- 88- 89- 92- 94- 95- 97- 98- 99- 105- 119- 120- 124- 133.

المغرب الأدنى: 51.

المغرب الأقصى: 22- 28- 33- 48- 49- 51- 52- 54- 131.

المغرب الأوسط: 50- 51- 52- 54- 131.

مكناسة: 30- 46- 103.

مقاطع: 129.

ملوية: 48.

مليلة: 49.

المنارة: 127.

نافارا: 65.

نبرة: 115.

نفيس: 20- 25.

نكور: 49.

نهر تاجة: 65- 71.

نهر السنيغال: 20- 28- 51.

وادي سبو: 90.

وادي صيفير: 47.

وادي كريفلة: 27.

الوادي الكبير: 111.

ورغة: 47.

وهران: 51- 52- 131.

يابرة: 113.

اليرموك: 86.

فهرس المحتويات:

مقدمة:.. أ- ل

الفصل الأول: قيام دولة المرابطين.

I- ظهور الدعوة المرابطية............ 14
1- الفقيه عبد الله بن ياسين...14
أ- مولده و نشأته...17
ب- إقامته للرباط..19
ج- فتوحاته..22
د- وفاته...26
2- الأمير أبو بكر بن عمر...27
أ- مولده و نشأته...27
ب- فتوحاته..28
ج- استخلافه للأمير يوسف بن تاشفين في المغرب..................31
II- بناء مراكش و تأسيس الدولة المرابطية.........................35
1- التعريف بيوسف بن تاشفين..35
أ- مولده و نشأته...35
ب- نسبه..37
ج- صفاته..38
د- بناؤه مدينة مراكش...39
هـ- تسميته بأمير المسلمين...41

و- وفاته..43
2- **فتوحات يوسف بن تاشفين في المغرب**..............................45
أ- فتح فاس و أحوازها..45
ب- فتح طنجة و سبتة..48
ج- فتح تلمسان و بلاد المغرب الأوسط....................................50

الفصل الثاني: المرابطون في الأندلس.

I- استدعاء المرابطين للأندلس...54
1- أوضاع الأندلس السياسية قبل عبور المرابطين.........................54
أ - الإمارات الإسلامية...54
ب- الممالك النصرانية..62
2- أسباب العبور المرابطي للأندلس...66
أ- سقوط طليطلة واشتداد الخطر النصراني....................................66
ب-دعوة أمراء الطوائف لأمير المرابطين.....................................70
II- العبور الأول ومعركة الزّلاقة..75
1- الإعداد للمعركة..75
أ – استعداد المسلمين..75
ب- استعداد النصارى...78
2- وقائع المعركة..80

3- نتائــج المعــركة..84

III- العبور الثاني ومعركة حصن لييط....................... 88

1- أسباب العبور الثاني..88

2- أحداث المعركة..90

3- نتائج المعــركة..93

الفصل الثالث: الأندلس ولاية مرابطية.

I- العبور الثالث و ضم الأندلس للدولة المرابطية........................97

1- أسباب العبور الثالث..97

2- حصار المرابطين طليطلة..100

3- معارك المرابطين جنوب و غرب الأندلس................................101

أ- الاستيلاء على غرناطة و مالقة..101

ب- هزيمة البرهانس و الاستيلاء على ممتلكات المعتمد بن عباد...............104

ج- الاستيلاء على المرية و بطليوس..111

4- معارك شرق الأندلس..114

أ- الاستيلاء على مرسية و دانية..114

ب- هزيمة السيد القمبيطور و الاستيلاء على بلنسية........................115

II- العبور الرابع و تنظيم شؤون الأندلس................................123

1- أسباب العبور الرابع..123

2- مبايعة علي بالإمارة..125

3- معارك العبور الرابع..127

الخاتمة..130

الملاحق..134

الخرائط..147

المصادر و المراجع..152

الفهارس..182

فهرس الأعلام..183

فهرس القبائل و الشعوب..190

فهرس الأماكن و البلدان..192

فهرس المحتويات..201